أعمال خالدة 12

ج. د. سالينجر

مكتبة











حارس في
حقل الجودار



اسم المؤلف: ج. د. سالينجر
Author: **J. D. Salinger**

عنوان الكتاب: حارس في حقل الجودار
Title: **The Catcher in the Rye**

ترجمة: أسامة منزلجي
Translated by: **Osama Menzlchi**

مراجعة: الدكتور جوناس البستي
Reviewed by: **Dr. Jonas Elbousty**

الناشر: دار المدى
P.C.: **Al–Mada**

الطبعة الأولى: **2024**
First Edition: **2024**



للإعلام والثقافة والفنون

Al-mada for media, culture and arts

بغداد: حي أبو نؤاس - محلة 102 - شارع 13 - بناية 141
Iraq/ Baghdad- Abu Nawas-neigh. 102 - 13 Street - Building 141
+964 (0) 770 2799 999 — +964 (0) 780 808 0800 — +964 (0) 790 1919 290

بيروت: بشامون - شارع المدارس
Beirut: Bchamoun - Schools Street
+961 175 2617 — +961 706 15017 — +961 175 2616

دمشق: شارع كرجية حداد- متفرع من شارع 29 أيار
Damascus: Karjieh Haddad Street - from 29 Ayar Street
+963 11 232 2276 — +963 11 232 2275 — +963 11 232 2289
ص.ب: 8272



ج. د سالينجر



حارس في
حقل الجودار

ترجمة : أسامة منزلجي





الفصل الأول

إذا أردتَ حقاً أنْ تسمع الحكاية، فلعلَّ أول ما تريد أنْ تعرفه هو أينَ وُلِدتُ، وكيف كانت فترة طفولتي البائسة، وكيف كان والداي يشغلان وقتهما وما إلى ذلك قبل أنْ يُنجباني، وكل ذلك الهراء على طريقة ديفيد كوبرفيلد، لكنني لا أشعر برغبة في الخوض في ذلك كله. فأولاً، تلك الحكاية تُضجِرني، وثانياً، سوف يُصاب كلٌ من والديّ بنزيف إذا ما أتيتُ على ذِكر أي شيء شديد الخصوصية عنهما. إنهما شديدا الحساسية حيال أي شيء بهذا الشأن، خاصةً والدي. إنهما *لطيفان* وما إلى ذلك –أنا لا أُنكِرُ هذا– لكنّهما مُفرطا الحسّاسية. ثم أنا لن أحكي لك كل سيرتي الذاتية اللعينة أو أي شيء. أنا فقط سأحكي لك عن ذلك الأمر الجنوني الذي وقع لي خلال فترة عيد الميلاد الأخير قبل أنْ أنهار وأُضطرّ إلى المجيء إلى هنا لتهدئة أعصابي. أعني أنَّ هذا هو كل ما قلته لـ د. ب، وهو *أخي* وما إلى ذلك. إنه يقطن في هوليوود. وهي ليست بعيدة كثيراً عن هذا المكان القذر، ويأتي لزيارتي عملياً في نهاية كل أسبوع. وسوف يوصلني بسيارته عندما سأعود ربما إلى المنزل في الشهر القادم. سيارته من نوع جاغوار عادية. إحدى تلك المنتجات الإنكليزية الصغيرة التي تقطع مسافة مِئتَي ميل في الساعة. وكلّفَته مبلغاً لعيناً يقترب من الأربعة آلاف دولار. إنّه يمتلك الآن الكثير من المال. ولم يتعوَّد على ذلك. في أرض الوطن، كان مجرّد كاتب عاديّ. وكتب تلك المجموعة الرائعة من القصص القصيرة بعنوان *«السمكة الذهبية السرّية»*، في حال لم تكن قد سمعتَ به. وأفضلها قصة «السمكة الذهبية السرّية». تحكي عن ذلك الصبي الصغير الذي لم يكن يسمح لأحد برؤية سمكته الذهبية لأنه

اشتراها من حُرّ ماله. لقد أعجبتني كثيراً. الآن هو يعمل في هوليوود، أعني د. ب، كعاهرة. إنْ كان هناك شيء واحد أكرهه فهو السينما. لا أطيق حتى ذِكرها.

سوف أبدأ الحكاية من اليوم الذي غادرتُ فيه مدرسة بنسي الإعدادية، وهي تلك التي تقع في أغرستاون، في ولاية بنسلفانيا. لعلك سمعتَ بها. ربما شاهدتَ الإعلان، على أي حال. إنهم يضعون الإعلان في ألف مجلة، ويُبيّن شاباً وسيماً يعتلي جواداً يقفز من فوق سياج. وكأنَّ كل ما يفعله المرء في مدرسة بنسي هو لعب البولو طوال الوقت. إنني حتى لم أرَ جواداً واحداً في أي موقع *قريب* من ذلك المكان. وتحت الشاب على صورة الجواد عبارة تقول دائماً: «منذ عام 1888، ونحن نُقولِبْ الأولاد لكي يُصبحوا شُباناً رائعين، واضحي التفكير». ولا أهميّة لها على الإطلاق. ذلك أنَّ *القولبة* اللعينة التي يقومون بها في مدرسة بنسي لا تختلف في أي شيء عمّا تفعله أي مدرسة أخرى. وأنا لم أعرف أحداً هناك اتّصف بأي قدرٍ من الذكاء ووضوح التفكير. ربما كان هناك اثنان يتّصفان بهذا، إنْ كان لا بد من ذِكر أحد. ولعلّهما *جاءا* إلى مدرسة بنسي وهما كذلك.

على أيِ حال، حدثَ ذلك في يوم السبت الذي ستُقام فيه مباراة كرة القدم مع فريق ساكسون هول. كان من المفترض أنْ تكون المباراة مع فريق ساكسون هول حدثاً ضخماً في مدرسة بنسي. كانت آخر مباراة تُقام في ذلك العام، وكان من المُفترَض أنْ تنتحر أو ما شابه إذا لم يفُز فريق بنسي العجوز. وأذكُرُ أنني عند نحو الساعة الثالثة من بعد ظهيرة ذلك اليوم كنتُ واقفاً بعيداً على قمة تومسن هيل، بجوار ذلك المدفع الضخم الذي استُخدِمَ في الحرب الثوريّة[1] وما إلى ذلك. كان يمكن مشاهدة الملعب كله من هناك، ومشاهدة الفريقين وهما يتدافعان في أرجاء المكان، وليس مشاهدة حماس الجمهور الحاضر، ولكن يمكن سماع صراخه معاً، عميقاً وصاخباً من جانب جمهور فريق بنسي، لأنَّ المدرسة كلها عملياً، ما عدا أنا، كانت حاضرة؛ وكان

1- الحروب الثورية: هي مجموعة حروب شنتها جيوش كلٍ من إنكلترا والنمسا وبروسيا ضد فرنسا الثورية، أيام الثورة الفرنسية.

الضجيج الصادر عن جمهور ساكسون هيل هزيلاً ومُنهَكاً، لأنَّ الفريق الزائر لم يجلب معه إلا عدداً ضئيلاً من جمهوره.

لم يكن حضور الفتيات كبيرًا على الإطلاق في مباريات كرة القدم. وحدهم طلاب سنة التخرُّج كان يُسمح لهم بجلب فتيات معهم. كانت مدرسة فظيعة، كيفما نظرتَ إليها. أحب أنْ أكون في مكانٍ ما حيث يمكن على الأقل مشاهدة بعض الفتيات حولك أحياناً، حتى وإن كنَّ فقط يهرشن أذرعهنّ أو يتمخّطنَ أو حتى فقط يضحكن ضحكاً خافتاً أو ما شابه. سلما ثورمر -ابنة مدير المدرسة- كانت غالباً ما تحضر المباريات، لكنها لم تكن تمثل بالضبط النمط الذي يمكن التولّه به والرغبة فيه. لكنها مع ذلك كانت امرأة لطيفة جداً. وقد جلستُ إلى جوارها ذات مرة في الباص انطلاقاً من أغرستاون واندمجنا فيما يُشبه المحادثة. وأثارت إعجابي. كان لها أنف كبير وكانت أظافرها كلها مقروضة وتبدو مُدمّاة وتضع تلك الأظافر الزائفة اللعينة التي تبدو أنها تُشير إلى كل ركنٍ في المكان، لكنّ المرء يشعر بما يُشبه الرثاء لأجلها. ما أعجبني فيها أنها لم تزعجني بالحديث عن شخصية والدها العظيمة. لعلّها كانت تعلم كم هو أبله زائف.

إنَّ السبب الذي دفعني إلى الوقوف فوق قمة تومسن هيل، بدل أنْ أنزل لأنضمَّ إلى المباراة، يعود إلى أني كنتُ قد عدتُ للتو من نيويورك مع فريق المبارزة بالسيف، لأني المدير اللعين لفريق المبارزة بالسيف. يا له من منصب مهم جداً. وكنا قد ذهبنا إلى نيويورك في صباح ذلك اليوم من أجل ذلك اللقاء الكُروي مع فريق مدرسة ماكبرني. غير أنَّ اللقاء لم يتم. وتركتُ كل سيوف المبارزة والمعدّات وكل شيء في القطار النفقي اللعين. لم يكن اللوم يقع كلّه عليّ. كنتُ أُضطر إلى النهوض والنظر إلى تلك الخريطة، لكي نعرف متى ننزل. وهكذا عدنا إلى بنسي عند نحو الساعة الثانية والنصف بدل أنْ نعود مع العِشاء. ونبذني أعضاء الفريق كلهم طوال طريق العودة بالقطار. كان أمراً مُضحكاً جداً، بصورة ما.

السبب الآخر في عدم اشتراكي في المباراة هو أنني كنتُ في طريقي لكي أودّع العجوز سبنسر، أستاذ التاريخ. كان مُصاباً بالبرد وما إلى ذلك، واعتقدت أني ربما لن أراه من جديد إلا مع بداية عطلة عيد الميلاد. وكان قد

كتب لي رسالة قال فيها إنه يريد أنْ يراني قبل أنْ أعود إلى المنزل. كان يعلم أني لن أعود إلى بنسي.

نسيتُ أنْ أخبركَ عن هذا. لقد طردوني. ولم يكن من المفترض أنْ أعود بعد انتهاء عطلة عيد الميلاد، لأنني رسبتُ في أربع مواد ولأنني لا أركّز على أي شيء. وأنذروني مراراً بوجوب التركيز -خاصة مع اقتراب منتصف الفصل الدراسي، عندما حضر والدايَ اجتماعاً مع العجوز ثورمر- لكنني لم أفعل. ثم طُرِدتُ. كان الطردُ رائجاً في مدرسة بنسي. إنَّ لمدرسة بنسي تصنيفاً أكاديمياً جيداً جداً. حقاً.

على أيِ حال، كنّا في شهر كانون أول وما إلى ذلك، وكان الجوّ بارداً كحَلَمة الساحرة، خاصةً فوق قمة ذلك التل الأحمق. ولم أكن أرتدي غير معطف ذي وجهَين وبلا قفازين أو أي شيء. وقبل ذلك بأسبوع، كان أحدهم قد سرق معطفي ذا وبر الجِمال من غرفتي، مع قفازي ذي الحافة الفرو الموجود في جيبه وما إلى ذلك. كانت مدرسة بنسي مملوءة باللصوص. كان عدد لا بأس به من الأولاد منحدرين من عائلات فاحشة الثراء، ولكنها كانت مملوءة بالمحتالين على أي حال. وكلما كانت المدرسة غالية التكلفة، امتلأتْ أكثر باللصوص والمحتالين-أنا لا أمزح. على أي حال، بقيتُ واقفاً بجوار المدفع الضخم، وأتفرَّج على المباراة وأعاني البرد القارص. غير أني لم أكن أشاهد المباراة بشكلٍ متواصل. فماذا كنتُ أفعل هناك حقاً، لقد كنتُ أحاولُ أنْ أشعر بجو الوداع. أعني أني غادرتُ المدارس والأماكن التي لم أكنْ أعلم حتى أني أغادرها. أنا أكره هذا. لا يهمني إنْ كان وداعاً حزيناً أو وداعاً سيئاً، ولكن عندما أغادر مكاناً أحبُّ أنْ *أعرف* أني أغادره. فإذا لم أعرف، يكون الشعور أسوأ.

كنتُ محظوظاً. فجأةً فكَّرتُ في شيءٍ أعانني على معرفة أني أنوي الرحيل. فجأةً تذكَرتُ أنني في مثل هذا الوقت، خلال شهر تشرين الأول تقريباً، كنتُ مع روبرت تيتشنر وبول كامبل نلعب كرة القدم أمام المبنى الأكاديمي. كانا ولدين لطيفين، خاصة تيتشنر. كان الوقتُ يقترب من العشاء والظلام يزداد، لكننا تابعنا تبادُل الكرة في كل مكان. وتقدَّم الليل أكثر فأكثر، ولم يعُد في مقدورنا أنْ نرى الكرة، لكننا لم نرغب في الكفّ عن فعل ما كنا نفعله. وأخيراً اضطررنا إلى ذلك. فقد أبرز أستاذ العلوم ذاك، السيد

زامبيسي، رأسه من نافذته في المبنى الأكاديمي وأمرنا أنْ نعود إلى المهجع ونستعد لتناول وجبة العشاء. على أي حال، إذا كان في استطاعتي أنْ أتذكّر مثل هذا الشيء، ففي استطاعتي أنْ أحصل على وداع عندما أحتاج إليه - في أغلب الأحيان، على الأقلّ. وحالما حصلتُ عليه، استدرتُ وطفقتُ أركض هابطاً المنحدر الآخر من التل، باتجاه منزل العجوز سبنسر. فلم يكن يُقيم في حرم المدرسة؛ بل في جادة أنتوني وين.

ركضتُ مسافة الطريق كلّها حتى البوابة الرئيسية، ثم انتظرتُ برهة حتى ألتقط أنفاسي. في الحقيقة كنتُ مقطوع الأنفاس. فأولاً، أنا مُدخّن عتيد - أعني، كنتُ كذلك، وقد أجبروني على الامتناع عنه. وثمة أمر آخر، لقد ازددتُ طولاً في العام الفائت بمقدار ست بوصات ونصف. وهكذا أيضاً حصلت عملياً على مرض السل وجئت إلى هنا لكي أُجري كل تلك الفحوصات اللعينة وما إلى ذلك. ومع ذلك أنا في كامل صحتي.

على أي حال، حالما التقطتُ أنفاسي اجتزتُ الشارع رقم **204**. كان الجو شديد البرودة وكدتُ أنهار. ولا أعلم حتى لماذا كنتُ أركض - أعتقد أني فقط شعرت برغبة في ذلك. وبعد أنْ اجتزت الشارع، شعرتُ كما لو أني أختفي. كانت فترة بعد ظهيرة تُثير الجنون، باردة إلى أقصى مدى، ولا توجد شمس ولا أي شيء، ويشعر المرء كما لو أنه يختفي كلما اجتاز شارعاً.

حالما وصلتُ إلى منزل العجوز سبنسر قرعت جرس الباب بسرعة. كنتُ متجمداً حقاً؛ وأذناي تؤلمانني وأكاد لا أستطيع أنْ أحرّك أصابعي. ورحت أقول بصوت يكاد يكون عالياً «هيا، هيا، فليفتح أحدٌ *الباب*». أخيراً فتحته العجوز السيدة سبنسر. لم يكن لديهم خادمة أو أي شيء وكانوا دائماً يفتحون الباب بأنفسهم. لم يكن لديهم الكثير من المال.

قالت السيدة سبنسر «هولدن! ما أجمل أنْ نراك! ادخل، يا عزيزي! هل تشعر ببرد شديد؟»، أعتقد أنها كانت سعيدة لرؤيتي. كانت تحبني. على الأقلّ، أعتقد أنها كانت كذلك.

وأسرعتُ بولوج ذلك المنزل. قلت «كيف حالك، سيدة سبنسر؟ كيف حال السيد سبنسر؟»

قالت «دعني أنزع عنك معطفك، يا عزيزي». لم تسمعني وأنا أسألها عن حال السيد سبنسر. كانت شبه صمّاء.

علَّقتُ معطفي في خزانة الملابس، وقمت بما يُشبه تمسيد شعري نحو الخلف بيدي. إنني دائماً أقصّه قصيراً ولا أُضطر أبداً إلى تمشيطه كثيراً. قلتُ من جديد كيف حالك، سيدة سبنسر؟»، ولكن بصوت أعلى، لكي تسمعني.

«أنا على أحسن ما يُرام، هولدن»، وأغلقت باب الخزانة. «وكيف حالك *أنت*؟» وفهمت على الفور من لهجتها في طرح السؤال أنَّ العجوز سبنسر قد أخبرها بأني قد طُرِدتُ.

قلت «على ما يرام. وكيف حال السيد سبنسر؟ ألم يُشفَ بعد من إصابته بالبرد؟»

«لقد شُفيَ! يا هولدن، إنه يتصرف كـ - لا أدري *ماذا*... إنه في غرفته، يا عزيزي. ادخل فوراً»





الفصل الثاني

كان لكلٍ منهما غرفته الخاصة وأغراضه. كلاهما كانا في نحو السبعين من العمر، أو أكثر. لكنَّ الأحداث وجّهتْ إليهما ضربة موجعة – لكنها ليست قاضية، طبعاً. أعلم أنَّ من الخسّة أنْ أقول هذا، ولكن أنا لا أقصد أنْ أكون خسيساً. أنا فقط أعني أنني كنتُ أفكر في العجوز سبنسر كثيراً، وإذا *بالغتَ* في التفكير فيه، فإنكَ تتساءل لماذا لا يزال حياً حتى الآن. أعني أنَّ ظهره أصبح محنياً كثيراً وله وِقفة غريبة جداً، وفي غرفة الدرس، حين يُوقِع قطعةً من الطباشير وهو واقف عند السبورة يُضطر الطالب الجالس في الصف الأمامي إلى النهوض والتقاطها ووضعها في يده. وهذا أمر فظيع في رأيي. ولكن إذا فكَّرتَ فيه بالقدر الكافي ولم تبالغ، تستطيع أنْ تُدرك أنّ أداءه ليس سيئاً. فمثلاً، ذات يوم أحد عندما ذهبنا أنا وبعض الأصدقاء إليه لتناول مشروب الشوكولاتة، أرانا ملاءته المشغولة بأيدي الهنود الحمر المتهرئة والعتيقة كان قد اشتراها مع زوجته من أحد الهنود في حديقة يلوستون العامة. وبدا جلياً أنَّ السيد سبنسر *عقد* صفقة كبيرة بشرائها. هذا ما أعنيه. إنكَ لتعتبر شخصاً مثل سبنسر مجرد عجوز طاعن في السن، فإذا به يعقد صفقة كبيرة بشرائه ملاءة.

كان باب غرفته مفتوحاً، لكنني في كل الأحوال قرعته، فقط من باب الأدب. وكان في استطاعتي أيضاً أنْ أراه. كان جالساً على أريكة جلدية كبيرة، متدثراً بتلك الملاءة التي أخبرتك عنها. نظر إليّ عندما قرعت. صرخ «مَن الطارق؟ كولفيلد؟ ادخل يا فتى». كان دائماً يصرخ، خارج غرفة الدرس. أحياناً يكاد يُحطم أعصابي.

حالما دخلت، ندمتُ على مجيئي. كان يقرأ «*الشهرية الأطلسية*»، وكانت الكبسولات والأدوية منتشرة في أرجاء المكان، ورائحة قطرات فيكس لعلاج الزكام يعبقُ بها الجو. كان شيئاً يبعثُ على الانقباض الشديد. أنا لستُ مولعاً كثيراً بالمرضى على أي حال. وما زاد الطين بلّة أنَّ العجوز سبنسر كان يرتدي برنس الحمّام العتيق، الزريّ ذاك الذي لعلّه وُلِدَ به أو ما شابه. لا أحب أنْ أرى العجائز مرتدين مناماتهم وبرانس الحمّام على أي حال. إنَّ صدورهم العجوز المُشوَّهة دائماً بارزة، وسيقانهم أيضاً. سيقان العجائز، على الشواطئ وفي الأماكن العامة ـ دائماً تبدو شديدة البياض ومجرّدة من الشَعر. قلت «مرحبا، يا سيدي. لقد وصلتني رسالتك. شكراً جزيلاً لك». كان قد ترك لي رسالة يطلب مني فيها أنْ أعرِّج عليه وأودّعه قبل بدء العطلة، على أساس أني لن أعود. «لم تكن مضطراً إلى فعل هذا كله. كنتُ سآتي لأودعك على أي حال»

قال العجوز سبنسر «اجلس، يا فتى»، أي على السرير.

جلست. «كيف حال البرد عندك، يا سيدي؟»

قال العجوز سبنسر «يا بنيّ، لو أنّي شعرتُ بتحسّن لأحضرت طبيباً». وانفجر يضحك كالمجنون. وأخيراً استقام في جلسته وقال «لِمَ لا تشترك في المباراة؟ ظننتُ أنَّ اليوم ستُقام المباراة الكبرى»

قلتُ «هو كذلك. وأنا مُشترك. ولكن عدتُ من نيويورك تواً مع فريق المبارزة بالسيف». يا إلهي، كان سريره كالصخر.

أصبح يتكلّم بجديّة صارمة جداً. كنتُ أعلم أنَّ هذا سيحدث. قال «إذن ستغادرنا، هه؟»

«نعم، يا سيدي. أعتقد أني سأفعل»

ثم بدأ يقوم بعادته في الإيماء برأسه. لا يمكن أنْ ترى أي شخص يومئ برأسه كما يفعل العجوز سبنسر. لم تكن لتعلم قط إنْ كان يومئ كثيراً لأنه يُفكّر وما إلى ذلك، أم لأنه فقط عجوز لطيف لا يعرف كوعه من بوعه.

«ماذا قال لك الدكتور ثورمر، يا فتى؟ لقد فهمت أنَّ حديثاً قد دار بينكما»

«نعم، تحدثنا. فعلاً. أعتقد أني بقيتُ في مكتبه مدة ساعتين»

«ماذا قال لكَ؟»

«أوه... حسن، حدّثني عن أنَّ الحياة أشبه بمباراة وما إلى ذلك. وكيف يجب أنْ نلعبها حسب الأصول. لقد كان لطيفاً جداً في حديثه. أعني أنّه لم يُبدِ غضباً شديداً أو أي شيء. بل ظلَّ يتكلَّم عن كون الحياة مباراة وما إلى ذلك. كما تعلم»

«إنَّ الحياة هي **فعلاً** مباراة، يا فتى. الحياة مباراة **فعلاً** يجب أنْ نلعبها حسب الأصول»

«نعم، يا سيدي. أعلم أنها كذلك. أعلم»

مباراة، يا سلام. يا لها من مباراة. إذا وقفتَ على الجانب الذي يقف عليه كل المشاهير، فهي مباراة فعلاً – أعترف بذلك. ولكن إذا انتقلتَ إلى الجانب الآخر، حيث لا مشاهير، فأي مباراة هي؟ لا شيء. لا مباراة.

سألني العجوز سبنسر «هل كتب الدكتور ثورمر لوالديك؟»

«قال إنه سيكاتبهما في يوم الإثنين»

«هل اتصلتَ أنتَ بهما؟»

«كلا، يا سيدي، لم أتصل بهما لأنني قد أراهما في مساء يوم الأربعاء عندما أصل إلى المنزل»

«وكيف في اعتقادك سيتقبّلان الخبر؟»

قلت «حسن... سوف يغضبان كثيراً. سيغضبان حقاً. هذه رابع مدرسة ألتحق بها». وهززتُ رأسي. كنتُ أهزّ رأسي كثيراً. قلت «يا إلهي!». أنا أيضاً أقول «يا إلهي!» كثيراً. من ناحية، لأنَّ مفرداتي ضعيفة ومن ناحية أخرى لأنَّ تصرفاتي توحي أحياناً بأني أصغر سناً مما أنا عليه فعلاً. كنت في السادسة عشرة حينئذٍ. والآن أنا في السابعة عشرة، وأحياناً أتصرَّف وكأنني في الثالثة عشرة، وهذه مفارقة في الواقع لأنَّ طولي هو ستة أقدام وبوصتان ونصف ولدي شعر شائب. حقاً. أحد جانبَي رأسي –الأيمن– مملوء بملايين الشعر الشائب. حصلت عليه منذ أنْ كنتُ طفلاً. ومع ذلك مازلتُ أتصرَّف أحياناً كما لو أنني في الثانية عشرة. الجميع يقولون هذا، خاصة والدي. وهو

صحيح جزئياً، أيضاً، لكنه ليس صحيحاً *كله*. الناس دائماً يعتقدون أنَّ شيئاً ما صحيح كلّه. لا يهمني، لكنَّ الملل ينال مني أحياناً عندما يأمرني الناس بالتصرُّف حسب سني. أحياناً أتصرَّف بطريقة توحي بأني أكبر من سني بكثير -حقاً- لكنَّ الناس لا يلاحظون ذلك أبداً. الناس لا يلاحظون أي شيء.

من جديد عاد العجوز سبنسر إلى الإيماء برأسه. وعاد أيضاً إلى العبث بأنفه. ونجح في أنْ يبدو كأنه يقرصه فقط، ولكنه في الحقيقة كان يُقحِم إبهامه العجوز فيه. وأعتقد أنه ظنَّ أنه لا بأس في ذلك لأنه لا يوجد في الغرفة غيري أنا. وأنا لم *أهتمّ*، ولكن مُراقبة شخص يعبث بأنفه شيء يُقزِّز النفس حقاً.

ثم قال «لقد نالني شرّف مقابلة أمك وأباك عندما أجريا حديثاً قصيراً مع الدكتور ثورمر قبل بضعة أسابيع. إنّهما فخمان»

«نعم، هما كذلك. إنهما لطيفان جداً»

فخم. هذه كلمة أكرهها حقاً. إنها زائفة. أكاد أتقيّأ كلما سمعتها.

وفجأةً بدا على العجوز سبنسر كأنَّ لديه شيئاً جيداً جداً، شيئاً حاداً كمسمارٍ صغير، يُفضي به إليّ. ازدادت استقامة جِلسته على الكرسي وبدا أنه يتململ عليه. لكنه كان إنذاراً زائفاً. فكل ما فعله أنه رفع مجلّة *«الشهريّة الأطلسيّة»* عن حجره وحاولَ أنْ يقذف بها إلى السرير، المجاور له. وأخطأ. لم يكن يبعد أكثر من بوصتين، ومع ذلك أخطأ. فنهضتُ ورفعتها ووضعتها على السرير. وفجأةً شعرت برغبة في مغادرة المكان في الحال. شعرتُ بأني مُقدم على سماع مُحاضرة مُطوّلة. لم يكن لدي اعتراض كبير، لكنني لم أرغب في الإصغاء إلى مُحاضرة وشمّ رائحة قطرات فيكس والنظر إلى العجوز سبنسر وهو بمنامته ورداء الحمّام كله في وقتٍ واحد. لم أرغب في ذلك قط.

وبدأ الأمر، على أي حال. قال العجوز سبنسر «ما خطبكَ، يا فتى؟»، قالها بقسوة شديدة أيضاً، لا تصدر عنه عادةً. «كم مادةً تدرس في هذا الفصل؟»

«خمساً، يا سيدي»

«خمساً. وبكم مادة رسبت؟»

«أربع». عدّلتُ من جلستي على السرير. كان أقسى سرير جلستُ عليه في حياتي. قلت «لكني نجحت في مادة اللغة الإنكليزية، لأنني كنتُ قد درست كامل ذلك الكتاب الذي اسمه «بيوولف» وشيئاً عنوانه «لورد راندال

ابني» عندما كنتُ في مدرسة ووتون. أعني أنني لم أكن مضطراً إلى بذل جهد في دراسة اللغة الإنكليزية، فيما عدا كتابة مواضيع تعبير بين حين وآخر»

لم يكن حتى يُصغي إليّ. إنه يكاد لا يُصغي إليك وأنتَ تتكلَّم.

«لقد جعلتكَ ترسب في مادة التاريخ لأنك ببساطة لا تعرف أي شيء»

«أعلم هذا، يا سيدي. يا إلهي، أعلم هذا. لم يكن في يدك حيلة»

كرَّر «لا تعرف أيّ شيء على الإطلاق». وهذا ما كان يُثير جنوني. عندما يقول شخص الشيءَ مرّتين بهذه الطريقة، بعد أنْ تعترف في المرة الأولى. ثم يُكررها *ثلاث* مرات. «لكنّكَ لا تعرف أيّ شيء على الإطلاق. أشكُّ في أنكَ فتحت المُقرَّر مرة واحدة طوال الفصل، هل فعلت؟ قُل الحقيقة، يا فتى»

قلتُ له «حسن، يمكن القول إني مررتُ عليه على عجل». لم أرغب في جرح مشاعره. لقد كان مولعاً بالتاريخ.

قال «أتقول إنكَ مررتَ عليه على عَجَل، هه؟» – قالها بسخرية شديدة. «إنَّ ورقة امتحانك هناك على الخزانة. في أعلى الكومة. هاتها، من فضلك»

كانت خدعة قذرة جداً، لكنني ذهبت وأحضرتها له – لم يكن لدي أي خَيار أو أي شيء. ثم جلستُ من جديد على سريره الإسمنتيّ. يا إلهي، لا يمكنكَ أنْ تتصوَّر كم ندمتُ لأني عرّجتُ عليه لأودّعه.

بدأ يتعامل مع ورقة امتحاني كأنها غائط أو ما شابه. قال «لقد درسنا المصريين من الرابع من شهر تشرين الثاني وحتى الثاني من شهر كانون الأول. وأنتَ *اخترتَ* أنْ تكتب عنهم كإجابة عن سؤال الإنشاء الاختياري. هل تُمانع في أنْ أقرأ ما كتبت؟»

قلت «كلا، يا سيدي، لا أحبِّذ ذلك»

لكنه قرأه في كل الأحوال. إذ لا يمكنكَ أنْ تمنع أستاذاً عندما يُريد أنْ يفعلَ شيئاً. سوف *يفعله* بكل بساطة.

[«كان المصريون سلالة قديمة من القوقاز سكنت أحد أجزاء شمال أفريقيا. وهذه الأخيرة كما نعلم جميعاً هي أكبر قارة في نصف الكرة الشرقي»]

كنتُ مضطراً إلى الثبات في مكاني والإصغاء إلى ذلك الهراء. لا ريب في أنها كانت خدعة قذرة.

[«المصريون اليوم يُثيرون اهتمامنا إلى أقصى درجة لأسباب متنوعة. والعلم الحديث لا يزال يرغب في معرفة العناصر السرية التي استخدمها المصريون في تكفين موتاهم لكي لا تتعفَّن وجوههم طوال قرون لا حصر لها. وهذا اللغز المُثير لا يزال يُشكّل تحدياً للعلم الحديث في القرن العشرين»]

كفَّ عن القراءة وحطَّ ورقة امتحاني. وكنتُ قد بدأتُ أكرهه. قال بصوته المشحون بالسخرية «إنَّ *مقالتك*، إنْ صحَّ التعبير، تنتهي هنا». لا يخطر في بالك أبداً أنَّ مثل ذلك العجوز يمكن أنْ يكون شديد السخرية. قال «لكنك تركتَ لي رسالة قصيرة في آخر الصفحة»

قلت «أعلم أني فعلت». قلت هذا بسرعة كبيرة لأنني أردتُ أنْ أوقفه قبل أنْ يُعاود قراءة *ذلك* بصوتٍ مرتفع. ولكن لم يكن في الإمكان إيقافه. لقد كان متحمساً كمفرقعة.

قرأ بصوتٍ مرتفع [«عزيزي السيد سبنسر، هذا كل ما أعرفه عن المصريين. لا أستطيع أنْ أُبدي الكثير من الاهتمام بهم على الرغم من أنَّ محاضراتك ممتعة جداً. لا يهمني إذا جعلتني أرسب بما أني في كل الأحوال أرسب في كل شيء ما عدا اللغة الإنكليزية. مع كامل احترامي، هولدن كولفيلد»]. أعاد ورقة امتحاني إلى مكانها ونظر إليّ كأنه قد انتهى تواً من إنزال هزيمة نكراء بي في لعبة بينغ بونغ أو ما شابه. ولا أعتقد أني سأغفر له أبداً لأنه قرأ على مسمعي بصوتٍ مرتفع ذلك الهراء. وما كنتُ لأقرأه على مسمعه بصوتٍ مرتفع لو أنه هو الذي كتبه – ما كنت لأفعل حقاً. فأولاً، لقد كتبت تلك الملاحظة اللعينة لكي لا يشعر بالذنب إذا ما جعلني أرسب.

قال «هل تلومني لأنني جعلتك ترسب، يا فتى؟»

قلت «كلا، يا سيدي! حتماً لا ألومك». تمنّيت من كل قلبي أنْ يكفّ عن مُخاطبتي بـ«فتى» طوال الوقت.

حاولَ أنْ يقذف بورقة امتحاني نحو السرير بعد أنْ فرغ منها. لكنه طبعاً،

من جديد، فشلَ في ذلك. واضطررتُ إلى النهوض من جديد والتقاطها ووضعها فوق *«الشهرية الأطلسية»*. شيء مُضجِر أنْ أفعل هذا كل دقيقتين.

قال «ماذا كنتَ فعلتَ لو أنكَ في مكاني؟ قُلْ لي الحقيقة، يا فتى»

حسن، يمكنك أنْ ترى كيف كان يشعر بالذنب لأنه جعلني أرسب. وأخذتُ أُثرثر قليلاً. قلت له إنني أبله حقيقي، وما شابه. قلت له إنني كنتُ سأفعل بالضبط كما فعل لو أني في مكانه، وكيف أنَّ معظم الناس لا يُقدّرون مدى قسوة مهنة التدريس. وما شابه من هذا الكلام. يا له من عجوز.

لكنَّ الغريب في الأمر هو أنني كنتُ أفكّر في شيء آخر بينما أنا أثرثر. تخيّلتُ إنني أُقيمُ في نيويورك، وكنتُ أفكّرُ في البركة في سنترال بارك، بالقرب من الطرف الجنوبي لسنترال بارك. تساءلتُ إنْ كان الجو مُصقِعاً في بلدي، وإنّه إنْ كان كذلك، أين يذهب البط. تساءلتُ إلى أين يذهب البط بعد أنْ تتحول البركة كلها إلى جليد وتتجمَّد. تساءلتُ إنْ كان قد جاء أحدهم بسيارة شحن وحمله بعيداً وأودعه حديقة حيوان أو ما شابه. أو أنه ببساطة طار بعيداً.

لكني محظوظ. أعني أنَّ في استطاعتي أنْ أُثرثر مع العجوز سبنسر وأفكّر في ذلك البط في الوقت نفسه. أمرٌ غريب. لستَ مضطراً إلى التفكير بتركيز وأنتَ تتحدث مع أستاذ. ولكن فجأةً قاطعني أثناء ثرثرتي. كان دائماً يُقاطع مَنْ يتكلّم معه.

«ما شعورك حيال هذا كله، يا فتى؟ يهمّني كثيراً أنْ أعرف. مهتم جداً»

قلت «تعني بشأن طردي من بنسي وما إلى ذلك؟». وتمنيت بصورة ما لو أنه يُغطي صدره المشوَّه[1]. لم يكن منظراً جميلاً.

«إذا لم أكن مُخطئاً، أعتقد أنكَ واجهتَ أيضاً بعض الصعوبة في مدرستيّ ووتون وإلكتن هيلز». لم يقُل هذا بشيءٍ من السخرية فقط، بل وبخبث، أيضاً.

قلت له «لم أواجه الكثير من الصعوبة في إلكتن هيلز. لم أُطرَد أو ما شابه. أنا ببساطة تركتها، بصورة ما»

1- صدره المشوّه: أي الصدر المُصاب بتشوهات وبثور تجعل شكله غير مستوٍ وقبيح.

«هل لي أنْ أعرف السبب؟»

«لماذا؟ أوه، حسن، إنها قصة طويلة، يا سيدي. أعني أنها شديدة التعقيد». لم أشعر برغبة في الخوض في الأمر كله معه. لم يكن ليتفهَّم على أي حال. ليس ذلك من شِيَمه على الإطلاق. إنَّ أحد أكبر الأسباب الذي دفعني إلى مغادرة إلكتن هيلز هو أنني كنتُ مُحاطاً بالزائفين. هذا كل ما في الأمر. كانوا يظهرون فجأة. مثلاً، كان لديهم ذلك المدير، السيد هاس، ابن حرام من أشد ما قابلت في حياتي زيفاً. أسوأ بعشر مرات من العجوز ثورمر. في أيام الآحاد، مثلاً، عندما كان آباء الطلاب يحضرون كلهم كان العجوز هاس يدور ويُصافحهم. وكان فاتناً كالجحيم وكل ذلك. إلا إذا كان لأحد الأولاد أبوان متواضعان عجوزان شكلهما غريب. يجب أنْ تراه كيف عامل والدَي زميلي في الغرفة. أعني إذا كانت والدة الولد بدينة أو شكلها مبتذل أو ما شابه، وإذا كان والد أحدهم من الذين يرتدون واحدة من تلك البذلات ذات الأكتاف العريضة وينتعل حذاءً أبيض وأسود مبتذلاً، عندئذٍ يكتفي العجوز هاس بمصافحتهما ورسم تلك الابتسامة الزائفة ومن ثم الانهماك في الكلام، على مدى ربما نصف *ساعة*، مع والد طالبٍ آخر. أنا لا أفهم هذا. إنه يُثير جنوني. يجعلني مُكتئباً حتى الجنون. لقد كرهتُ إلكتن هيلز اللعينة تلك.

عندئذٍ سألني العجوز سبنسر عن شيءٍ ما، لكنني لم أسمعه. كنتُ أفكِّرُ في العجوز هاس. قلت «ماذا قلتَ، يا سيدي؟»

«هل تشعر بأي وخز من ضمير لمغادرتك بنسي؟»

«أوه، لقد شعرت بعدد من وخزات الضمير فعلاً. طبعاً... لكنها ليست كثيرة. حتى الآن، على أي حال. أعتقد أنَّ الأمر لم يصدمني بعد. الأشياء تستغرق بعض الوقت لتصدمني. إنَّ كل ما أفعله حالياً هو التفكير في العودة إلى المنزل يوم الأربعاء، أنا أبله»

«ألا تشعر بأي قلق بشأن مستقبلك، يا فتى؟»

«أوه، أشعر ببعض القلق بشأن مستقبلي طبعاً. حتماً. حتماً، أقلق». فكَّرتُ في الأمر برهة. «ولكن ليس كثيراً، أعتقد. ليس كثيراً، أعتقد»

قال العجوز سبنسر «سوف تُصدَم. سوف تُصدَم، يا فتى. سوف تُصدَم بعد أنْ يفوت الأوان»

لم يعجبني قوله ذاك. جعلني أشعر كأني ميّت أو ما شابه. كان شيئاً مُقبِضاً جداً. قلت «أعتقد أني سأُصدَم»

«أودّ لو أُدخِل بعض العقل إلى رأسك هذا، يا فتى. أنا أحاول أنْ أساعدك. أحاول أنْ *أساعدك*، إنْ استطعت»

كان يفعل ذلك حقاً. كان واضحاً. لكننا كنا على طرفَي نقيض، هذا كل شيء. قلت «أعلم أنك تساعدني، يا سيدي. أشكركَ شكراً جزيلاً. بلا مزاح. أنا حقاً أُقدِّر هذا. حقاً». هنا نهضت من مجلسي على السرير. يا إلهي، لم أكن لأجلس عشر دقائق أخرى وإنْ كان في ذلك إنقاذ لحياتي. «ولكن يجب أنْ أرحل الآن. لدي بعض الأغراض في الصالة الرياضية يجب أنْ آخذها معي إلى المنزل. يجب أنْ أفعل حقاً». رفعَ بصره إليّ وبدأ يومئ برأسه من جديد، وعلى وجهه تلك النظرة الشديدة الجدّية. وشعرت برثاء شديد من أجله، هكذا فجأة. ولكن لم يعد في إمكاني أنْ أمكث أكثر من ذلك، كرهتُ كوننا على طرفي نقيض، وكرهته وهو يُخطئ التسديد نحو السرير كلما رمى شيئاً إليه أو ما شابه، ورداء الحمّام العتيق المُقبِض وصدره المكشوف، ورائحة قطرات فيكس للأنف لعلاج الرشح المنتشرة في كل زاوية من المكان. قلت «اسمع، يا سيدي. لا تقلق عليّ. أنا جادّ. سأكون على ما يُرام. إنني فقط أمرُّ بمرحلة خاصة حالياً. الجميع يمرون بمراحل خاصة وما إلى ذلك، أليس كذلك؟»

«لا أدري، يا فتى. لا أدري»

أكره الناس الذين يُجيبون هكذا. قلت «طبعاً. طبعاً، يمرّون. أنا جادّ، يا سيدي. أرجوك لا تقلق بشأني»، ووضعت يدي على كتفه. قلت «اتفقنا؟»

«ألا ترغب في شرب كوب من شراب الشوكولاته قبل أنْ ترحل؟ السيدة سبنسر سوف –»

«كان سيسعدني ذلك، سيسعدني حقاً، ولكن يجب أنْ أرحل. يجب أنْ أذهب مباشرة إلى الصالة الرياضية. شكراً لك، على أي حال. شكراً جزيلاً، يا سيدي»

ثم تصافحنا. وكل ذلك الهراء. ولكن مع ذلك انتابني حزن جحيمي.

«سأكاتبك، يا سيدي. الآن اعتنِ بنفسك»

«الوداع، يا فتى»

بعد أنْ أغلقت الباب وهممتُ بالعودة إلى غرفة الجلوس، هتف لي بشيء، لكنني لم أسمعه بدقة. أنا متأكد من أنه هتف قائلاً «حظاً سعيداً!». آمل ألا يكون صحيحاً. آمل من الجحيم ألا يكون صحيحاً. لا يمكن أنْ أهتف لأحد «حظاً سعيداً!». يبدو شيئاً فظيعاً، عندما تفكر فيه.



الفصل الثالث

أنا أكبر كذّاب قابلته في حياتك. شيء فظيع. حتى إذا كنتُ متوجهاً إلى الدكان لأبتاع صحيفة وسألني أحدهم إلى أين أنا ذاهب، فمن الممكن أنْ أقول أنا ذاهب إلى دار الأوبرا. شيء رهيب. لذلك عندما قلت للعجوز إنني يجب أنْ أتوجه إلى الصالة الرياضية لأجلب معدّاتي وأغراضي، كان ذلك محض كذب. بل إنني حتى لا أحتفظ بمعداتي اللعينة في الصالة الرياضية.

في بانسي حيث كنتُ أُقيم، كنت أنزل في جناح أوسنبرغر التذكاري للمهاجع الجديدة، المُخصَّص حصراً لطلاب السنة الأولى والعليا. أنا كنتُ طالباً في السنة الأولى. شريكي في الغرفة كان طالباً متقدِّماً، ويحمل اسم ذلك الشخص الذي يُدعى أوسنبرغر وانتسب إلى مدرسة بنسي. وبعد أنْ غادر بنسي كوّنَ ثروة صغيرة من مجال دفن الموتى. وما فعله هو أنه باشر بافتتاح صالونات دفن الموتى في كل أرجاء البلد بحيث أصبح في إمكانك أنْ تدفن أفراد عائلتك مقابل خمسة دولارات للرأس. يجب أنْ ترى العجوز أوسنبرغر. لعله فقط كان يحشرهم في كيس ويُغرقهم في النهر. على أي حال، منح مدرسة بنسي مبلغاً كبيراً من الدولارات، وأطلقوا اسمه على الجناح. وخلال المباراة الأولى في كرة القدم التي أُقيمتْ في ذلك العام جاء إلى المدرسة بسيارته الكاديلاك اللعينة الكبيرة، والتفتنا جميعاً من مكان النظّارة ووجّهنا إليه تحية طويلة، تهليلاً. وفي صباح اليوم التالي، في الكنيسة، ألقى خطبةً دامت عشر ساعات. بدأ بخمسين من النكات المبتذلة، لمجرّد أنْ يُرينا أنه رجل عادي. أمر عظيم! ثم بدأ يحكي لنا كيف أنه لا يخجل أبداً، حين يكون في مأزق أو ما شابه، من الركوع والصلاة لله. وقال إنَّ علينا دائماً أنْ نصلي لله –أنْ نكلّمه وما إلى ذلك– حيثما كنا. قال

إنَّه هو يفكِّر في يسوع طوال الوقت. حتى وهو يقود سيارته. هذا الكلام قتلني. إنني أتخيّل ابن الحرام الضخم الزائف ذاك وهو ينتقل إلى السرعة الأولى طالباً من يسوع أنْ يُرسِل إليه المزيد من الجثث. والجزء الجيد الوحيد من خطابه كان يقع في المنتصف تماماً. كان يُخبرنا كم هو إنسان رائع، ونجم ساطع وما إلى ذلك، وفجأةً أطلقَ ذلك الشخص الجالس في الصف الذي يقع أمامي، إدغار مارسالا، ضرطته الفظيعة. كان سلوكاً غايةً في الفظاظة، خاصة في المُصلّى وما إلى ذلك، لكنه كان أيضاً مُسلّياً جداً. يا للعزيز مارسالا. وتسبّب بالكثير من الهرج. لم يكد أحد يضحك بضجيج مرتفع، ونجح العجوز بالتظاهُر بأنه لم يسمعها، لكنَّ العجوز ثورمر، مدير المدرسة، كان جالساً إلى جواره مباشرةً على المنبر وما إلى ذلك، وكان جلياً أنَّه *قد* سمعها. *يا إلهي*، كم غضِب. لكنه لم ينطق بأية كلمة حينئذٍ، ولكن في ليلة اليوم التالي دفعنا إلى تلقي درس إجباري داخل البناء الأكاديمي ثم جاء وألقى علينا خطبة. قال إنَّ الفتى الذي أثار الاضطراب في المُصلّى لا يصلح أنْ يلتحق بمدرسة بنسي. وحاولنا أنْ ندفع العزيز مارسالا إلى إطلاق ضرطة أخرى، في منتصف خطاب العجوز ثورمر، لكنه لم يكن في المزاج المناسب لذلك. على أي حال، هناك كنتُ أُقيم في بنسي. في جناح العجوز أوسنبرغر التذكاري، في المهاجع الجديدة.

كان أمراً ممتعاً أنْ أعود إلى غرفتي الخاصة، بعد أنْ غادرتُ العجوز سبنسر، لأنَّ الجميع كانوا قد نزلوا ليشاهدوا المباراة، وكانت التدفئة تغمر غرفتنا، وهو وضع نادر الحدوث. وشعرتُ بالألفة. خلعتُ معطفي وربطة عنقي وحللتُ زر ياقة قميصي ثم اعتمرتُ تلك القبعة التي اشتريتها من نيويورك في صباح ذلك اليوم؛ قبعة صيد حمراء، من النوع الذي له قمة طويلة بشكلٍ مفرط، كنتُ قد شاهدتها في واجهة محل بيع الأدوات الرياضية عندما خرجنا من القطار النفقي، مباشرةً بعد أنْ لاحظتُ أني قد أضعت السيوف اللعينة كلها. لم تُكلّفني أكثر من دولار واحد. دفعتُ القمّة المُدببة نحو الخلف – طريقة مبتذلة جداً، أعترفُ بهذا، لكنّها أعجبتني. بدوتُ أنيقاً بها. ثم أمسكتُ الكتاب الذي كنتُ أقرأه وجلستُ على كرسيّ. كان هناك كُرسيان في كل غرفة. واحد لي وواحد لشريكي في الغرفة، وارد

ستراذليتر. كان ذراعا الكرسي في حالة زريّة، لأنَّ الجميع كانوا يجلسون عليهما، لكنهما كانا كرسيين مُريحين جداً.

الكتاب الذي كنتُ أقرأه هو ذلك الذي أخذته من المكتبة خطأً. لقد أعطوني الكتاب الخطأ، ولم ألاحظ ذلك إلا بعد أنْ رجعتُ إلى غرفتي. أعطوني «*خارج أفريقيا*» من تأليف أيزاك دينيسن. اعتقدتُ أنه سيكون كتاباً سيئاً، لكنه لم يكن كذلك. كان كتاباً جيداً جداً. وأنا جاهل تماماً، لكني أقرأ كثيراً. مؤلّفي المُفضَّل هو أخي د.ب، ويأتي بعده في التفضيل رينغ لاردنر[1]. أهداني أخي كتاباً من تأليف رينغ لاردنر بمناسبة عيد ميلادي، قبل أنْ ألتحق بمدرسة بنسي مباشرة. كان يضم تلك المسرحيات المجنونة، المسلية جداً، وتحكي عن شرطي مرور يقع في حب تلك الفتاة الجميلة التي دائماً تقود سيارتها بسرعة. لكنه رجل متزوج، أي الشرطي، ولا يستطيع أنْ يتزوجها وما إلى ذلك. ثم إنَّ تلك الفتاة تُقتَل، لأنها دائماً تنطلق بسرعة. هذه القصّة كادتْ تصرعني من فرط الضحك. إنَّ أشدّ ما يُعجبني هو أنْ أقرأ كتاباً مُضحكاً بين حينٍ وآخر. وقد قرأت العديد من الكتب الكلاسيكية، مثل رواية «*عودة المواطن*»[2] وما شابه، وهي تعجبني، وقرأت الكثير من كتب الحرب والغموض وما إلى ذلك، لكنها لا تُعجبني كثيراً. إنَّ ما يُعجبني هو الكتاب الذي، بعد أنْ تفرَغَ من قراءته، تتمنى لو أنَّ المؤلّف الذي كتبه هو صديق رائع لك وتستطيع أنْ تتصل به هاتفياً كلما رغبت في ذلك. لكنَّ هذا الأمر لا يحدث كثيراً. ولم يكن لديّ مانع أنْ أتصل بهذا المُسمّى أيزاك دينيسن. وبرينغ لاردنر، لولا أنَّ د.ب أخبرني أنه مات. خُذ عندك، مثلاً، ذلك الكتاب الذي اسمه «*في العبودية الإنسانية*» لسمرست موم. قرأته في الصيف الفائت. إنه جيد جداً وما إلى ذلك، لكنه لم يدفعني إلى الاتصال بسمرست موم. لا أدري. إنه فقط ليس من النوع الذي أرغب في الاتصال به، هذا كل ما في الأمر. وأفضّل أنْ أتصل بتوماس هاردي. أحب يوستيسيا فاي[3] تلك.

1- رينغ لاردنر (1883-1933): كاتب أميركي فكاهي.

2- «عودة المواطن»: للكاتب الإنكليزي توماس هاردي (1840-1928).

3- يوستيسيا فاي: بطلة رواية «عودة المواطن»؛ فتاة مشبوبة العاطفة تحلم بحب عاصف وبالانطلاق والتحرر من جو البلدة التي تعيش فيها. - المترجم

على أي حال، اعتمرت قبعتي الجديدة وجلستُ وباشرتُ في قراءة ذلك الكتاب المُسمّى «*خارج أفريقيا*». وكنت قد قرأته قبلاً، ولكن أردتُ أنْ أقرأ أجزاء معيَّنة منه من جديد. ولكن ما إنْ قرأت حوالي ثلاث صفحات حتى سمعت أحدهم يبرز من وراء ستارة الحمّام. ودون أنْ أرفع نظري عرفتُ على الفور مَنْ يكون. إنه روبرت أكلي، ذاك الذي يسكن في الغرفة المجاورة. كان هناك دوش بين كل غرفتَين في جناحنا، وكان صاحبنا أكلي يدخل عليّ خمساً وثمانين مرة في اليوم. لعله الوحيد في المهجع كله، بالإضافة إليّ، الذي لم يحضر المُباراة. لم يكن يذهب إلى *أي مكان* تقريباً. كان شخصاً غريب الأطوار حقاً. كان من المتقدّمين، وقد أمضى في بنسي أربع سنوات كاملة وما إلى ذلك، ولكن لا أحد كان يُخاطبه إلا بـ «أكلي». ولا حتى هيرب غيل، شريكه في الغرفة، خاطبه قط باسم «بوب» أو حتى «آك». وإذا ما حدث وتزوج، فلعلَّ زوجته سوف تناديه بـ «أكلي». كان أحد أولئك أصحاب الطول المُفرِط، والمربوعي الأكتاف – طوله ستة أقدام وأربع بوصات – وأسنانه قذرة. وطوال فترة سكناه جواري لم أره مرَّة واحدة يُنظف أسنانه. كانت دائماً تبدو كأنّما يكسوها الطحلب وقبيحة، ويكاد يجعلك تتقيّأ إذا شاهدته في قاعة الطعام وفمه مملوء بالبطاطا المسحوقة والبازلا أو شيء ما. بالإضافة إلى ذلك، كان مُصاباً بالكثير من البثور. ليس على جبينه أو ذقنه فقط، كغالبية الأولاد، بل على صفحة وجهه كلها. وليس هذا فقط، بل كان صاحب شخصية فظيعة، وكان أيضاً قذراً. لم أكن أحبه كثيراً، لكي أكون صريحاً معك.

شعرتُ به يقف على عتبة الدوش، خلف كرسيّي مباشرةً، يُلقي نظرةً ليتبيَّن إنْ كان سترادليتر موجوداً. كان يكره سترادليتر حتى العمى ولا يلجَ الغرفة أبداً إنْ كان سترادليتر موجوداً فيها. كان تقريباً يكره الجميع كرهاً شديداً.

نزل عن عتبة الدوش وولج الغرفة. قال «هاي». كان دائماً يقولها كأنه يشعر بضجر أو تعب هائل. لم يكن يريد أنْ تعتقد أنه يقوم بزيارتك أو أي شيء. كان يريد منك أنْ تعتقد أنه دخل عليك خطأً، تخيّل كم هو مزعج.

قلت «هاي»، لكنني لم أرفع ناظري عن كتابي. فمع شخص مثل أكلي،

إذا رفعت نظرك عن كتابك فأنت هالك. أنت هالك في كل الأحوال، ولكن لن تهلك بسرعة إذا لم ترفع نظرك فوراً.

بدأ يتجول في أنحاء الغرفة، ببطءٍ شديد وما إلى ذلك، كما يفعل دائماً، ويلتقط الأغراض الشخصيّة عن طاولة المكتب والخزانة. كان دائماً يرفع الأغراض الشخصيّة ويتفحّصها. يا لطيف، أحياناً يستطيع أنْ ينال من أعصابك. قال «كيف كانت المباراة؟». كان يريد مني فقط أنْ أتخلّى عن القراءة والاستمتاع بوقتي. لم يأبه لمجرى المباراة. قال «هل فزنا، أم ماذا؟»

قلت «لم يفُز أحد»، ولكن من دون أنْ أرفع بصري.

قال «ماذا؟». كان دائماً يجعلك تقول كل شيء مرتين.

قلت «لم يفُز أحد»، واختلست نظرة إليه لأرى بماذا كان يعبث على الشيفونيه. كان ينظر إلى صورة تلك الفتاة التي رافقتُها وأنا في نيويورك، سالي هيز. لابد أنه حمل تلك الصورة اللعينة وتفحّصها على الأقلّ خمسة آلاف مرة منذ أن حصلت عليها. وكان دائماً يُعيدها إلى المكان الخطأ، أيضاً، بعد أنْ ينتهي منها. كان يفعل ذلك عن عمد. كان ذلك جلياً.

قال «لم يفُز *أحد*، كيف ذلك؟»

«لقد تركت السيوف اللعينة وأشياء أخرى في القطار النفقي»، ولم أرفع نظري إليه.

«في القطار النفقي، يا إلهي! أضعتَها، تعني؟»

«استقللنا الخط الخطأ. كنتُ مضطراً إلى الوقوف مرات عدة لأنظر إلى الخريطة اللعينة المُعلّقة على الجدار»

اقتربَ ووقف ضمن نطاق ضوئي. قلتُ «هيه، لقد أعدتُ قراءة هذه الجملة نفسها حوالي عشرين مرة منذ أنْ دخلت»

أي شخص آخر غير أكلي كان سيفهم ما رميتُ إليه. ولكن ليس هو. قال «أتعتقد أنهم سيغرمونك بثمنها؟»

«لا أعلم، ولا يهمني. ما رأيك أنْ تجلس أو ما شابه، أيها الفتى أكلي؟ إنك تقف في مجال ضوئي اللعين». لم يكن يحب أنْ يُخاطَب بـ «الفتى

أكلي». كان دائماً يقول لي إنني فتى لعين، لأنني في السادسة عشرة، وهو في الثامنة عشرة. كان يجنُّ جنونه إذا خاطبته بـ «الفتى أكلي»

بقيَ واقفاً هناك. كان بالضبط من النوع الذي لا يخرج من مجال ضوئك عندما تطلب منه ذلك. سوف يخرج، أخيراً، ولكن بعد وقت طويل إذا طلبت منه أنْ يفعل. قال «ماذا تقرأ بحق الجحيم؟»

«كتاباً لعيناً»

قلبَ الكتاب بحركة سريعة بيده لكي يرى عنوانه. قال «أهو جيد؟»

«هذه الجملة التي أقرأها رائعة». أستطيع أنْ أكون ساخراً تماماً وأنا في المزاج المناسب. لكنه لم يفهم. وعاد من جديد إلى التجوال في أنحاء الغرفة، وهو يلتقط أغراضي الخاصة، وأغراض سترادليتر. وأخيراً، وضعت كتابي جانباً على الأرض. لا يمكنك أنْ تقرأ أي شيء وشخصٌ مثل أكلي يحوم حولك. كان شيئاً مستحيلاً.

انزلقت على كرسيي وأنا أراقب أكلي يتصرَّف على هواه. كنتُ أشعر بالتعب بعد رحلتي إلى نيويورك وما إلى ذلك، وبدأتُ أتثاءب. ثم بدأتُ أعبث قليلاً. أحياناً أُكثِر من العبث، فقط لأبعد عني الملل. ما فعلته هو أنني دفعتُ قمّة قبّعتي العزيزة إلى الأمام، ثم أسدلتها فوق عينيّ. وهكذا، لم أعد أرى أي شيءٍ لعين. قلت بصوتي المبحوح جداً «أعتقد أني أفقد بصري. أمي العزيزة، إنَّ كل شيء يغدو شديد *السواد* هنا»

قال أكلي «أنت مجنون. أقسم بالله»

«أمي العزيزة، مُدّي لي يدك. لماذا لا تمدين لي يدك؟»

«إكراماً لله، كفاك صبيانيّة»

بدأتُ أتلمَّس أمامي، كالأعمى، ولكن من دون أنْ أنهض أو أي شيء. وبقيتُ أكرر «أمي العزيزة، لماذا لا تمدين لي يدك؟». كنتُ فقط أعبث بحركات طبيعية. أحياناً هذا التصرف يُنشّطني. إلى جانب أني كنتُ أعلم أنَّ هذا يزعج العجوز أكلي أيّما إزعاج. كان دائماً يستفزّ الجانب السادي القديم فيَّ. كثيراً ما كنتُ شديد الساديّة معه. ولكن أخيراً، كففت عن ذلك. وأعدت الذروة إلى الخلف من جديد، وتراخيت.

قال أكلي «لِمَنْ هذا؟». كان قد رفع داعمة ركبة زميلي في الغرفة ليُريني إياها. ذلك الفتى أكلي كان يرفع أي شيء. بل إنه مستعد أنْ يرفع حمّالة أعضائك التناسلية أو ما شابه. فقلت له إنها تخصُّ سترادليتر. فرماها على سرير ستراديليتر. كان قد رفعها عن شيفونيه ستراديليتر، لكنه رماها على السرير.

اقتربَ وجلس على ذراع كرسي ستراديليتر. لم يكن يجلس قط *على* أي كرسي. بل على الذراع فقط. قال «من أين حصلت على هذه القبعة بحق الجحيم؟»



«من نيويورك»

«بكم؟»

«بدولار»

«لقد سرقوك»، وبدأ يُنظّف أظافره اللعينة بطرف عود ثقاب. كان دائماً ينظّف أظافره. شيء مضحك بصورةٍ ما. وكانت أسنانه دائماً تبدو كأنَّ الطحلب يعلوها، وأذناه دائماً قذرتين كالجحيم، لكنه كان دائماً يُنظّف أظافره. أعتقد أنه ظنَّ أنَّ ذلك يجعل منه شخصاً شديد الترتيب والنظافة. وألقى نظرة أخرى على قبعتي وهو يُنظّف تلك الأظافر. قال «في الوطن نعتمر قبعة كهذه لكي نصطاد الغزلان، وحقّ لله. هذه قبعة خاصة بصيد الغزلان»

«هي كذلك من دون أدنى شك». خلعتُها ونظرتُ إليها. وأغمضتُ إحدى عينيّ، كأنني أسدد عليها. قلت «هذه قبعة للصيد. أنا أطلق النار على الناس بها»

«ألمْ يعلم أهلك بعدُ أنكَ طُرِدتَ؟»

«كلا»

«بالمناسبة، أين ستراديليتر؟»

«نزل ليشاهد المباراة. لديه موعد»، وتثاءبت. كنتُ أتثاءب طوال الوقت. لسبب واحد، هو أنَّ الغرفة كانت شديدة الحرارة. فغالبني النعاس. في مدرسة بنسي إما أن تتجمّد من شدة البرد حتى الموت أو تموت من شدة الحرارة.

قال أكلي «ستراديليتر العظيم – هيه. أعِرني مقصّك برهة، ممكن؟ أهو في مكان قريب منك؟»

«كلا. دسسته في مكانٍ ما. إنه في أعلى الخزانة»

قال أكلي «أحضره لحظة، ممكن؟ لديّ تلك الزائدة الظفريّة وأريد أنْ أقصّها»

لم يكن يأبه إنْ كنتَ ضيبتَ شيئاً أم لا ووضعته في مكان بعيد في أعلى الخزانة. ومع ذلك أحضرته له. وكُدتُ أُقتَل أيضاً وأنا أفعل ذلك. فحالما فتحت باب الخزانة وقع مضرب لعبة التنس الخاص بسترادليتر -بعلبته الخشبية وكل شيء- على رأسي مباشرةً. أصدرَ المضرب ضجيجاً مُرتفعاً، وتألمتُ كثيراً. لكنَّ العجوز أكليكاد يموت من فرط الضحك. وأخذ يضحك بذلك الصوت العالي الطبقة. واستمرّ في الضحك طوال الفترة التي كنتُ خلالها أُنزِل الحقيبة لأُخرِج المقص منها. إنَّ شيئاً من هذا القبيل -شخص يتلقّى ضربة على رأسه بحجر أو ما شابه- كان جديراً بدغدغة أكلي. قلتُ له «أنت تتمتع بحس فكاهي جيد لعين، أيها الفتى أكلي، أتعلمُ هذا»، وناولته المقصّ. «دعني أكون مُدير أعمالك، وأجد لك عملاً في الإذاعة اللعينة». وعدت إلى الجلوس على كرسيي من جديد، وباشر هو في قص أظافره التي تشبه القرون. قلت «ما رأيك في أنْ تستخدم الطاولة. قصّها على الطاولة، ممكن؟ لا أريد أنْ أطأ قطع أظافرك بقدميَّ الحافيتين هذه الليلة». لكنه استمرَّ في قصّها على الأرض. يا له من سلوكٍ سيئ. أنا جادّ.

قال «مَنْ هي فتاة سترادليتر؟». كان دائماً يتطرّق إلى موضوع مَنْ هي فتاة سترادليتر، على الرغم من أنه يكره سترادليتر كلّ الكره.

«لا أعلم. لماذا؟»

«لا يوجد سبب. يا إلهي، أنا لا أطيق ابن الحرام ذاك. إنه ابن حرام لا أطيقه حقاً»

قلت «إنه مولعٌ بك. لقد أخبرني أنه يعتقد أنك أشبه بأمير لعين». إنني غالباً ما أصِفُ الناس بلقب أمير عندما أعبث معهم؛ وهذا يُبعِد عني الملل أو ما شابه.

قال أكلي «يبدو متعالياً طوال الوقت. إنني ببساطة لا أطيق ابن الحرام. قد تعتقد أنه -»

قلت «أتسمح بأنْ تقصّ أظافرك على *الطاولة*، هه؟ لقد طلبتُ منك ذلك خمسين مرة –»

قال أكلي «إنه يتخذ ذلك الموقف المتعالي اللعين طوال الوقت. إنني حتى لا أعتقد أنَّ ابن الحرام ذكي. بل هو الذي يعتقد أنّه كذلك. إنه يعتقد أنه أشدّ–»

«أكلي! إكراماً لله! هلاّ تكرّمتَ من *فضلك* وقصصتَ أظافرك على الطاولة؟ لقد طلبتُ هذا منكَ خمسين مرة»

بدأ يقصّ أظافره على الطاولة، على سبيل التغيير. كان السبيل الوحيد لجعله يفعل ما تريده منه هو أنْ تصرخ في وجهه.

راقبته بعض الوقت. ثم قلت «إنَّ سبب غضبك من سترادليتر هو ما قاله عن وجوب تنظيف أسنانك مرةً كل حين. ولم يتعمَّد إهانتك بحقّ السماء. هو لم يقُل إنه أمر صائب أو أي شيء، ولكن لم يعنِ به أي شيءٍ مُهين. كل ما عناه هو أنكَ ستبدو بمظهرٍ أفضل *وتشعر* شعوراً أفضل إذا نظّفتَ أسنانك مرةً كل حين»

«إنّني أنظّف أسناني. فلا تنصحني»

قلت «كلا، لا تنظّفها. لقد رأيتكَ، أنت لا تنظفها». لكني لم أقُل هذا بطريقة فظّة. شعرتُ بما يُشبه الرثاء لأجله، بصورة ما. أعني أنه ليس أمراً مُهذباً، طبعاً، إذا قال لك أحدهم إنّك لا تنظّف أسنانك. قلت «إنَّ سترادليتر إنسان جيد. لا بأس به. أنت لا تعرفه، وهذه هي المشكلة»

«لا أزال أرى أنه ابن حرام. ابن حرام مغرور»

قلت «هو مغرور، لكنه شديد الكرم في أشياء كثيرة. هو هكذا حقاً. اسمع، لنفرض، مثلاً، أنَّ سترادليتر كان يضعُ ربطة عنق أو يرتدي شيئاً يُعجبك. فلنقُل إنه يضع ربطة عنق تعجبك إلى أقصى حد –أنا فقط أعطيك مثلاً الآن. أتعلم ماذا يمكن أنْ يفعل؟ لعله سوف يخلعها ويُعطيك إياها. قد يفعل ذلك حقاً. أو– أتعرف ماذا يمكن أنْ يفعل؟ سوف يتركها على سريرك أو في أي مكان. لكنه في كل الأحوال سوف *يُعطيك* ربطة العنق اللعينة. أغلب الناس ربما يكتفون –»

قال أكلي «*اللعنة*، لو أنَّ معي ما معه من مال، لفعلتُ أنا أيضاً الشيء نفسه معه»

«كلا، لن تفعل» وهززتُ رأسي نفياً، «كلا، لن تفعل، أيها الفتى أكلي. لو أنَّ لديك ما لديه من مال، لأصبحت واحداً من أكبر–»

«كُفَّ عن مُناداتي بـ«الفتى أكلي»، اللعنة. أنا كبير بما يكفي لأكون والدك القذر»

«كلا، لستَ كذلك». يا إلهي، أحياناً يمكنه أنْ يمور بالغضب حقاً. لم يكن يُفوّت فرصة واحدة ليُعلِمكَ بأنك في السادسة عشرة وأنه في الثامنة عشرة. قلت «أولاً، ما كنتُ لأسمح لك بالتعرُّف على عائلتي اللعينة»

«حسن، فقط كُفَّ عن مناداتي–»

وفجأةً فُتِحَ الباب، وولجَ الصديق سترادليتر، بسرعة كبيرة. كان دائماً في عجلةٍ من أمره. كل شيء بالنسبة إليه في غاية الأهميّة. اقتربَ مني وسدَّد إليَّ تينك الصفعتين العابثتين كالجحيم على وجنتيَّ – وهو شيء يمكن أنْ يكون مزعجاً جداً. قال «اسمع، هل ستذهب إلى مكانٍ معيَّن هذه الليلة؟»

«لا أعلم. قد أفعل. ما الذي يحدث في الخارج – أهي تُثلِج؟» كان الثلج يُغطي معطفه.

«نعم. اسمع. إذا لم تكن ذاهباً إلى أي مكان معيَّن، فما رأيك بإعارتي سترتك المزيَّنة بأسنان الكلاب؟»

قلت «مَنْ فاز في المباراة؟»

قال سترادليتر «إنها فقط منتصف المباراة. سوف نخرج. حتماً، هل ستلبس سترتك ذات أسنان الكلاب، أم لا؟ لقد سكبتُ شيئاً على قميصي الرمادي»

قلت «كلا، ولكن لا أريدك أنْ تمطّها بكتفيك اللعينتين وما إلى ذلك». كنا عملياً بطولٍ واحد، لكنَّ وزنه كان ضعف وزني. وكان صاحب كتفَين عريضَتين.

«لن أمطّه». وانتقلَ إلى الخزانة بسرعة. قال لأكلي «كيف الحال، أيها

الفتى أكلي؟». على الأقلّ كان سترادليتر ودوداً حقاً؛ وداً زائفاً جزئياً، لكنه كان على الأقلّ دائماً يقول مرحباً لأكلي وما إلى ذلك.

أصدر أكلي ما يشبه النخر عندما قال «كيف حال الفتى؟». لم يُجِبه، لكنه لم يكن يتحلّى بما يكفي من الشجاعة بحيث لا يُصدر ما يُشبه النخير على الأقلّ. ثم قال لي «أعتقد أني سأذهب. أراك لاحقاً»

قلت «أوكيه». لم يكن أحد ليشتاق إليه عندما يعود إلى غرفته الخاصة.

بدأ سترادليتر ينزع عنه معطفه وربطة عنقه وما إلى ذلك. قال «أعتقد أني سأحلق ذقني على عجل». كانت لحيته طويلة جداً. طويلة حقاً.

سألته «أين فتاتك؟»

«تنتظرني في المُلحق». خرج من الغرفة متأبطاً عِدَّة زينته ومنشفته. بلا قميص أو أيّ شيء. كان دائماً يتنقّل وهو عارٍ حتى وسطه لأنه يعتقد أنَّ لديه بُنية جسمانية رائعة. هذا ما اعتقده، حقاً. أعترف بهذا.

الفصل الرابع

لم يكن لديَّ شيء معيَّن أقوم به، لذلك رافقته إلى المرحاض العام ورحت أثرثر معه أثناء حلاقته لذقنه. كنا الوحيدَين في المرحاض، لأنَّ الجميع كانوا لا يزالون في الأسفل يشاهدون المباراة. كان الجو حاراً كالجحيم والنوافذ كلها يعلوها البخار. كانت هناك حوالي عشرة مغسلات، كلها مُثبَّتة إلى الجدار. احتلَّ سترادليتر الوسطى بينها. وجلستُ على تلك المجاورة له ورحت أفتح صنبور الماء البارد وأغلقه - إنها عادة عصبيّة لديّ. وأخذ سترادليتر يُصفِّر نغم «أغنية الهند» وهو يحلق ذقنه. كان صفيره من النوع الذي يثقب الآذان ولا يلتزم عملياً باللحن، ودائماً ينتقي أغنية يصعبُ أداؤها بالصفير حتى وإنْ كنتَ مُجيداً للصفير، مثل «أغنية الهند» أو «مذبحة في الجادة العاشرة». كان في وسعه أنْ يعيثَ فساداً في كل أغنية.

أتذكُر كيف قلتُ من قبل إنَّ أكلي أخرق في عاداته الشخصية؟ حسن، وكذا كان سترادليتر، ولكن بطريقة مختلفة. سترادليتر كان أخرق بصورة سرّية. كان دائماً يبدو أنه على ما يُرام، هذا السترادليتر، ولكن عليك، مثلاً، أنْ ترى الموسى التي يحلق بها ذقنه. كانت دائماً صدئة كالجحيم ومملوءة برغوة الصابون وبالشَعر وبالقذارة. لم يكن يُنظّفها قط أو أي شيء. كان دائماً يبدو حسن المظهر بعد أنْ ينتهي من زينته، لكنه في السر كان أخرق في كل الأحوال، لو أنكَ عرفته كما عرفته أنا. والسبب في حرصه على أنْ يبدو بمظهر حسن يعود إلى حبه المجنون لنفسه. كان يظن أنه أشد الشبان وسامةً في النصف الغربي من الكرة الأرضية. وكان حقاً وسيماً - أعترفُ بهذا. لكنه كان وسيماً من النوع الذي إذا شاهد والداك صورته في كتاب العام الخاص بك، سيقولان بإعجاب على الفور «مَنْ هذا الفتى؟». أعني

أنه كان في الغالب من النوع الوسيم الذي تجد صورته في كتاب العام. وقد عرفتُ عدداً كبيراً من فتية مدرسة بنسي كانوا في اعتقادي أشد وسامة بكثير من سترادليتر، لكنهم لا يبدون وسيمين إذا شاهدتَ صورهم في كتاب العام. سوف يبدون كأنَّ لهم أنوفاً كبيرة أو كأنَّ آذانهم منتصبة وبارزة. وكثيراً ما مررتُ بمثل هذه التجربة.

على أي حال، كنتُ جالساً على المغسلة المجاورة للتي يحلق عندها سترادليتر، أفتح صنبور الماء وأغلقه. ولا أزال أعتمر قبعة الصيد الحمراء، وقمّتها تتّجه إلى الخلف وما إلى ذلك. لا شك في أني حققتُ نجاحاً بواسطتها.

قال سترادليتر «هيه، هلاّ قدّمتَ لي معروفاً كبيراً؟»

قلت «ما هو؟». من دون حماس شديد. كان دائماً يطلب منك معروفاً كبيراً. إنَّ كل شاب يتمتع بوسامة شديدة، أو يعتقد أنه شخصية هامة، دائماً يطلب منكَ معروفاً كبيراً. فقط لأنه مجنون بحب نفسه، ويعتقد أنكَ مولع به أيضاً، وأنكَ تكاد تموت توقاً إلى تقديم معروف إليه. إنه أمر مضحك، بصورة ما.

قال «هل ستخرج هذه الليلة؟»

«قد أفعل. وقد لا أفعل. لا أدري. لماذا؟»

قال «لدي حوالي مِئة صفحة من التاريخ عليَّ أنْ أقرأها في يوم الإثنين. ما رأيك أنْ تكتب لي موضوع إنشاء، في مادة اللغة الإنكليزية؟ سأكون في ورطة إذا لم أُنجز الشيء اللعين بحلول يوم الإثنين. هذا هو سبب طلبي. ما رأيك؟»

كان شيئاً يدعو إلى السخرية. كان كذلك حقاً.

قلت «*أنا* الذي سيُطرَد من المكان اللعين، *وأنت* تطلب مني أنْ أكتب لك موضوع إنشاء لعيناً»

«نعم، أعلم. ولكن النقطة هي أني سأقع في مأزق إذا لم أفعل. كُن صديقاً. كُن صديقاً لي. أوكيه؟»

لم أُعطِهِ جواباً فورياً. التشويق يُفيد بعض أولاد الحرام مثل سترادليتر.

قلت «عمَّ؟»

«عن أي شيء. أي شيء وصفيّ. عن غرفة، أو منزل. أو شيء عشت فيه ذات مرة أو ما شابه – أنت تعلم. ما دام أنه وصفيّ كالجحيم»، وتثاءبَ تثاؤباً واسعاً وهو يقول هذا، وهو أمر يُسبب لي إزعاجاً ما بعده إزعاج. أعني إذا ما تثاءبَ أحدهم وهو يطلب منك معروفاً لعيناً. قال «فقط لا تجعله بارعاً جداً. إنّ ابن الحرام ذاك هرتزل يعتقد أنكَ متفوِّق في اللغة الإنكليزية، ويعلم أنك شريكي في الغرفة. لذلك أعني لا تضع كل الفواصل وما شابهها في مواقعها الصحيحة»

وهذا شيء آخر يزعجني كثيراً. أعني إذا كنتَ بارعاً في كتابة المواضيع الإنشائية ثم بدأ أحدهم يتكلّم عن الفواصل. كان سترادليتر دائماً يفعل ذلك. كان يريد منكَ أنْ تعتقد أنَّ السبب الوحيد الذي يجعل منه سيئاً في الإنشاء هو لأنه يضع الفواصل كلها في المكان الخطأ. كان يُشبه قليلاً أكلي، في هذا المجال. وذات مرة جلستُ بجوار أكلي في أثناء مباراة في كرة السلّة. وكان لدينا في المباراة لاعب رائع، اسمه هوي كويل، يستطيع أنْ يُسجل هدفاً من منتصف الملعب، حتى دون أنْ تلمس الكرة اللوح الخلفيّ أو أي شيء. وأخذ أكلي يُردّد طوال فترة المباراة اللعينة أنَّ لكويل بُنية ممتازة من أجل لعب كرة السلّة. يا إلهي، كم أكره ذلك.

بعد قليل مللتُ الجلوس على المغسلة، فتراجعتُ بضعة أقدام وبدأتُ أؤدي رقصة الربت بأسفل القدمين على الأرض، فقط لأجل الرقص. كنتُ فقط أتسلّى. إنني لا أُحسِن رقص الربت في الحقيقة أو أي شيء، لكنَّ أرضية المراحيض كانت من الحجر، وجيدة من أجل رقصة الربت. ورحتُ أقلّدُ أحد أولئك الذين أشاهدهم في السينما. في أحد تلك الأفلام الموسيقية. إنني أكره السينما كالسُمّ، لكنني أنجح في تقليدهم. راقبني العجوز سترادليتر من خلال المرآة أثناء حلاقته ذقنه. كل ما أحتاج إليه هو جمهور مُشاهِد. أنا أميل إلى الاستعراض. قلت «أنا ابن الحاكم اللعين». كنتُ أُرهِقُ نفسي؛ أقوم برقصة الربت في كل أرجاء المكان. «إنه لا يُريدني أنْ أكون راقص ربت. يُريدني أنْ ألتحق بأوكسفورد. لكنَّ رقص الربت في دمي اللعين». ضحك

ستراديلتر. حسّه الفكِه لم يكن سيئاً. «إنها ليلة افتتاح زيغفلد فوليز[1]». بدأتْ أنفاسي تنقطع، وأنا من الأساس لا نفَس طويلًا لديّ. «الراقص الرئيسي لا يستطيع الاستمرار. إنه سكران كأبنِ حرام. فمن سيحلّ محله؟ إنه أنا طبعاً. ابن الحاكم اللعين العجوز الحقير»

قال ستراديلتر «من أين لك هذه القبعة؟». كان يعني قبعة الصيد. لم يكن قد شاهدها قبل ذلك.

على أي حال كانت أنفاسي قد انقطعتْ، فكففتُ عن العبث واللهو. خلعتُ قبعتي ونظرت إليها ربما للمرة التسعين. «اشتريتها من نيويورك في صباح هذا اليوم. بدولار. أتعجبك؟»

هزَّ ستراديلتر رأسه إيجاباً. قال «رائعة». لكنه كان يتملّقني، لأنه سرعان ما أضاف «اسمع. هل ستكتب موضوع الإنشاء ذاك من أجلي؟ يجب أنْ أعرف»

قلت «سأفعل، إذا توفّر لدي الوقت. إذا لم يتوفّر، لن أفعل». وذهبت لأجلس من جديد على المغسلة المجاورة له. سألته «مَنْ هي فتاتك؟ أهي فيتزجيرالد؟»

«أعوذ بالله، كلا! لقد أخبرتك، لقد انتهيت من أمر تلك الخنزيرة»

«أحقاً؟ أعطني إياها، يا صاحبي. بلا مزاح. إنها من النوع الذي يعجبني»

«خذها... إنها كبيرة جداً عليك»

وفجأةً – من دون أي مقدمات، حقاً، ما عدا أني كنتُ في ما يشبه المزاج المناسب للعبث – شعرتُ برغبةٍ في القفز عن المغسلة والإمساك بستراديلتر بحركة المُصارعة، حيث تُمسكُ بالخصم من عنقه من الخلف وتخنقه حتى الموت، إذا رغبتَ في ذلك. وهذا ما فعلته. ووثبت عليه كنمرٍ لعين.

قال ستراديلتر «كفى، هولدن، إكراماً لله!». لم يكن يرغب في العبث. كان يحلق ذقنه وما إلى ذلك. «ماذا تريدني أن أفعل – أتريدني أن أقطع رأسي؟»

لكنني لم أتركه. كنتُ أُمسكه بإحكام. قلت «حرِّر نفسك من قبضتي المتحكّمة فيك كالإثم»

1- فلورينز زيغفلد (1869–1932): مسرحي ومُنتج خاصة لسلسلة من الاستعراضات المسرحية المُبهرجة بين (1907–1931) وكانت معروفة باسم زيغفلد فوليز (حماقات زيغفلد) – المترجم

«يا يسوع *المسيح*»، وترك موسى الحلاقة، وفجأةً رفعَ ذراعيه وأفلت من قبضتي. لقد كان قوياً جداً، وكنتُ ضعيفاً جداً. قال «والآن، كُفَّ عن الخراء». وباشر الحلاقة من جديد. كان دائماً يحلق ذقنه مرتين، ليبدو رائعاً. بموساه القديمة البائسة.

سألته «مَنْ هي فتاتك إذا لم تكن فيتزجيرالد؟». جلستُ على المغسلة المجاورة له من جديد. «أهي الحلوة فيليس سميث؟»

«كلا. كان المفروض أنْ تكون هي، لكنَّ الاستعدادات فشلت كلها. لقد حصلتُ الآن على رفيقة بد ثاو في الغرفة... هيه. كدتُ أنسى. إنها تعرفك»

قلت «مَن يعرفني؟»

«فتاتي»

قلت «أحقاً؟ وما اسمها؟» ازداد فضولي.

«إنني أتذكر... آه، جين غالاغر»

يا إلهي، كدتُ أقعُ مغشياً عليّ عندما نطق اسمها.

قلت «جين غالاغر»، بل إنني نهضتُ عن المغسلة عندما قال ذلك. كدتُ أقعُ صريعاً. «معك حق أنا أعرفها. كانت تقريباً تُقيمُ جوارنا في الصيف قبل الفائت. كان لديها ذلك الكلب الضخم اللعين دوبرمان بنشر. وبواسطته تعرَّفتُ عليها. كان كلبها يتردَّد عليـ –»

قال سترادليتر «أنت تقفُ في ممر الضوء مباشرةً، يا هولدن، إكراماً لله. يجب أنْ تقف هناك»

يا إلهي، لكني كنتُ متحمساً. كنتُ كذلك حقاً.

سألته «أين هي؟ يجب أنْ أذهب وأسلِّم عليها أو ما شابه. أين هي؟ في الملحق؟»

«نعم»

«كيف تصادفَ أن أتتْ على ذِكري؟ هل تتردَّد الآن على المتحف البريطانيّ؟ قالت إنها قد تذهب إلى هناك. وقالت إنها قد تذهب إلى شيبلي أيضاً. حسبتُ أنها ذهبت إلى شيبلي. كيف تصادف أن أتت على ذكري؟».

كنتُ شديد الحماس. كنت كذلك حقاً.

قال سترادليتر «لا أعلم، إكراماً لله. انهض، ممكن؟ أنت تجلس على منشفتي». كنتُ فعلاً جالساً على منشفته التافهة.

قلت «جين غالاغر». لم أتمكن من استيعاب الأمر. «يا يسوع هـ. المسيح»

كان العجوز سترادليتر يضع مرهماً مقوياً للشَعر. المرهم الخاص بي.

قلت «إنها راقصة، ترقص الباليه وكل شيء. كانت تتدرَّب نحو ساعتين في كل يوم، في أشد حالة الطقس حرارة وكل شيء. كانت قلقة من أنْ يُسيء إلى ساقيها – أنْ يجعلها ثخينة وكل شيء. كنتُ ألعب الداما معها طوال الوقت»

«كنتَ تلعب *ماذا* معها طوال الوقت؟»

«الداما»

«*الداما*، يا لله!»

«نعم. لم تكن تحرّك أياً من ملوكها. وعندما يكون معها ملك لا تحرّكه، وتتركه في الصف الخلفي. كانت تصفّهم كلهم في الصف الأخير. ولا تستخدمهم أبداً. كانت فقط تحب منظرهم هكذا عندما يتجمعون في الصف الأخير»

لم يُعلّق ستراديليتر بأي شيء. وهذا التصرُّف لا يُثير اهتمام معظم الناس.

قلت «إنَّ أمها تنتسب إلى النادي نفسه الذي ننتسب إليه. كنتُ أعمل مُساعداً للاعب غولف ذات مرة لفترة وجيزة، لمجرد أن أكسب بعض النقود. عملتُ مساعداً لأمها في مناسبتين. استمرت في حوالي مِئة وسبعين، من أجل تسع حُفر»

لم يكن ستراديليتر يُصغي بانتباه شديد. كان يُمشّط خصلات شَعره الرائعة.

قلت «يجب أنْ أذهب وأحيّيها على الأقلّ»

«ولِمَ لا تفعل؟»

«سأفعل، حالاً»

بدأ يفرق شعره من جديد. كان تمشيط شعره يستغرق منه نحو ساعة.

قلت «أمها وأباها مُطلّقان. أمها تزوجت ثانية من كلب سكّير؛ رجل نحيل ذي ساقين كثيفتيّ الشعر. أتذكّره. كان يرتدي بنطلوناً قصيراً طَوال الوقت. قالتْ جين إنه كان من المفترض أنه كاتب مسرحي أو شيء لعين مشابه، ولكن كل ما رأيتُه يفعل هو أنْ يسكر طوال الوقت ويستمع إلى كل برنامج شيّق لعين يُبثّ في المذياع، ويركض حول المنزل اللعين، عارياً – في حضور جين، وما إلى ذلك»

قال سترادليتر «أحقاً؟». وهذا أثار اهتمامه حقاً؛ الكلب السكّير وهو يركض حول المنزل عارياً، بوجود جين. كان سترادليتر ابن حرام على قدر هائل من الجاذبية الجنسية.

«لقد عاشت طفولة تعيسة. أنا لا أمزح»

لكنَّ هذا لم يُثِر اهتمام سترادليتر. الأشياء التي تُثير جنسياً إلى أقصى مدى فقط كانت تثير اهتمامه.

«جين غالاغر. يا يسوع». لم أستطع أنْ أطرحها من ذهني. لم أتمكّن حقاً. «يجب أنْ أذهب وأحيّيها، على الأقلّ»

قال سترادليتر «لِمَ لا تذهب بحق الجحيم، بدل أنْ تُكرِّر هذا القول؟»

مشيتُ حتى النافذة، ولكن كان يتعذَّر الإطلال منها؛ كان البخار يُغطيها جرّاء حرارة المرحاض. قلت «لستُ في المزاج المناسب الآن.» لم أكن كذلك فعلاً. يتعيَّن على المرء أنْ يكون في المزاج الصحيح ليؤدي مثل تلك الأمور. «حسبتُ أنها ذهبت إلى شيبلي. كدتُ أُقسِم على أنها ذهبت إلى شيبلي». مشيتُ حول المرحاض قليلاً. لم يبق لدي شيء آخر أفعله. قلت «هل استمتعَتْ بمشاهدة المباراة؟»

«نعم، أعتقد ذلك. لا أدري»

«هل أخبرَتكَ أننا كنا نلعب الداما طوال الوقت، أو أي شيء؟»

قال سترادليتر «لا أدري. إكراماً لله، إنني بالكاد *قابلتُها*». كان يُجري اللمسات الأخيرة على تمشيط شعره الرائع اللعين، ويضعُ جانباً أدوات زينته التعيسة كلها.

«اسمع، بلِّغها أطيب تمنياتي، ممكن؟»

قال سترادليتر «أوكيه»، لكني عرفتُ أنه ربما لن يفعل. إنَّ أمثال ستراداليتر لا ينقلون تحياتك أبداً إلى الناس.

عاد إلى الغرفة، أما أنا فمكثتُ في المرحاض بعض الوقت، أفكّرُ في جين العزيزة. ثم عدتُ بدوري إلى الغرفة.

عندما دخلت كان ستراداليتر يضع ربطة عنقه، أمام المرآة. لقد أمضى نصف حياته اللعينة واقفاً أمام المرآة. جلستُ على الكرسي الخاص بي ورحتُ أراقبه بعض الوقت.

قلت «هيه، لا تُخبرها أنني طُرِدتُ، ممكن؟»

«أوكيه»

كانت تلك إحدى خِصال ستراداليتر الجيدة. لم تكن بحاجة إلى أنْ تشرح كل تفصيل صغير لعين معه، كما كان ينبغي أنْ تفعل مع أكلي. أعتقد أنّ السبب في الغالب يعود إلى أنه لم يكن يهتم كثيراً. هذا هو السبب الحقيقي. مع أكلي، كان السبب مختلفاً. أكلي كان ابن حرام صخّاباً.

ارتدى سترتي المزينة بأسنان الكلاب.

قلت «يا يسوع، حاول الآن ألا تمطّها في كل مكان». لم أكن قد لبستها أكثر من مرتين.

«لن أفعل. أين سجائري بحق الجحيم؟»

«على طاولة المكتب». لم يكن يعرف قط أين يضع أي شيء. «تحت لفاعك». وضعها في جيب معطفه – أعني معطفي *أنا*.

فجأةً شددتُ قمّة قبعة الصيد خاصتي نحو الأمام، على سبيل التغيير. فجأةً، بدأتْ أعصابي تتوتَّر. أنا شخص متوتر الأعصاب. سألته «اسمع، إلى أين سترافق فتاتك؟ ألا تعلم بعد؟»

«لا أعلم. إلى نيويورك، إذا توفّر لنا الوقت. لقد وعدتْ بألاّ تتأخر إلى أكثر من الساعة التاسعة والنصف، تصوَّر»

لم تُعجبني الطريقة التي قال بها ذلك، فقلت «لعلّ السبب في ذلك هو أنها لا تعلم كم أنتَ ابن حرام وسيم وساحر. ولو أنها *علِمت* فربما مدّدت المدة حتى الساعة العاشرة والنصف صباحاً»

قال سترادليتر «معك حق». لم يكن من السهل إثارة غضبه. كان شديد الغرور. قال «دع المزاح جانباً الآن. اكتب موضوع الإنشاء ذاك لأجلي». ارتدى معطفه، وأصبح جاهزاً تماماً للمغادرة. «لا تُرهق نفسك أو أي شيء، فقط اجعله وصفياً جداً. أوكيه؟»

لم أُجبه. لم أشعر برغبة في ذلك. واكتفيت بالقول «اسألها إنْ كانت لا تزال تحتفظ بملوكها كلهم في الصف الأخير»

قال سترادليتر «أوكيه»، لكنني عرفت أنه لن يفعل. «هوِّن عليك الآن»، وانطلق خارجاً من الغرفة.

بقيت جالساً هناك نصف ساعة أخرى بعد مغادرته. أعني أني بقيت جالساً في كرسيّ، من دون أنْ أفعل أي شيء. وواصلت التفكير في جين، وفي سترادليتر الذي سيخرج معها وكل شيء. وتَّرَ ذلك أعصابي وكدت أُجن. لقد أخبرتك تواً كم كان سترادليتر ابن حرام جذاباً جنسياً.

وفجأةً، عاد أكلي من جديد، من خلال ستارة الدوش، كالمعتاد. وللمرة الأولى في حياتي الغبية، شعرتُ بسعادةٍ حقًّا لرؤيته. لقد أبعَدَ ذهني عما أُفكر فيه.

بقيَ في المكان حتى موعد العشاء، وهو يتكلَّم عن كل فتية بنسي الذين يكرههم بشدة، ويعصر بثرة كبيرة على ذقنه. بل إنه لم يستخدم حتى منديله. بل أعتقد أنَّ ابن الحرام حتى لا يحمل منديلاً، إذا أردتَ أنْ تعرف الحقيقة. على أي حال، أنا لم أره يستخدم واحداً.

الفصل الخامس

في بنسي كنا دائماً نتناول الوجبة نفسها في أمسيات أيام السبت. ومن المُفتَرَض أنْ تكون وليمة كبيرة، لأنهم يقدّمون إليك لحماً مشوياً. وأراهن بألف دولار على أنهم كانوا يفعلون ذلك لأنَّ العديد من أولياء أمور الطلاب يأتون إلى المدرسة في يوم الأحد، ولعلَّ العجوز ثورمر تصوَّر أنَّ والدة كل طالب سوف تسأل ابنها الحبيب عمّا أكله في الليلة الفائتة، وسوف يقول «لحماً مشوياً». يا لها من خدعة. وليتك ترى قطع اللحم الصغيرة والقاسية والجافّة العصيّة على التقطيع. وكنتَ دائماً تحصل على تلك الكتلة الثقيلة من البطاطا المسحوقة في ليلة تقديم اللحم المشوي، وكحلوى بعد الطعام تحصل على براون بيتي[1]، التي لا يُقبِل على أكلها أحد، اللهم إلا الأطفال الصِغار في المدرسة الأدنى الذين لا يعرفون عنها شيئاً – وفتيةٌ كأكلي كانوا يأكلون كلَّ شيء.

كان الجو لطيفًا عندما خرجنا من قاعة الطعام. كانت هناك ثلاث بوصات من الثلج تغطّي الأرض، ولا يزال المزيد منه ينهمر بجنون. كان شيئاً فائق الجمال، خاصة عندما نباشر بالتراشق بكرات الثلج وبالمرح في أرجاء المكان كله. كان سلوكاً صبيانياً جداً، لكنَّ الجميع كانوا يستمتعون به.

لم تكن لدي فتاة أخرج معها أو أي شيء، لذلك قررنا أنا وهذا الصديق، مال بوسارد، المشترك في فريق المصارعة، أنْ نستقل حافلة إلى آغرستاون ونتناول شطيرة هامبرغر وربما نشاهد فيلماً تافهاً. لم يكن أي منا يشعر برغبة في الاكتفاء بالجلوس طوال الليل. وسألتُ مال إنْ كان يُمانع أن يأتي أكلي

1- براون بيتي: حلوى تُصنع من التفاح والخبز والتوابل.

معنا. وسبب سؤالي ذاك كان أنّ أكلي لم يكن يفعل أي شيء في أمسية يوم السبت، ما عدا المكوث في غرفته وعصر بثوره أو ما شابه. فقال مال إنه لا يُمانع لكنَّه غير متحمّس كثيراً للفكرة. إذ لم يكن يُحب أكلي كثيراً. على أي حال، ذهبنا نحن الاثنين إلى غرفتينا لنستعدّ وكل شيء، وبينما كنتُ أنتعل الحذاء الواقي وما إلى ذلك، هتفتُ أسألُ العزيز أكلي إنْ كان يرغب في الذهاب معنا إلى السينما. وسمعني من خلال ستارة الدوش، لكنه لم يُجِبني فوراً. كان من النوع الذي يكره أنْ يُجيب على الفور. وأخيراً جاء، من خلال الستارة اللعينة، ووقفَ على عتبة الدوش وسأل مَنْ سيذهب غيري. كان يتعيَّن عليه دائماً أنْ يعرف مَنْ الذي سيذهب. وأُقسِمُ، لو أنَّ ذلك الفتى جنحت به سفينة في مكانٍ ما، وأنقذته بقاربٍ لعين، لأراد أنْ يعرف مَن الشخص الذي يجدِّف فيه قبل حتى أنْ يستقله. قلت له إنَّ مال بروسارد ذاهب معنا. فقال «ابن الحرام *ذاك*... حسن. انتظر لحظة»، وكأنه يُقدِّم لي معروفاً كبيراً.

استغرقَ منه الاستعداد حوالي خمس ساعات. وفي أثناء ذلك، ذهبتُ إلى نافذة غرفتي وفتحتها وشكَّلتُ ما يُشبه الكرة من الثلج بيديَّ العاريتين. كان الثلج جيداً من أجل تشكيل الكرات. لكنني لم أكن أرميها على أي شيء. وهممتُ برميها على سيارة متوقفة عبر الشارع. لكنني غيَّرت رأيي. بدت السيارة جميلة وبيضاء. ثم هممتُ برميها على صنبور ماء، لكنه بدا أيضاً شديد الجمال والبياض. وأخيراً لم أرمها على أي شيء. كل ما فعلته هو أني أغلقت النافذة ورحت أتمشى في أنحاء الغرفة حاملاً كرة الثلج، وأضغطُها لتغدو أكثر تماسكاً. وبعد ذلك، كنتُ لا أزال أحملها عندما استقللنا أنا وبروسارد وأكلي الحافلة. فتح سائق الحافلة الأبواب وأجبرني على رمي الكتلة خارجاً. أخبرته أني لن أضرب بها أحداً، لكنه لم يُصدّقني. الناس لا يُصدقونني أبداً.

كان بروسارد وأكلي قد شاهدا الفيلم المعروض من قبل، لذلك كل ما فعلناه أننا اكتفينا بأكل بعض شطائر الهامبرغر ولعبنا قليلاً على آلة الكرة والدبابيس، ثم استقللنا الحافلة وعدنا إلى بنسي. وعلى أي حال لم أكترث لأننا لم نشاهد الفيلم. كان من المفترض أنه فيلم هزلي، من بطولة غاري

غرانت، وكل ذلك الهراء. إلى جانب ذلك، كنت قد ذهبت إلى السينما مع بروسارد وأكلي من قبل. وضحكا معاً كالضِباع على شيء يخلو تماماً من الفكاهة. بل إنني لم أستمتع بالجلوس إلى جوارهما أثناء العرض السينمائي.

عندما عدنا إلى المهجع لم تكن الساعة قد تجاوزت التاسعة إلا ربعاً. كان العزيز بروسارد مهووساً بلعبة البريدج، وبدأ يفتش حوله في المهجع عن لعبة. واستقرَّ العزيز أكلي في غرفتي، على سبيل التغيير. ولكن بدل أنْ يجلس على ذراع أريكة سترادليتر، استلقى على سريري، واضعاً وجهه على وسادتي وكل شيء. وباشر بالكلام بنبرة صوته الشديدة الرتابة، والعبث ببثوره كلها. وألقيت على مسمعه ألف ملاحظة، ولكنني لم أتمكن من التخلّص منه. كل ما فعل هو أنّه واصل الكلام بصوته الشديد الرتابة عن فتاة كان من المفترض أنْ يُقيم معها علاقة جنسية في الصيف الفائت. وكان قد حكي تلك القصّة لي حوالي مِئة مرة. وفي كل مرة كان يحكيها بطريقة مختلفة. فتارةً يقول إنّه امتطاها في سيارة ابن عمه البويك، وتارةً يقول إنّه امتطاها تحت أحد الجسور. وهذا كله كان هراء، طبعاً. كان لا يزال أعزب إنْ كنتُ أعرف أحداً أعزب. بل أشكُّ في أنْ يكون قد تحسَّسَ إحداهن. على أي حال، اضطررتُ، أخيراً، إلى أنْ أخرج وأخبره بأنَّ عليَّ أنْ أكتب موضوع إنشاء لسترادليتر، وأنَّ عليه أنْ يرحل عن المكان، لكي أتمكّن من التركيز. وأخيراً فعل، لكنه أخذ وقته كاملاً ليفعل ذلك، كالمعتاد. وبعد أنْ غادر، ارتديت بيجامتي ورداء الحمَّام واعتمرتُ قبعة الصيد، وباشرت كتابة الموضوع.

المشكلة كانت أني لم أتمكّن من تخيّل غرفة أو منزل أو أي شيء أصفه كما أراد سترادليتر. وأنا لست مولعاً بوصف الغرف والمنازل على أي حال. فماذا فعلتُ، كتبتُ عن قفاز البيسبول الخاص بأخي آلي. كان موضوعاً يحتمل الكثير من الوصف. هو كذلك حقاً. وكان لدى أخي آلي قفاز اللاعب لليد اليسرى. كان أعسر. لكنَّ الشيء القابل للوصف فيه أنه كان قد دوَّنَ قصائد على طول الأصابع والجيب وفي كل مكان. بحبرٍ أخضر اللون. كتبها عليه لكي يقرأها في وقتٍ ما وهو في الملعب عندما لا ينتبه أحد. كان حينئذٍ قد توفي الآن، إثر إصابته باللوكيميا ومات ونحن في ولاية مين، في الثامن

عشر من شهر تموز (يوليو) عام **1946**. كنتَ ستحبه. كان أصغر مني بسنتين، لكنه أذكى مني بخمسين مرة؛ وصاحب عقل وقّاد. كان أساتذته دائماً يكتبون رسائل إلى أمي، يُعبّرون فيها عن مدى سرورهم بأنْ يكون فتى مثل آلي في صفّهم. ولم يكن ذلك مجرد كلام، بل كانوا يعنون ما يقولون. ولكنَّ الأمر لم يقتصر على كونه أشد أفراد العائلة ذكاءً؛ بل كان أيضاً ألطفهم، من أوجه كثيرة. لم يكن يغضب في وجه أحد. كان من المفترض أنَّ أصحاب الشَعر الأحمر يغضبون بسهولة شديدة، لكنَّ آلي لم يكن كذلك، على الرغم من كون شعره شديد الحُمرة. وسأخبرك أي نوع من الشعر الأحمر كان لديه. لقد بدأتُ لعب الغولف وأنا لم أتجاوز العاشرة من العمر. وأذكر ذات مرة، وأنا في الثانية عشرة في فصل الصيف، باشرت بإرسال الضربة وما إلى ذلك، وانتابني إحساس غامض بأني إذا التفتُّ فجأةً، فسوف أرى آلي. ففعلتُ، وإذا به حقاً وفعلاً جالس على درّاجته خارج السياج - كان هناك ذلك السِياج الذي يُحيط بالمضمار كله- وكان هو جالساً هناك، على مسافة تُقارب المِئة والخمسين ياردة خلفي، يُراقبني وأنا أُسدد ضرباتي. ذلك كان نوع احمرار شعره. يا إلهي، كم كان فتى لطيفاً. كان يضحك بقوة على شيء فكَّر فيه على مائدة العشاء حتى يكاد ينقلب عن كرسيه. لم أكن قد تجاوزت الثالثة عشرة من العمر، وكانوا ينوون أنْ يرسلوني إلى مُحلل نفسي وما إلى ذلك، لأنني كسرت نوافذ المرأب كلها. لا ألومهم. لا ألومهم حقاً. لقد نمتُ في المرأب ليلة وفاته، وكسرت النوافذ اللعينة كلها بقبضة يدي، من دون أي سبب. بل إني حاولت أنْ أكسر كل نوافذ سيارة الستيشن التي اشتريناها في صيف ذلك العام، لكنَّ يدي كانت حينئذٍ قد انكسرتْ وكل شيء، ولم أستطع أنْ أفعل ذلك. كان تصرفاً أحمق، أعترفُ، لكنني لم أعِ ما أفعل، وأنت لم تعرف آلي. إنَّ يدي لا تزال تؤلمني بين حينٍ وآخر، عندما تُمطر الدنيا وكل شيء، ولم أعد أستطيع أنْ أستعمل قبضتي -أعني، أنْ أشدّها- ولكن ما عدا ذلك لم يهمني أي شيء. أعني أني لن أُصبحَ طبيباً جرّاحاً أو عازف كمان أو أي شيء على أي حال.

على أيّة حال، هذا ما كتبته في موضوع إنشاء ستradليتر عن قفاز بيسبول العجوز آلي. كنتُ أحتفظ به، في حقيبتي، فأخرجته ونسخت القصائد

المدوَّنة عليه. وكل ما كان عليَّ أنْ أفعله هو أنْ أغيِّر اسم آلي بحيث لا يعرف أحد أنَّ المقصود هو أخي وليس سترادليتر. لم أكن متحمساً جداً لفعل ذلك، ولكن لم يخطر في بالي أي وصفٍ لأي شيء آخر. ثم إني بصورة ما أحببتُ أنْ أكتب عنه. واستغرق مني ذلك نحو ساعة من الزمن، لأنه تعيَّنَ عليَّ أنْ أستخدم آلة سترادليتر الكاتبة البائسة، وكانت تتعثَّر وأنا أكتب عليها. والسبب في أني لم أستخدم آلتي الخاصة هو أنني كنتُ قد أعرتها لفتى في القاعة.

كانت الساعة قد اقتربت من العاشرة والنصف عندما انتهيت منه. لكنني لم أكن متعباً، فأطللتُ من النافذة قليلاً. كان الثلج قد توقّف عن الهطل في الخارج، ولكن كان يمكن سماع سيارة على البُعد تفشل في الإقلاع بين حين وآخر. وكان يمكن أيضاً سماع العجوز أكلي يغط في النوم، من خلال ستارة الدوش اللعينة. كان يُعاني من مشكلة في الجيوب الأنفية ولا يستطيع أنْ يتنفَّس بقوة وهو نائم. ذلك الفتى كان يُعاني تقريباً من كل شيء. من الجيوب الأنفية، والبثور، والأسنان القذرة، والبَخر، وأظافر الأصابع المتكسّرة. ولابد أنْ تشعر بقدر من الرثاء لأجل ابن الحرام المجنون.

الفصل السادس

إنَّ بعض الأشياء يصعُبُ تذكُّرها. أقصد بكلامي الآن اليوم الذي عاد فيه سترادليتر من لقائه مع جين. أعني أني لا أتذكَّر بالضبط ماذا كنتُ أفعل عندما سمعت وقع خطواته اللعينة الحمقاء على طول الرواق. لعلي كنت لا أزال أطلُّ من النافذة، ولكن أُقسِمُ أني لا أتذكَّر. كنتُ شديد القلق، هذا هو السبب. وعندما أقلقُ حقاً بشأن شيءٍ ما، لا أكتفي بالعبث، بل أتردَّد على الحمّام عندما أقلق بشأنْ أمرٍ ما. لكنني لا أتغوَّط. أكون شديد القلق فأعجز عن التغوُّط. لا أريد أنْ أُقاطع قلقي بالتغوُّط. ولو أنكَ عرفتَ سترادليتر، لقلقتَ أيضاً. لقد سبق أنْ خرجت مع ابن الحرام في موعدٍ مزدوج بضع مرات، وأعرف عمّا أتكلَّم. لقد كان معدوم الضمير. كان كذلك حقاً.

على أي حال، كانت أرضية الرواق مكسوّة بالمُشمّع، ويمكن سماع وقع خطواته اللعينة تتقدم نحو الغرفة. بل إني لا أتذكَّر أين كنتُ جالساً عندما دخل – عند النافذة، أم على كرسيّ أم كرسيه. أُقسِمُ أني لا أتذكَّر.

دخل وهو يتذمَّر من شِدّة البرد في الخارج. ثم قال «أين الجميع بحق الله؟ المكان هنا أشبه بمشرحة لعينة». ولم أزعج نفسي حتى بإجابته. إذا كان غبياً غباءً لعيناً بحيث لا يعلم أنها ليلة يوم سبت وأنَّ الجميع قد خرجوا أو هم نائمون أو ذهبوا إلى المنزل لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، فلا أنوي أنْ أزعج نفسي وأخبره. وبدأ يخلع ملابسه. لم ينطق بكلمة واحدة عن جين. ولا كلمة. ولا أنا نطقت. اكتفيتُ بمراقبته. وكل ما فعله أنه شكرني لأنني سمحتُ له بارتداء سترتي ذات أسنان الكلاب، وعلَّقها على مشجب وأودعها الخزانة.

ثم، أثناء نزعه ربطة عنقه، سألني إنْ كنتُ قد أنهيتُ كتابة موضوع الإنشاء اللعين من أجله. فأخبرته أنه قد تمّ وأنّه على سريره اللعين. فمشى إليه وقرأه أثناء حلّ أزرار قميصه. وقفَ هناك، وهو يقرأ، ويُداعب صدره وبطنه، وعلى وجهه ذلك التعبير الأحمق. كان دائماً يُداعبُ بطنه وصدره. كان مولعاً بنفسه.

وفجأةً، قال «إكراماً لله، يا هولدن. إنه عن قفاز بيسبول لعين»

قلت «وما اعتراضك؟» ببرودٍ أقصى.

«ماذا تعني – ما اعتراضي؟ لقد قلت لك إنه يجب أنْ يدور حول غرفة أو منزل لعين أو ما شابه»

«أنت قلت أنه يجب أنْ يكون وصفياً. فما الفرق إذا دار حول قفاز بيسبول؟»

«اللعنة» كان غاضباً عارماً. كان حانقاً حقاً. «أنت دائماً تؤدي الأعمال بالمقلوب». ونظر إليّ. قال «لا عَجبَ أنكَ طُرِدتَ من هنا. إنك لا تؤدي أي عمل لعين كما ينبغي. أنا جادّ. ولا أي عمل لعين»

قلت «حسن، أعِده إليّ، إذن»، وتقدَّمتُ وسحبته من يده اللعينة. ومزَّقته.

قال «ما الذي فعلته بحق الله؟»

لم أزعج نفسي حتى بالرد عليه. اكتفيتُ برمي القُصاصات في سلة النفايات، ثم تمدَّدتُ على سريري، ولم نتبادل نحن الاثنين أي كلمة مدة طويلة. خلعَ ملابسه كلها، لم يحتفظ إلا ببنطلونه القصير، واستلقيتُ على سريري وأشعلتُ سيجارة. كان التدخين ممنوعاً في المهجع، ولكن كان في الإمكان التدخين في وقتٍ متأخر من الليل بعد أنْ ينام الجميع أو يخرجوا بحيث لا يبقى مَنْ يشمّ رائحة الدخان. ثم إني دخَّنتُ لأغيظ سترادليتر. كان يستشيط غضباً إذا ما كسرت أي قاعدة. لم يكن يُدخّن قط في المهجع. أنا فقط كنتُ أفعل.

لم ينطقَ بأية كلمة عن جين. وأخيراً قلت «لقد عدتَ في وقتٍ متأخر جداً وهي وَعَدَتْ بأن تعود قبل التاسعة والنصف. هل أجبرتَها على التأخُّر؟»

كان جالساً على حافة سريره ويقصُّ أظافره اللعينة عندما سألته ذلك. قال «أخَّرتُها فقط دقيقتين. مَنْ يعِدُ بالعودةِ في التاسعة والنصف بحق الجحيم في ليلة يوم سبت؟» *يا الله*، كم أكرهه.

قلت «هل ذهبتما إلى نيويورك؟»

«أمجنون أنت؟ كيف يمكننا بحق الجحيم أنْ نذهب إلى نيويورك إذا كانت يجب أنْ تعود في التاسعة والنصف؟»

«أمر صعب»

رفعَ بصره إليّ. قال «اسمع، إذا أردتَ أنْ تدخِّن في الغرفة، فما رأيك في أنْ تنزل إلى المراحيض وتفعلها هناك؟ ربما أنت سترحل عن هذا المكان، أما أنا فسوف أبقى هنا مدة كافية حتى أتخرَّج»

تجاهلتُه. فعلتُ ذلك حقاً. وواصلتُ التدخين بنهم. كل ما فعلته هو أني تقلّبت على جنبي ورحت أراقبه يقصُّ أظافره اللعينة. يا لها من مدرسة. دائماً تراقب فيها أحداً يقصُّ أظافره اللعينة أو يعصر بثوره أو ما شابه.

سألته «هل بلّغتَها تحياتي؟»

«نعم»

لم يفعل، ابن الحرام.

قلت «وماذا قالت؟ هل سألتها إنْ كانت لا تزال تحتفظ بالملوك كلها في الصف الأخير؟»

«كلا، لم أسألها. ماذا تعتقد أننا فعلنا بحق الجحيم طوال الليل – لعبنا الداما؟»

لم أزعج نفسي بالرد عليه. يا الله، كم كرهته.

بعد قليل، سألته «إذا لم تذهبا إلى نيويورك، فإلى أين ذهبتَ معها؟». لم أتمكّن من منع صوتي من أنْ يرتعش ويتردَّد صداه في المكان. يا إلهي، كم كنتُ أصبحُ عصبياً. لقد انتابني شعور بأنَّ شيئاً أضحى غريباً.

كان قد انتهى من قصّ أظافره اللعينة. فنهضَ عن سريره، وهو لا يرتدي غير البنطلون القصير فقط، وبدأ يُصبح عابثاً بشكلٍ لعين جداً. اقتربَ من

سريري ومال عليّ وأخذ يُسدد تلك اللكمات الخفيفة العابثة المزعجة إلى كتفي. قلت «كُفّ عن هذا. أين ذهبتَ معها إذا لم تكن قد ذهبت إلى نيويورك؟»

«لم نذهب إلى أي مكان. اكتفينا بالجلوس في السيارة اللعينة»، وسدَّد ضربة أخرى صغيرة حمقاء عابثة على كتفي.

قلت «كفَّ عن *هذا*. سيارة مَنْ؟»

«سيارة إد بانكلي»

إد بانكلي كان مُدرِّب لعبة كرة السلة في مدرسة بنسي. وكان العجوز ستراdليتر أحد المُدللين لديه، لأنه اللاعب المركزيّ في الفريق، وإد بانكلي دائماً يدعه يستعير سيارته كلما أراد. ولم يكن يُسمَح للطلاب باستعارة سيارات أعضاء هيئة التدريس، لكنَّ أولاد الحرام الرياضيين كلّهم يتكاتفون معاً. في كل مدرسة التحقتُ بها، كان الرياضيون كلهم يتكاتفون معاً.

ظلَّ ستراdليتر يُسدد تلك اللكمات الخفيفة إلى كتفي وهو يحمل فرشاة أسنانه بيده، ثم وضعها في فمه. قلت «ماذا فعلت؟ أعطيتها إياه في سيارة إد بانكلي اللعينة؟». كان صوتي ينم عن شيء فظيع.

«يا له من سؤال. أتريدني أنْ أغسل فمك بالصابون؟»

«هل *فعلت*؟»

«هذا سر المهنة، يا صاحبي»

الجزء التالي لا أتذكَّره بوضوح. كل ما أعرفه هو أني نهضتُ عن السرير، وكأني أهمُّ بالتوجّه إلى المراحيض أو ما شابه، ومن ثم حاولتُ أنْ أضربه، بكل عزمي، سدَّدتُ لكمة مباشرة على فرشاة الأسنان، لكي تشق حنجرته اللعينة. لكني أخطأت. لم أتمكن من ذلك. وكل ما فعلته هو أني أصبته على جانب الرأس أو ما شابه. لعله تألَّم قليلاً، ولكن ليس بالقدر الذي أردته. وربما كان يمكن نْ يتألَّم أكثر، لكني نفَّذتها بيدي اليُمنى، وأنا لا أُحسِنُ استخدام قبضتي اليُمنى، بسبب الجرح الذي حكيت لكَ عنه.

على أي حال، الشيء التالي الذي أعيه هو أنني كنتُ على الأرض اللعينة

وهو جالس على صدري، ووجهه مُحتقن. بمعنى أنه كان يضع رُكبتيه على صدري، وكان وزنه يبلغ نحو طن. وقبض على رسغيّ، أيضاً، بحيث أعجز عن تسديد أي ضربة إليه. كان في وسعي أنْ أقتله.

وظلّ يُردِّد «ما خطبكَ بحق الجحيم؟»، وكان وجهه يزداد حُمرة باطراد. قلت له «أبعد ركبتيك اللعينتين عن صدري». وكنتُ أصرخُ تقريباً. حقاً. «هيا، ابعد عني، يا ابن الحرام التافه»

لكنه رفض. ظلّ قابضاً على رسغيّ وبقيتُ أنعته بابن الحرام وما إلى ذلك، طوال ما يُقارب عشر ساعات. بل أكاد لا أتذكَّر كل ما قلته له. قلت له إنه يعتقد أنَّ في إمكانه أنْ يمتطي من يشاء. قلت له إنه حتى لا يأبه إنْ كانت الفتاة تحتفظ بملوكها كلهم في الصف الأخير أم لا، والسبب في عدم اكتراثه هو أنه مُغفّل أحمق لعين. كان يكره أنْ ينعته أحد بالمغفّل. كل المغفّلين يكرهون أنْ يُنعتوا بالمغفّلين.

قال بوجهه الكبير الأحمق والأحمر «اخرس الآن يا هولدن، فقط اخرس، الآن»

«إنكَ حتى لا تعرف إنْ كان اسمها الأول هو جين أم جون، أيها المُغفَّل اللعين»

قال «الآن، *اخرس*، يا هولدن. اللعنة – أنا أحذِّرك». لقد لعبت بأعصابه حقاً. «إذا لم تخرس، فسوف أسدد لك لكمة قوية»

«أبعد رُكبتيك المُغفّلتين النتنتين القذرتين عن صدري»

«إذا تركتكَ تنهض، هل تُبقي فمك مُغلقاً؟»

لم أزعج نفسي بالرد عليه.

كرر «هولدن، إذا تركتكَ تنهض، هل تُبقي فمكَ مُغلقاً؟»

«نعم»

نهضَ عني، ونهضتُ بدوري. كان صدري يؤلمني بشدّة بسبب ضغط رُكبتيه القذرتين. قلت له «أنت ابن حرام أحمق وقذر ومغفَّل»

هنا انتابه جنون حقيقي. هزَّ إصبعه الكبيرة الحمقاء في وجهي. «هولدن، اللعنة، أنا أحذِّرك، الآن. للمرة الأخيرة. إذا لم تُبقِ فمك مُغلقاً، فسوف –»

قلت «ولِمَ أفعل؟» – كنتُ أصرخ بكل معنى الكلمة. «هذه هي مشكلة

كل المغفّلين أمثالك. لا تريدون مناقشة أي شيء. هكذا تميّزُ دائماً المُغفّلين. إنهم لا يريدون أبداً أنْ يُناقشوا أيّ شيء عقلانـ-»

هنا انقضَّ عليَّ جدياً، والشيء التالي الذي وعيته هو أني عدتُ من جديد إلى الأرض اللعينة. لا أذكر إنْ كان قد صرعني أم لا، لكني لا أعتقد. فمن الصعب جداً صرع شخص ما، إلا في الأفلام السينمائية. لكنَّ أنفي كان ينزف في كل مكان. وعندما رفعتُ بصري، وجدتُ ستر ادليتر يقفُ فوقي تماماً، متأبطاً عِدة الحلاقة اللعينة. قال «لِمَ لا تخرس بحق الجحيم عندما آمركَ بذلك؟». بدا شديد العصبية. لعلّه كان يخشى أنْ يكون قد شرخَ جمجمتي أو ما شابه عندما وقعتُ أرضاً. من المؤسف أنَّ هذا لم يحدث. قال «أنت الذي بدأ، اللعنة». يا إلهي، كم بدا قلقاً.

لم أزعج نفسي حتى بالنهوض. بقيتُ في مكاني على الأرض بعض الوقت، وبقيتُ أناديه بابن الحرام المُغفَّل. كنتُ شديد الغضب، وأزعق بكل معنى الكلمة.

قال ستر ادليتر «اسمع، اذهب واغسل وجهك. أتسمع؟»

قلت له أنْ يذهب هو ويغسل وجهه المغفَّل - وهو قولٌ يدلُ على صبيانية مُفرطة، لكنني كنتُ غاضباً كالجحيم. قلت له أنْ يتوقف في طريقه إلى المراحيض عند السيدة شميدت ويُعطيها إياه. والسيدة شميدت كانت زوجة الحاجب وفي نحو الخامسة والستين من العمر.

بقيتُ جالساً هناك على الأرض إلى أنْ سمعتُ المدعو ستر ادليتر يُغلق الباب ويمشي على طول الرواق نحو المراحيض. ثم نهضت. لم أستطع العثور على قبعة الصيد اللعينة في أي مكان. وأخيراً عثرتُ عليها. كانت تحت السرير. اعتمرتُها، وأدرتُ القمّة العجوز إلى الخلف، كما أحب أنْ أفعل، ثم مشيتُ وألقيتُ نظرة على وجهي الأحمق في المرآة. لم أر في حياتي مثل تلك البقعة الكبيرة من الدم المتخثر. كان الدم يُحيط بفمي وبذقني ويُلوّث حتى بيجامتي ورداء الحمّام. خفتُ من ناحية وفتنني المشهد من ناحيةٍ أخرى. كل ذلك أضفى عليَّ مظهراً صلباً. ولم أكن قد خضت إلا قتالَين في حياتي، وخسرت في كليهما. أنا لستُ صلباً جداً. أنا إنسان مُسالم، إذا أردتَ الحقيقة.

انتابني إحساسٌ بأنه ربما سمع العجوز بكلي كل الجَلَبة وكان يقظاً. لذلك مررتُ عبر ستارة الدوش إلى غرفته، لأرى فقط ما الذي يفعله بحق الجحيم. كنتُ نادراً ما ألج غرفته. كانت دائماً تفوحُ منها رائحة عفن غريبة، لأنه كان قذراً في عاداته الشخصية.

الفصل السابع

تسلَّلَ قليلٌ من الضوء من خلال ستارة الدوش وكل ذلك من غرفتنا، فرأيته متمدداً على السـرير. وعرفتُ على الفور أنه يقظ تماماً. قلت «أكلي؟ أأنتَ يقظ؟»

«نعم»

كان الظلام شاملاً، فدستُ على حذاء أحدهم على الأرض وكدتُ أقع على قمة رأسي. استقام أكلي في جلسته على السرير واتَّكأ على ذراعه. كان وجهه مُغطى بطبقة سميكة من مادة بيضاء، لمعالجة بثوره. بدا مُخيفاً في الظلام. قلت «ماذا تفعل بحقّ الجحيم؟»

«ماذا تعني بماذا أفعل؟ كنتُ أحاول أنْ أنام قبل أنْ تبدآ بإثارة الضجيج. لماذا كنتما تتشاجران بحق الجحيم؟»

«أين مفتاح النور؟» لم أتمكن من العثور على مفتاح الضوء وأنا أُمرّر يدي على طول الجدار.

«ما حاجتك إلى الضوء؟... إنه بجوار يدك مباشرة»

أخيراً وجدتُ مفتاح الضوء وأدرته. رفعَ العجوز أكلي يده لكي لا يؤذي الضوء عينيه.

قال «*يا يسوع!* ما الذي حدث لك؟» كان يُشير إلى الدم وما إلى ذلك.

قلت «نشب شجار صغير لعين بيني وبين سترادليتر»، ثم جلستُ على الأرض. لم يكن لديهما أي كرسي في غرفتهما. لا أعلم ما الذي يفعلانه بحق الجحيم بكراسيهما. قلت «اسمع، هل ترغب في لعب الكاناستا[1]؟». كان مولعاً بلعب الكاناستا.

1- الكاناستا: من ألعاب الورق.

«إنك لا تزال تنزف، وحقّ لله. يُستحسن أنْ تضمّد الجرح»

«سوف يتوقف. اسمع. هل ترغب في لعب دور صغير بالكاناستا أم لا ترغب؟»

«كاناستا، بحقّ لله. أتعرف كم الساعة الآن، ولو بالتخمين؟»

«الوقت ليس متأخراً. الساعة لم تتجاوز الحادية عشرة، أو الحادية عشرة والنصف»

قال أكلي «*تقريباً*. اسمع، يجب أنْ أستيقظ باكراً وأذهب لحضور قدّاس الصباح، إكراماً لله. وأنتما الاثنان بدأتما بالصراخ والشجار وسط الشيء اللعين – بالمناسبة، لماذا كنتما تتشاجران؟»

قلت له «إنها قصة طويلة. لا أريد أنْ أُثير ضجرك، يا أكلي. أنا أفكّر في مصلحتك». لم أكن أناقشُ أموري الشخصية قط معه. أولاً، لأنه كان أشدّ غباءً من سترادليتر. كان سترادليتر عبقرياً لعيناً بالمقارنة بأكلي. قلت «هيه، أتمانع في أنْ أنام في سرير إيلاي هذه الليلة؟ لن يعود حتى مساء الغد، ما رأيك؟». كنتُ أعلم جيداً أنه لن يُمانع. فغالباً ما يذهب إيلاي إلى منزله كلّ نهاية أسبوعٍ لعينة.

قال أكلي «لا أعلم متى سيعود»

يا إلهي، كم أزعجني هذا. «ماذا تعني بحقّ الجحيم – بأنكَ لا تعلم متى سيعود؟ إنه دائماً لا يعود قبل ليلة يوم الأحد، أليس كذلك؟»

«كلا، ولكن بحقّ الله، لا أستطيع أنْ أقول لأي شخص إنه يمكن أنْ ينام في سريره اللعين إذا أراد»

هذا الكلام أزعجني. مددتُ يدي من مكان جلوسي على الأرض وربتُّ على كتفه اللعينة. قلت «أنت أمير، أيها الفتى أكلي. أتعلمُ هذا؟»

«كلا، أنا أُصرّ – لا أستطيع أنْ أقول ببساطة لأي شخص أنْ ينام في–»

قلت «أنت أمير حقيقي. أنت سيد محترم وعالِم، يا فتى». وكان كذلك فعلاً. «هل لديك أي سيجارة، بالمناسبة؟ – إذا قلتَ «لا» سأقع صريعاً»

«كلا، في الواقع ليس لدي. اسمع، ماذا كان سبب الشجار؟»

لم أُجِب. كل ما فعلته كان أني نهضتُ واقفاً واقتربتُ لأطلّ من النافذة. فجأةً شعرت بوحشةٍ فظيعة. كدتُ أتمنى الموت.

قال أكلي «ماذا كان سبب الشجار الصاخب، على أي حال؟»، للمرة الخامسة عشرة. لا ريب في أنه كان مملاً في ذلك.

قلت «بسببك»

«بسببي *أنا*، إكراماً لله؟»

«نعم. كنتُ أدافعُ عن شرفِكَ اللعين. لقد قال سترادليتر إنكَ صاحب شخصية تافهة. فلم أستطع أنْ أدعه ينجو بقوله هذا»

هذا أثار انتباهه. «أقال هذا؟ أتمزح؟ أقال هذا؟»

قلت له إني كنتُ أمزح، ثم ذهبتُ واستلقيت على سرير إيلاي. يا إلهي، كم شعرتُ أني نتن. شعرتُ بأني وحيدٌ لعين.

قلت «هذه الغرفة تفوح بالنتانة. أشمُّ فيها رائحة جوربك من هنا. ألا ترسله أبداً إلى التنظيف؟»

قال أكلي «إذا لم يعجبك، أنت تعرف ماذا تستطيع أنْ تفعل». يا له من ذكي. «ما رأيك أنْ تُطفئ الضوء؟»

لكني لم أُطفئه فوراً. بقيتُ مستلقياً هناك على سرير إيلاي، أفكّرُ في جين وما شابه. كدتُ أصلُ إلى حافّة الجنون وأنا أتخيّلها مع سترادليتر في سيارة إد بانكلي بمؤخرتها الضخمة. وكلما فكّرتُ في ذلك أشعرُ برغبة في القفز من النافذة. المشكلة هي أنكَ لا تعرف سترادليتر. وأنا أعرفه. إنَّ معظم الفتية في مدرسة بنسي لا *يتحدثون* إلّا عن ممارسة الجنس مع الفتيات طوال الوقت –كما يفعل أكلي، مثلاً– أما سترادليتر فقد نفَّذ ذلك فعلاً. وأنا شخصياً أعرفُ فتاتين على الأقلّ مارس معهما الجنس. هذه حقيقة.

قلت «احكِ لي قصة حياتك الرائعة، أيها الفتى أكلي»

«ما رأيك أنْ تُطفئ النور اللعين؟ يجب أنْ أستيقظ باكراً وأحضر قُداس الصباح»

نهضتُ وأطفأت النور، بكل سرور. ثم عدتُ واستلقيت على سرير إيلاي.

قال أكلي «ماذا تنوي أنْ تفعل – ستنام على سرير إيلاي؟». كان مضيفاً مثالياً، يا إلهي.

«قد أفعل. وقد لا أفعل. لا تقلق بهذا الشأن»

«أنا لستُ قلقاً حول هذا. ولكن، أكره كل الكره أنْ يأتي إيلاي فجأةً ويجد فتى–»

«اطمئن. لن أنام هنا. لن أُسيء إلى حُسن ضيافتك اللعينة»

بعد دقيقتين كان يغط بعمق. لكني بقيتُ مُستلقياً هناك في الظلام، وحاولت ألا أتخيَّل جين وسترادليتر وهما في سيارة إد بانكلي اللعينة. ولكن كاد يكون ذلك مستحيلاً. المشكلة هي أنّي كنتُ أعلم أسلوب ذلك الفتى سترادليتر. وهذا زاد الطين بلة. وفي إحدى المرات كنا في موعد مزدوج في سيارة إد بانكلي، وكان سترادليتر يجلس في الخلف، مع فتاته، وجلستُ في المقدّمة، مع فتاتي. يا لأسلوب ذلك الفتى. ما فعله كان أنه بدأ يُمطِر فتاته بالكلام المعسول بذلك الصوت الشديد الهدوء، *والصادق* –وكأنه ليس فقط شديد الوسامة بل ولطيف *وصادق* أيضاً. وكدت أتقيّأ، وأنا أصغي إليه. وظلت فتاته تُردّد «لا–*أرجوك*. أرجوك، لا تفعل. *أرجوك*». لكنَّ العجوز سترادليتر واظبَ على إغراقها بالكلام المعسول بصوته الصادق النبرة، على طريقة إبراهام لينكولن، وأخيراً ساد ذلك الصمت الرهيب في خلفيّة السيارة. كان شيئاً مُحرِجاً حقاً. لا أعتقد أنه مارس الجنس مع تلك الفتاة في تلك الليلة– لكنه اقترب من ذلك. اقتربَ *كثيراً*.

بينما كنتُ متمدداً وأحاول ألاّ أفكّر، سمعت العجوز سترادليتر يعود من المراحيض ويلجُ غرفتنا. كان في الإمكان سماعه يضعُ جانباً عِدّة زينته البائسة، وما إلى ذلك، ويفتح النافذة. كان مولعاً بالهواء النقي. ثم، بعد ذلك بقليل، أطفأ النور. إنه حتى لم ينظر حوله ليرى إنْ كنتُ موجوداً.

كان جو اليأس يعمّ حتى الشارع. لم يكن في الإمكان سماع حتى ضجيج أيّة سيارة. انتابني إحساس شديد بالوحشة وبالقذارة، حتى إني رغبتُ في إيقاظ أكلي.

قلت «هيه، أكلي»، بصوتٍ هامس، لكي لا يسمعني سترادليتر من خلال ستارة الدوش.

لكنَّ أكلي لم يسمعني.

«هيه، أكلي!»

لكنه لم يسمعني. كان نائماً كصخرة.

«هيه، *أكلي!*»

هذه المرة سمع.

قال «ماذا بك بحق الجحيم؟ كنتُ نائماً، إكراماً للمسيح»

سألته «اسمع. كيف السبيل للانضمام إلى الدير؟». كنتُ أُقلّب فكرة الانضمام إلى أحد الأديرة. «هل يجب أنْ تكون كاثوليكياً وما إلى ذلك؟»

«حتماً يجب أنْ تكون كاثوليكياً. يا ابن الحــــرام، هل أيقظتني فقط لتســـــألني هذا الســـــؤال الأحمـ –»

«آه، عُدْ إلى النوم. لن أنضم إلى أحدها على أي حال. ربما يؤهّلني نوع الحظ الذي لديّ للانضمام إلى دير مع مجموعة غير مناسبة من الرهبان. كلهم من أولاد الحرام الحمقى. أو فقط أولاد حرام»

عندما قلت هذا، اعتدلَ العجوز أكلي مهتاجاً على السرير. قال «اسمع، لا يهمني ما تقوله عني أو عن أي شيء، ولكن إذا بدأتَ تثرثر عن ديانتي اللعينة، وحقّ المسيح –»

قلت «اطمئن، لا أحد سيُثرثر حول ديانتك اللعينة». نهضتُ عن سرير إيلاي، واتجهت نحو الباب. لم أرغب في المكوث في ذلك الجو أكثر من ذلك. لكني توقفت في الطريق، وتناولت يد أكلي، وصافحته مصافحة زائفة، شديدة. فانتزعها مني. قال «ما الداعي؟»

قلت «بلا داع. أريد فقط أنْ أشكرك لأنك كنتَ أميراً لعيناً، هذا كل شيء». قلت هذا بذلك الصوت ذي النبرة الصادقة. قلت «أنت ممتاز، أيها الفتى أكلي. أتعلمُ هذا؟»

«أنت حكيم. ذات يوم سوف يأتي مَنْ يسحقُ –»

لم أزعج نفسي حتى بالإصغاء إليه. أغلقت الباب اللعين وخرجت إلى الرواق.

كان الجميع نياماً أو خرجوا أو في منازلهم لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، وكان الجو في الرواق هادئاً جداً، جداً ويبعثُ على الانقباض. كان هناك صندوق فارغ لأنابيب معجون الأسنان كولينوس خارج باب ليهي وهوفمَن، وبينما كنت أسير باتجاه الدرج، أخذت أركله بذلك الخف المُبطَّن بالصوف الذي أنتعله. كنتُ أفعل ما يخطر في بالي. فكَّرت في أنْ أهبط إلى أسفل وأرى ما يفعله العجوز مال بروسارد. ولكن فجأةً غيَّرت رأيي. فجأةً قرّرتُ أنَّ ما أريد حقاً أنْ أفعل، هو أنْ أغادر بنسي - في تلك الليلة ذاتها وكل شيء. أعني ألَّا أنتظر حتى يوم الأربعاء أو أي شيء. أنا فقط لم أعد أرغب في البقاء أكثر من ذلك. أصبحَ المكان يجعلني أشعر بالحزن والوحشة. وقرّرتُ أنْ أنزل في غرفة في فندق في نيويورك- فندق رخيص جداً وما إلى ذلك - وأسترخي حتى حلول يوم الأربعاء. ثم، في يوم الأربعاء، سوف أتوجه إلى المنزل وأرتاح كل الارتياح. اعتقدتُ أنَّ أبويّ ربما لن يستلما رسالة العجوز ثورمر التي تقول إنني قد طُرِدتُ قبل يوم الثلاثاء أو الأربعاء. لم أرد أنْ أذهب إلى المنزل أو أي شيء إلى أنْ يستلماها ويستوعبا الأمر كله وما شابه. لم أرد أنْ أكون حاضراً *لحظة* استلامهما لها. إنَّ أمي تنتابها هستيريا شديدة. لكنَّ وضعها يتحسَّن بعد أنْ تستوعب الأمر بصورة تامة. ثم إني كنتُ في حاجة إلى إجازة قصيرة. كانت أعصابي مُرهقة. حقاً.

على أي حال، هذا ما قرّرتُ أنْ أفعل. فعدتُ إلى الغرفة وأدرتُ مفتاح النور لأحزم متاعي وما إلى ذلك. وكنتُ قد حزمت بعض الأغراض. ولم يستيقظ العجوز سترادليتر. أشعلتُ سيجارة وارتديتُ كامل ملابسي ومن ثم حزمت حقيبتيّ سفر لدي. لم يستغرق مني الأمر أكثر من دقيقتين. أنا سريع جداً في حزم الأمتعة.

هناك شيء صغير يُزعجني في شأن حزم الأمتعة: يجب أنْ أحزم مزلجة الثلج الجديدة التي كانت أمي قد أرسلتها إليّ قبل يومين فقط. هذا ما أزعجني. أكاد أرى أمي تلج محلات سبولدنغ وتطرح على البائع مليون سؤال بليد -وهنا تلقّيتُ ضربة جديدة، وحزنتُ كثيراً. لقد ابتاعت لي النوع

الخطأ من المزلاجات– أردتُ مزلجة سباق وهي ابتاعت لي مزلجة لعبة الهوكي – لكنَّ الأمر أحزنني في كل الأحوال. وفي كل مرة كان يُقدم لي أحد هدية ينتهي الأمر بإحساسي بالحزن.

بعدما حزمتُ كل الأمتعة رحتُ أحصي نقودي. لا أذكر بالضبط كم كان معي، لكنني كنتُ أحمل الكثير منها. وكانت جدتي قد بعثت إليّ قبل أسبوع حزمة من الأوراق المالية. ولديَّ جدة مُغالية في الإسراف في مالها. ولم تعد تحتفظ بكامل وعيها –إنها عجوز طاعنة في السن– وتواظب على إرسال النقود إليّ بمناسبة عيد ميلادي حوالي أربع مرات في العام. على أي حال، على الرغم من أني أحمل الكثير من النقود، رأيتُ أني أستطيع دائماً أنْ أقبل مزيداً من الدولارات. قد أحتاجها. لذلك ما فعلته هو أني هبطتُ إلى الصالة وأيقظتُ فريدريك وودرَفْ، هذا الفتى الذي أعرته آلتي الكاتبة. سألته كم يُعطيني ثمناً لها. كان فتى ثرياً جداً. قال إنه لا يعلم. قال إنه لا يرغب كثيراً في شرائها. لكنه أخيراً اشتراها. كانت قد كلّفتني تسعين دولاراً، ولم يدفع لي إلا عشرين. وغضب لأني أيقظته.

عندما أصبحتُ مستعداً للانطلاق، بعد أنْ أعددتُ حقائبي وكل شيء، وقفتُ برهةً بجوار الدَرَج وألقيتُ نظرة أخيرة على طول الرواق اللعين. وبكيت. لا أدري لماذا. اعتمرت قبعة الصيد، وأدرتُ قمّتها نحو الخلف، كما أحب، ومن ثم صرختُ بأعلى صوتي اللعين «*نوماً هنيئاً، أيها المغفَّلون!*»، وأراهن على أني أيقظتُ كل ابن حرام في الطابق كله. ثم انطلقتُ خارجاً بأقصى سرعة. كان أحد الحمقى قد رمى قشور الفستق السوداني على كل أرجاء الدَرَج، وكدتُ أحطّم عنقي المعتوه بسببها.

الفصل الثامن

كان الوقت قد تأخَّر على استدعاء سيارة أجرة أو أي شيء، لذلك قطعت المسافة حتى المحطة مشياً على قدميّ. لم تكن بعيدة جداً، لكنَّ الجو كان شديد البرودة، وجعل الثلج المشي أشدّ صعوبة، وكانت الحقيبتان ترتطمان بساقيّ بقوة. لكني استمتعت بصورة ما بالهواء وما إلى ذلك. المشكلة الوحيدة كانت أنَّ البرد جعل أنفي يؤلمني، وتحت شفتي العليا مباشرة، حيث وجّه العزيز سترادليتر ضربة. كان قد ضرب شفتي على أسناني مباشرةً، وأوجعني بشدّة. لكنَّ أذنيّ كانتا دافئتين ومستكيتين. كان للقبّعة التي اشتريتها غطاءان للأذنين، فأسدلتهما- بغضّ النظر عمّا بدا عليه شكلي. على أي حال لم يكن هناك أحد. الجميع كانوا في فراش النوم.

عندما وصلتُ إلى المحطة كنتُ محظوظاً جداً، لأنني لم أنتظر وصول القطار أكثر من عشر دقائق. وفي أثناء انتظاري جمعتُ بعض الثلج في يدي وغسلتُ به وجهي؛ كان لا يزال عليه بعض الدم.

في المعتاد أحب ركوب القطارات، خاصة في الليل، والأضواء ساطعة والنوافذ شديدة السواد، وأحد بائعي القهوة والشطائر والمجلات يتنقَّل على الممشى بين المقاعد. في المعتاد أشتري شطيرة لحم الخنزير وأربع مجلات. فإذا كنتُ على متن قطار في الليل، أستطيع عادة أنْ أقرأ حتى إحدى تلك القصص البلهاء التي ترد في المجلات من دون أنْ أتقيّأ. كما تعلم. وإحدى تلك القصص تضم عدداً كبيراً من الأشخاص الزائفين بفكوكٍ رخوة يحملون اسم ديفيد، والكثير من الفتيات اللائي يحملن أسماء ليندا ومارسيا ودائماً يقمن بإشعال الغلايين اللعينة لمَنْ يحملون اسم ديفيد. بل

في استطاعتي أنْ أقرأ إحدى تلك القصص الرديئة في قطار الليل، عادة. ولكن في هذه المرة كان الوضع مختلفاً. ببساطة لم أشعر بأية رغبة في ذلك، واكتفيت بالجلوس ولم أفعل أيّ شيء. كل ما فعلته هو أني خلعتُ قبعتي ووضعتها في جيبي.

وفجأةً، استقلّت القطار تلك السيدة في محطة تريتنون وجلست إلى جواري. كان القطار كله خالٍ بكل معنى الكامة من الركّاب، لأنَّ الوقت كان متأخراً جداً وكل شيء، لكنها جلست إلى جواري، بدل أنْ تجلس على مقعدٍ خالٍ، لأنها كانت تحمل حقيبة ضخمة وكنتُ أشغل المقعد الأمامي. حَشَرَتْ الحقيبة في الممشى، حيث يمكن لقاطع البطاقات وكل شخص أنْ يتعثّر بسببها. وكانت ترتدي ملابس غنيّة بالألوان، كأنها عائدة للتو من حفلٍ كبير أو ما شابه. أعتقد أنها كانت في حوالي الأربعين أو الخامسة والأربعين، لكنها كانت فائقة الجمال. إنَّ النساء يُثرن جنوني. حقاً. لا أعني أنّي أتّصف بشهوة جنسية عارمة أو ما شابه - على الرغم من أني على قدر كبير من الجاذبية الجنسية. أقصد أنّي أحبّهنّ. إنهنَّ دائماً يتركنَ حقائبهنّ اللعينة في وسط الممشى.

على أي حال، كنا جالسَين هناك، وفجأةً قالت لي «عفواً، ولكن أليس هذا مُلصَق مدرسة بنسي الإعدادية؟». كانت تنظر إلى حقيبتيَّ، الموضوعة عالياً على المنصب.

قلت «نعم، هو كذلك». كانت على صواب. كنتُ أضع مُلصَق مدرسة بنسي على إحدى حقائبي. اعترفت بذلك، بكل سخافة.

قالت «أوه، أتتردَّد على مدرسة بنسي؟». كان صوتها رقيقاً. كصوت رقيق صادر عن الهاتف، في الغالب. كان ينبغي أنْ تحمل معها هاتفاً لعيناً.

قلت «نعم، أتردَّد»

«أوه، ما أجمل هذا! إذن لعلّك تعرف ابني. إنه إرنست مورو؟ إنه يتردّد على بنسي»

«نعم، أعرفه. إنه في صفي»

كان ابنها من دون أدنى شك أضخم ابن حرام التحق بمدرسة بنسي، على

امتداد تاريخ المدرسة البائس كله. كان دائماً بعد أنْ ينتهي من أخذ الدوش يسير على طول الرواق ويصفع مؤخرات الناس بمنشفته الزرية العتيقة المنقوعة بالماء. هذا هو بالضبط النوع الذي ينتمي إليه.

قالت السيدة «آه، ما أجمل هذا!». ولكن ليس بابتذال. كانت فقط لطيفة وكل شيء. قالت «يجب أنْ أخبر إرنست أننا تقابلنا. هل لي أنْ أعرف اسمك، يا عزيزي؟»

قلت لها «رودولف شميدت». لم أرغب بإعطائها كامل تاريخ حياتي. رودولف شميدت كان اسم حاجب مهجعنا.

سألتني «هل تعجبك مدرسة بنسي؟»

«بنسي؟ لا بأس بها. إنها ليست جنّة أو أي شيء، ولكنها جيدة كغالبية المدارس. وبعض من هيئة التدريس هم من أصحاب الضمير الحيّ بكل معنى الكلمة»

«إنَّ إرنست يعشقها»

قلت «أعلم ذلك»، ثم بدأتُ أختلق بعض الأكاذيب المُبتذلة حول الموضوع. «لقد تأقلمَ بشكلٍ جيد جداً مع الأشياء. حقاً. أعني أنه يعلم جيداً كيف يتأقلم»

سألتني «أتعتقد ذلك؟». بدت شديدة الاهتمام.

قلت «إرنست؟ حتماً»، ثم راقبتها وهي تخلع قفّازها. يا إلهي، كانت مُثقلة بالأحجار الكريمة.

قالت «لقد كسرت ظِفري وأنا أترجّل من سيارة الأجرة». رفعت بصرها إليّ وابتسمت قليلاً. ابتسامة رقيقة جداً. حقاً. معظم الناس يكادون لا يبتسمون، أو أنَّ ابتسامتهم قبيحة. قالت «إنَّ والد إرنست وأنا قلقان عليه. أحياناً نشعر أنه لا يُحسن الاختلاط»

«ماذا تعنين؟»

«حسن، إنه صبي حساس جداً. ولم يكن أبداً في حياته على صِلة طيبة مع باقي الأولاد. لعله يتناول الأمور بجدّية أكثر مما ينبغي بالنسبة إلى مَنْ هم في مثل سنّه»

حسّاس. هذا ما أثار حفيظتي. إنَّ ذلك الولد مورو كان حسّاساً كأي كرسي مرحاض لعين.

نظرت إليها نظرة لطيفة. لم يبدُ لي أنها حمقاء. بل بدا لي أنه يمكن أنْ تكون لديها فكرة جيدة جداً عن أنها أمٌ لابن حرام. ولكن لا يمكن للمرء دائماً أنْ يتأكّد – أعني، فيما يخص أم أحدهم. إنَّ الأمهات جميعاً مجنونات قليلاً. لكنَّ المشكلة هي أنني أحببتُ أم مورو. كانت طيبة. سألتها «ما رأيك في تدخين سيجارة؟»

تلفّتت حولها. قالت «لا أعتقد أنه يُسمَح بالتدخين يا رودولف». هذه الرودولف أثارت أعصابي.

«لا بأس. نستطيع أنْ ندخّن إلى أنْ يبدؤوا بالصراخ في وجهنا». تناولت السيجارة من يدي، وأشعلتُها لها.

بدت لطيفة، وهي تدخّن. كانت تستنشق الدخان وكل شيء، لكنها لم تكن تبتلعه، كما تفعل النسوة في مثل سنها. كانت تتمتع بسحرٍ وافر، وبكثير من الجاذبية الجنسية أيضاً، إذا أردتَ حقاً أنْ تعلم.

كانت تنظر إليّ بطريقة غريبة. قالت، من دون مقدمة، «قد أكون مُخطئة، ولكن أعتقد أنَّ أنفك ينزف، يا عزيزي»

أومأتُ إيجاباً وأخرجت منديلي. قلت «أصبتُ بهذا من ضربة بكرة ثلج، كرة متجمدة جداً». كان يمكن ربما أنْ أخبرها بما حدث حقاً، لكنَّ ذلك كان سيستغرق وقتاً طويلاً. لكني أُعجبتُ بها. وبدأت أشعر بالندم لأني قلت لها إنَّ اسمي هو رودولف شميدت. قلت «العزيز إرني هو أحد أشد الأولاد شعبية في بنسي. أتعلمين هذا؟»

«لا، لم أكن أعلم»

هززتُ رأسي إيجاباً. «لقد استغرق من الجميع وقتاً طويلاً للتعرُّف عليه. إنه إنسان غريب. إنسان غريب من نواحٍ كثيرة – أتفهمين ما أعني؟ عندما قابلته للمرة الأولى مثلاً، اعتقدتُ أنه إنسان متغطرس. هذا ما حسبته. لكنه ليس كذلك. كل ما في الأمر أنه صاحب شخصية أصيلة جداً بحيث إنه يستغرق منكِ بعض الوقت لكي تتعرفي عليه»

العجوز السيدة مورو لم تقُل أي شيء، ولكن يا إلهي، كان يجب أنْ تراها. لقد جعلتُها تلتصق بمقعدها. يكفي أنْ تجلس مع والدة أحدهم، وإذا بكل ما ترغب في سماعه هو كم أنَّ ابنها شخصية مشهورة.

ثم بدأتُ *حقاً* أختلقُ الأكاذيب المُبتذلة حول كل شيء. سألتها «هل أخبركِ عن الانتخابات؟ انتخابات الصف الدراسي؟»

هزّت رأسها نفياً. جعلتها تدخل في حالة شبه نشوة. فعلتُ ذلك حقاً.

قلت «حسن، لقد أراد عددٌ منا من العجوز إرني أنْ يُصبح رئيساً للصف. أعني أنه كان الاختيار غير المُعلَن. أعني أنه كان الفتى الوحيد الذي يستطيع أنْ يتحمل عبء المنصب» – يا إلهي، كم كنتُ أكذب. «لكنَّ ذلك الفتى الآخر -هاري فنسر- فاز في الانتخاب. والسبب في فوزه، السبب البسيط والجليّ، كان أنَّ إرني لم يسمح لنا بترشيحه. لأنَّ الحياء يغلب عليه بشكل لعين وكان متواضعاً وكل ذلك. لقد *رفضَ*... يا إلهي إنه حقاً *شديد الحياء*. يجب أنْ تدفعيه إلى أنْ يُحاول التغلُّب على هذا». نظرتُ إليها. «ألم يُخبركِ عن ذلك؟»

«كلا، لم يفعل»

هززتُ رأسي إيجاباً. «هذا هو إرني. لن يفعل. هذا هو عيبه الوحيد – إنه شديد الحياء والتواضع. عليكِ حقاً أنْ تدفعيه إلى أنْ يُحاول الاسترخاء أحياناً»

في تلك اللحظة، جاء قاطع البطاقات ليُحصّل بطاقة السيدة مورو، فأُتيحَتْ لي فرصة لأتوقف عن الجلط. لكنني سعيد لأنني كففت عن ذلك لبعض الوقت. إنَّ فتى مثل مورو يعمد دائماً إلى صفع مؤخرات الناس بمنشفته -بقصد إيذائهم المتعمَّد- لا يبقون وضيعين فقط في طفولتهم، بل يبقون كذلك طوال حياتهم. ولكني أراهن، بعد كل الكذب الذي ألقيته، على أنَّ السيدة مورو لن تتوقف عن التفكير فيه على أنه ذلك الفتى المتواضع، الشديد الحياء الذي رفضَ أنْ يدعنا نرشّحه للرئاسة. قد تفعل ذلك. مَنْ يدري. الأمهات لسن شديدات الذكاء في هذا الشأن.

سألتها «ما رأيك بكأس من الكوكتيل؟». كنتُ أشعر برغبة في الشرب. «يمكننا أنْ ننتقل إلى عربة النادي. ما رأيك؟»

سألتني، ولكن بلا امتعاض، «عزيزي، هل يُسمح لك بطلب مشروب؟». كانت من شدة السحر بحيث لا يمكن أنْ تكون ممتعضة.

قلت «حسن، لا، ليس بالضبط، ولكن أستطيع في المعتاد أنْ أحصل عليه بسبب طولي المفرط. ثم إنَّ لديّ الكثير من الشعر الشائب». أدرت جانبي وأريتها شعري الشائب. وقد فُتِنَتْ أيّما افتتان بذلك. قلت «هيا، انضمّي إليّ، ما رأيك؟»، وقد استمتعتُ بصُحبتها.

قالت «في الحقيقة لا أعتقد أنه يُستحسَن أنْ أفعل. ولكن شكراً جزيلاً، يا عزيزي. على أي حال، إنَّ عربة النادي مُغلقة في الغالب. الوقت متأخر كثيراً، في الواقع». كانت على حق. كنتُ قد نسيتُ تماماً مسألة الوقت.

ثم نظرتْ إليّ وسألتني السؤال الذي كنتُ أخشى أنْ تسأله. قالت «لقد كتبَ لي إرنست يقول إنه سيعود إلى المنزل في يوم الأربعاء، وإنَّ عطلة عيد الميلاد سوف تبدأ في يوم الأربعاء. آمل ألا يكون قد تمَّ استدعاؤك فجأةً بسبب مرض أحد أفراد العائلة». بدتْ قلقة حقاً بهذا الشأن. كان جلياً أنها لم تكن فقط فضوليّة.

قلت «كلا، الجميع في أحسن حال في المنزل. المشكلة عندي أنا. يجب أنْ أُجري العملية الجراحية»

قالت «أوه! أنا *شديدة* الأسف». كانت كذلك فعلاً. وعلى الفور ندمتُ لأني قلت ذلك، لكنَّ الوقت كان قد فات.

«الأمر ليس خطيراً جداً. لديّ ذلك الورم الصغير في الدماغ»

«أوه، *لا!*»، ورفعتْ يدها إلى فمها وكل ذلك.

«أوه، سأكون على ما يُرام وكل شيء! إنه سطحي. وصغير جداً. يستطيعون استئصاله في غضون دقيقتين»

ثم بدأت أسرد قائمة المواعيد التي كنتُ أضعها في جيبي. فقط لكي أكفّ عن الكذب. فحالما أباشر الكذب أستطيع أنْ أستمرّ على مدى ساعات إذا رغبتُ في ذلك. بلا مزاح. *ساعات*.

بعد ذلك لم نتكلَّم كثيراً. راحت تقرأ مجلة «*فوغ*» كانت تحملها، ونظرت

من النافذة قليلاً. وفي نيوارك ترجّلتْ. تمنّتْ لي الكثير من الحظ الحَسَن مع العملية الجراحية وكل ذلك. وأخذت تناديني باسم رودولف. ثم دعتني إلى زيارة إرني خلال فصل الصيف، في غلوسيستر، ماساتشوستس. قالت إنَّ منزلهم يقع على الشاطئ مباشرةً، وإنَّ لديهم ملعباً للتنس وكل شيء، لكني شكرتها وقلتُ لها إني ذاهب إلى أميركا الجنوبية مع جدتي. وهذه كذبة كبيرة لأنَّ جدتي تكاد لا تخرج من *المنزل*، إلا ربما لحضور عرض سينمائيّ صباحي لعين أو ما شابه. ولكنني ما كنتُ لأزور ابن الحرام مورو ذاك ولو دفعوا لي مال العالم كله، حتى وإنْ كنتُ في حالة يائسة.



الفصل التاسع

أول ما فعلت حالما ترجّلت في محطة بن، هو أني توجهت إلى حُجيرة الهاتف. شعرتُ برغبة في الاتصال بأحد. تركتُ الحقيبتين خارج باب الحجيرة مباشرة لكي أتمكن من مراقبتهما، ولكن حالما ولجت إلى الداخل، لم أستطع أنْ أتذكَّر أحداً لأتصل به. فأخي د.ب كان في هوليوود. وأختي الصغيرة فيبي تأوي إلى الفراش في الساعة التاسعة – لذلك لم أستطع أنْ أتّصل بها. هي لن تُعارِض إذا ما أيقظتها، لكنَّ المشكلة هي أنها ليست التي سترّد على الهاتف. والداي هما اللذان سيردّان. لذلك استبعدتُ هذا الخيار. ثم فكّرتُ في الاتّصال بوالدة جين غالاغر لأعرف منها متى تبدأ عطلة جين، لكني لم أرغب في ذلك. ثم إنَّ الوقتَ كان متأخراً جداً للاتصال. ثم فكَّرتُ في الاتصال بتلك الفتاة التي كنتُ أخرج معها كثيراً، سالي هيز، لأني كنتُ أعلم أنَّ عطلتها في عيد الميلاد قد بدأتْ فعلاً –كانت قد كتبت لي تلك الرسالة الطويلة، الزائفة، التي تدعوني فيها إلى الحضور لأساعدها في تزيين شجرة عيد الميلاد في ليلة الميلاد وكل شيء– لكني كنتُ أخشى أنْ تُجيب أمها على الهاتف. كانت أمها تعرف أمي، وتخيّلتُها تتسبَّب في كسر ساقها اللعينة لكي تصل إلى الهاتف وتبلّغ أمي بأني موجود في نيويورك. ثم إني لم أكن مولعاً بالتحدُّث مع العجوز السيدة هيز عبر الهاتف. فقد قالت لسالي ذات مرة إني إنسان جامح. قالت إني جامح وإنه لا هدفَ لي في الحياة. ثم فكَّرتُ في الاتصال بذلك الفتى الذي التحق بمدرسة ووتون عندما كنتُ فيها، كارل لوس، لكنني لم أكن أحبه كثيراً. لذلك انتهى بيَ الأمر إلى عدم الاتّصال بأحد. خرجتُ من الحجيرة، بعد نحو عشرين دقيقة تقريباً، وحملت حقيبتيّ ومشيتُ إلى النفق الذي تتوقف فيه سيارات الأجرة وركبت إحداها.

إنني شارد الذهن بشكلٍ لعين، بحيث إني أعطيتُ السائق عنواني المعتاد، بدافع العادة وما إلى ذلك. أعني أني نسيتُ تماماً أني ذاهب لأقيم في فندق بضعة أيام ولستُ ذاهباً إلى المنزل إلى أنْ تبدأ العطلة. لم أفكِّر في ذلك إلا بعد أنْ قطعنا نصف الطريق المارة بالحديقة العامة. ثم قلت «هيه، هل لك أنْ تعود أدراجك عندما تسنح لك الفرصة؟ لقد أعطيتك العنوان الخطأ. أريد أنْ أعود إلى وسط المدينة»

كان السائق من النوع الحكيم. «لا أستطيع أنْ أستدير هنا، يا صاحبي. هذا طريق ذو اتجاه واحد. يجب أنْ أواصل حتى الشارع التسعين»

لم أرِد أنْ أدخل في مجادلة. قلت «لا بأس». ثم خطرت لي فكرة، فجأة. قلت «هيه، اسمع، أتعرف ذلك البط الذي في تلك البركة بالقرب من سنترال بارك ساوث؟ تلك البركة الصغيرة؟ هل تعرف إلى أين يذهب، أعني البط، عندما تتجمَّد كلها؟ هل تعرف، بالمصادفة؟». وأدركتُ أنَّ المصادفة نسبتها واحد في المليون.

التفتَ ونظرَ إليّ كأني إنسان مجنون. قال «ماذا تحاول أنْ تفعل، يا فتى؟ أتهزأ بي؟»

«كلا – أنا فقط مُهتم بالأمر، لا أكثر»

لم يُضف كلمة واحدة أخرى، ولا أنا أضفت. إلى أنْ خرجنا من الحديقة العامة إلى الشارع التسعين. ثم قال «حسن، يا صاحبي. إلى أين؟»

«حسن، المشكلة هي أني لا أريد أنْ أنزل في أيٍ من الفنادق التي تقع في الجانب الشرقي حيث يمكن أنْ أصادف بعضاً من معارفي»، ثم قلت «إنني أسافر متستِّراً». كرهتُ أنْ أقول عبارات مبتذلة مثل «أسافر متستِّراً». ولكن عندما أكون مع شخص مبتذل، فإنني أيضاً أتصرَّف بابتذال. «هل تعرف بالمصادفة أي فرقة تعزف في التافت أو في النيويوركر؟»

«لا فكرة لدي، يا صاح»

قلت «حسن – خذني إلى إدمونت، إذن. هل ترغب في التوقف على الطريق ومشاركتي شرب كأس من الكوكتيل؟ على حسابي. جيبي ملآن»

«لا يمكنني، يا صاح. آسف». كان بلا أدنى شك صحبة طيبة. شخصية رائعة. وصلنا إلى فندق إدمونت، وحجزت غرفة. كنتُ وأنا في سيارة الأجرة

قد اعتمرتُ قبعة الصيد الحمراء، هكذا لمتعتي الخاصة فقط، ولكنني نزعتها قبل أنْ أحجز. لم أرغب في أنْ أبدو كأحمق أو ما شابه. وهذه مفارقة. لم أكن أعلم عندئذٍ أنَّ الفندق اللعين كان ممتلئاً بالمنحرفين والمغفلين. كان المكان يعجُّ بغريبي الأطوار.

أعطوني تلك الغرفة الرديئة جداً، التي لا تطل نافذتها على أي شيء غير الجانب المقابل من الفندق. لم أهتمّ بذلك كثيراً. كان بؤسي شديداً إلى درجة أنني لم أبدِ أيّ اهتمام بما إذا كانت تطل على منظر جميل أم لا. الخادم الذي قادني إلى الغرفة كان رجلاً عجوزاً جداً يبلغ حوالي الخامسة والستين. وكان أشد بؤساً من الغرفة نفسها. كان أحد أولئك الصُلع الذين يمشّطون شعر جانب رأسهم إلى أعلى لكي يُغطوا الصلع. إنني أفضّل أنْ أكون أصلع على أنْ أفعل ذلك. على أي حال، يا له من عمل رائع لرجل يبلغ نحو الخامسة والستين أنْ يحمل حقائب الناس وينتظر الإكرامية. أعتقد أنه لم يكن شديد الذكاء أو أي شيء، لكنَّ العمل فظيع في كل الأحوال.

بعد أنْ غادر، أطللتُ من النافذة قليلاً، وأنا لا أزال أرتدي معطفي. لم يكن أمامي أي شيء آخر أفعله. سوف تُدهَش إذا عرفت ما الذي يجري على الجانب الآخر من الفندق. إنَّ الناس لا يزعجون أنفسهم حتى بإسدال الستائر على نوافذهم. رأيتُ شخصاً، أشيب الشعر، ذا شكلٍ مميز جداً لا يرتدي غير بنطلونه القصير، يفعل شيئاً لن تصدقني إذا أخبرتك ما هو. أولاً وضعَ حقيبته على السرير، ثم أخرج منها كل تلك الملابس النسائية، وارتداها. ملابس نسائية حقيقية -جوارب حريرية، وحذاء عالي الكعب، وصدارة، وأحد مشدّات الخصر تلك ذات الأشرطة المتدلية وكل شيء. ثم ارتدى ذلك الثوب المسائي الأسود والضيق. أُقسم بالله. ثم أخذ يتمشّى جيئة وذهاباً على أرض الغرفة، بتلك الخطوات القصيرة جداً، كما تفعل النساء، ويُدخّن سيجارة وينظر إلى نفسه في المرآة. وكان وحده تماماً هناك. إلا إذا كان هناك شخص في الحمّام- لم أتمكّن من تمييز ذلك. ثم، في النافذة التي تعلو نافذته مباشرة، شاهدتُ رجلاً وامرأة يقذف كلٌّ منهما الماء من فمه نحو الآخر. لعلها جرعة من مشروب ما، ليس ماءً، لكني لم أتبيَّن ما الذي تحتويه كأساهما. على أي حال، أولاً تناول جرعة وقذفها كلها *عليها*، ثم فعلت هي الشيء نفسه *له* -كانا

يتناويان، وحقّ لله. كان ينبغي أنْ تراهما وهما في حالة هستيريا طوال الوقت، كأنّ الأمر كان مضحكًا للغاية. أنا لا أمزح، الفندق كان مليئًا بالمنحرفين. لعلي كنتُ ابن الحرام الطبيعي الوحيد في المكان كله- هذا أقلّ ما يُقال. وكدتُ أرسل برقية للعجوز سترادليتر أطلبُ منه فيها أنْ يستقل أول قطار متوجه إلى نيويورك. كان سيُصبح مِلِك الفندق.

المشكلة كانت أنَّ مشاهدة ذلك النوع من التفاهة ممتع، حتى وإنْ رفضته. فمثلاً، تلك الفتاة التي كانت تتلقى الماء المقذوف على وجهها كله، كانت جميلة الشكل. أعني أنَّ هذه هي مشكلتي الكبيرة. في ذهني، لعلّي أكبر مهووس جنسياً يمكن أنْ تعرفه. أحياناً أستطيع أنْ أفكِّر في *كل* أمر بائس لا أمانع في فعله إذا ما سنحت لي الفرصة لذلك. بل أستطيع أنْ أرى حتى كيف يمكن أنْ يكون ذلك تسلية كبيرة، بطريقة بائسة، وإذا كان المرء ثملاً وكل شيء، أنْ يحصل على فتاة ويرش كلٌ منهما الماء على وجه الآخر. لكنَّ الأمر هو أني *لا أحبّ* الفكرة. إنها تافهة، إذا حلّلتها. أعتقد أنكَ إذا لم تحب الفتاة، فلن تعبث معها على الإطلاق، وإذا أعجبتكَ حقاً، فمن المفترض أنْ يعجبك وجهها، وإذا أعجبكَ وجهها، فسوف تحرص على ألا تقوم بفعلٍ مزعج له، كرشّ الماء عليه. ومن المؤسف حقاً أنَّ الكثير من العمل المزعج يُسلّي جداً أحياناً. والفتيات لا يُساعدنكَ كثيراً أيضاً عندما تبدأ بمحاولة ألا تكون مزعجاً كثيراً، عندما تحاول ألا تُفسد أي شيء مُسلٍ حقاً. وقبل ذلك بعامين تعرّفت على فتاة كانت أشد تفاهة حتى مني. يا إلهي، كم كانت تافهة! لكننا أمضينا بعض الوقت المُمتع، بطريقة تافهة. الجنس شيء لا أفهمه كثيراً. إنكَ لا تعرف *أين* أنت. إنني دائماً أضعُ قواعد جنسية لنفسي، ومن ثم أكسرها فوراً. وفي العام الفائت قطعتُ عهداً على نفسي ألا أعبث مع فتيات مزعجات. لكني نقضتُه في الأسبوع نفسه الذي قطعته فيه - بل في الليلة نفسها، في الحقيقة، أمضيت الليلة كلها في معانقة وتقبيل فتاة تافهة وفظيعة اسمها آن لويز شرمن. إنَّ الجنس شيء لا أفهمه. أقسم بالله أني لا أفهمه.

بدأتُ، وأنا واقف هناك، أُقلّب فكرة الاتصال بالعزيزة جين هاتفيّاً - أعني بمكالمة خارجيّة من المتحف البريطاني، حيث تتردَّد، بدل أنْ أتصل بأمها لأعرف متى ستعود إلى المنزل. إذ كان ممنوعاً الاتّصال بالطلاب في ساعة

متأخرة من الليل، لكني كنتُ قد قررت. سوف أقول لمَنْ يُجيب على الهاتف إني عمّها. سوف أقول إنَّ عمّتها قد قُتِلَت تواً في حادث سيارة وإنَّه عليّ أنْ أكلّمها فوراً. كانت ستنجح، أيضاً. السبب الوحيد الذي جعلني أُحجِم عن تنفيذها هو أني لم أكن في المزاج المناسب لذلك. إذا لم يكن المرء في المزاج المناسب، فلا يستطيع أنْ يفعل ذلك كما ينبغي.

بعد قليل جلستُ على أحد الكراسي ودخّنتُ سيجارتين. كنتُ أشعر بإثارة جنسية شديدة. يجب أنْ أعترف بهذا. ثم، فجأةً، خطرت لي فكرة. أخرجت محفظة نقودي وأخذت أفتش عن ذلك العنوان الذي أعطانيه فتى قابلته في إحدى الحفلات في الصيف السابق وذهب إلى برينستون. وأخيراً عثرتُ عليه. كان ملوناً بألوان غريبة بتأثير من محفظتي، لكني تمكنتُ من قراءته. كان عنوان تلك الفتاة التي لم تكن بالضبط عاهرة أو أي شيء لكنها لا تمانع في ممارسته مرةً كل حين، كما أخبرني ذلك المقيم في برينستون. جلبها ذات مرة إلى حفلٍ راقص في برينستون، وكادوا يطردونه من المكان لأنه جلبها معه. وكانت تعمل راقصةً متعرّية أو شيئًا كهذا. على أي حال، ذهبت إلى جهاز الهاتف واتصلتُ بها. كان اسمها فيث كافنديش، وتُقيم في فندق ستانفورد آرمز عند تقاطع شارعيّ الخامس والستين وبرودواي. مكان زريّ بلا أدنى شك.

للوهلة الأولى اعتقدتُ أنها ليست في غرفتها أو ما شابه. إذ لا جواب. وأخيراً، رفع أحدهم سماعة الهاتف.

قلت «ألو؟»، جعلتُ صوتي عميقاً تماماً لكي لا تشك في حقيقة سني أو أي شيء. وعلى أي حال كان لديّ صوت عميق حقاً.

قال صوت تلك المرأة «ألو». لم يكن ودوداً.

«هل أنتِ مس فيث كافانديش؟»

قالت «مَنْ المتكلّم؟ مَنْ يتصل بي في مثل هذه الساعة الجنونية اللعينة؟»

أشاع هذا الرد فيَّ قليلاً من الخوف. قلت، بذلك الصوت شديد النُضج نفسه وما إلى ذلك «حسن، أعلم أنَّ الوقت متأخر. أتمنى أنْ تغفري لي، لكني في غاية الاشتياق للاتصال بك». قلت ذلك بدماثة مُبالغٍ فيها، فعلتُ حقاً.

قالت «مَنْ المتكلّم؟»

«حسن، أنت لا تعرفينني، لكني صديق إدي بيرذْسِل. لقد اقترح عليّ إذا أتيتُ إلى المدينة أنْ نجتمع معاً لنشرب كأسٍ أو اثنتين من الكوكتيل»

«مَنْ؟ أنتَ صديق مَنْ؟». يا إلهي، كانت كاللبوة الحمراء على الهاتف. كادت تصرخُ في وجهي.

قلت «إدموند بيردسِل. إدي بيردسل». لم أستطع أنْ أتذكّر إنْ كان اسمه إدموند أو إدوارد. فلم أقابله إلا مرة واحدة، في حفلة حمقاء لعينة.

«أنا لا أعرف أحداً بهذا الاسم، يا صاح. وإذا اعتقدتَ أني أستمتعُ بإيقاظي في منتصف -»

قلت «إدي بيردسل؟ من برينستون؟»

فهمتُ أنها تراجعُ الاسمَ في ذهنها وكل شيء.

«بيردسل، بيردسل... من برينستون... كلية برينستون؟»

قلت «تمام»

«أنتَ من كلية برينستون؟»

«يعني، تقريباً»

قالتْ «أوه... كيف حال إدي؟ ولكن هذا حقاً وقت حسّاس للاتصال بأي شخص. بحق يسوع المسيح»

«إنه على ما يُرام. لقد طلب مني أنْ أُذكّرك به»

قالت «حسن، شكراً لك. تذكّرني به. إنه شخص رائع. كيف حاله الآن؟». بدأتْ فجأةً تزداد ودّاً.

قلت «أوه، كما تعلمين. هو نفسه لم يتغيّر». كيف كان لي أنْ أعلم ما هي أحواله؟ بالكاد كنتُ أعرف الفتى. بل إنني حتى لم أكن أعلم إنْ كان لا يزال يُقيم في برينستون. قلت «انظري، هل تقبلين الاجتماع بي لشرب كأس من الكوكتيل في مكانٍ ما؟»

قالت «مستحيل. أتعرف كم الساعة الآن؟ ما اسمك، على أي حال، هل لي أنْ أعرف؟». فجأةً أصبح لها لكنة إنكليزية. «تبدو لي يافعاً»

ضحكت. قلت - بكياسة شديدة «شكراً على المديح. اسمي هولدن كولفيلد» كان ينبغي أنْ أعطيها اسماً زائفاً، لكنَّ ذلك لم يخطر في بالي.

«اسمع، يا سيد كاوفل. ليس من عادتي أنْ أضرب مواعيد في منتصف الليل. أنا فتاة عاملة»

قلت لها «غداً يوم أحد»

«مهما يكن. يجب أنْ أحصل على النوم اللازم للمحافظة على الجمال. أنتَ تعلم ماذا أعني»

«كنتُ أفكر أننا يمكن أنْ نتناول معاً كأس كوكتيل واحدة فقط. الوقت ليس متأخراً كثيراً»

قالت «حسن. أنتَ غاية في الرقّة. مَنْ أين تتكلّم؟ أين أنتَ الآن، على أي حال؟»

«أنا؟ أنا في حجيرة الهاتف»

قالت «أوه». ثم ساد ذلك الصمت الطويل. «حسن، أودّ كثيراً أنْ أجتمع بك في وقتٍ من الأوقات، يا سيد كاوفل. تبدو لي شديد الجاذبية. تبدو شخصاً على قدرٍ كبير من الجاذبية. لكن الوقت متأخّر *حقاً*»

«يمكنني أنْ آتي إلى منزلك»

«حسن، في المعتاد، أقول هذا رائع. أعني أحبُ أنْ تعرّجَ عليّ لشرب كأس من الكوكتيل، ولكن رفيقتي في الغرفة مريضة. إنها مستلقية هنا طوال الليل ولا يغمض لها جفن. لم تنم إلا في هذه اللحظة وكل شيء. هذا ما أعنيه»

«أوه. أمرٌ مؤسف جداً»

«أين تنزل؟ قد نجتمع معاً غداً لنشرب الكوكتيل»

قلت «لا يمكنني ذلك غداً. هذه الليلة هي الوقت الوحيد الذي أستطيع أنْ أفعل فيه هذا». كم كنتُ مغفلاً. ما كان ينبغي أنْ أقول ذلك.

«أوه. حسن، أنا آسفة جداً»

«سأبلّغ تحيتك لإيدي نيابة عنك»

«هل تفعل؟ آمل أنْ تستمتع بإقامتك في نيويورك. إنها مكان رائع»

قلت «أعلمُ هذا. شكراً لك. عمتِ مساء»، ثم وضعتُ السمّاعة.

يا إلهي، لقد أفسدتُ الأمر *حقاً*. كان ينبغي على الأقلّ أنْ أنجح في شرب الكوكتيل أو ما شابه.

الفصل العاشر

كان الوقت لا يزال مبكّراً جداً. ولم أكنْ متأكداً من الساعة، لكنَّ الوقت لم يكن متأخراً جداً. إنَّ الشيء الوحيد الذي أكره أنْ أفعله هو أنْ آوي إلى السرير عندما لا أكون حتى مُتعباً. فتحتُ الحقيبتين وأخرجتُ قميصاً نظيفاً، وولجت الحمّام واغتسلت وبدَّلت قميصي. وما فكّرت في فعله هو أنْ أهبط إلى الطابق السفلي وأرى ما يحدث في غرفة الخزامى. كان لديهم في الفندق ذلك النادي الليلي الذي يحمل اسم غرفة الخزامى.

بينما كنتُ أبدّل قميصي، كدتُ أقوم بالاتصال هاتفياً بأختي الصغيرة فيبي. لا شك في أني شعرت برغبة في التحدث معها عبر الهاتف. مع شخص عنده إحساس وكل شيء. لكنني لم أنتهز الفرصة بالاتصال بها، لأنها كانت مجرد طفلة ولن تكون يقظة، ناهيك عن بُعدها عن جهاز الهاتف. فكّرتُ في أنْ أُعيد السماعة إلى مكانها إذا ما أجاب والداي، لكنَّ هذه الطريقة ما كانت لتنجح. كانا سيعرفان أني المتكلّم. إنَّ أمي دائماً تتعرَّف عليّ. لديها حسّ خارق. لكني حتماً ما كنتُ لأمانع في الكذب على فيبي قليلاً.

يجب أنْ تراها. لا يمكن أنْ تقع عيناك على طفلة صغيرة أجمل وأذكى منها في حياتك. إنها ذكية حقاً. أعني أنها كانت تحصل على الدرجات القصوى منذ أنْ انتسبت إلى المدرسة. وفي الحقيقة، أنا الأحمق الوحيد في العائلة. أخي د.ب كاتب وكل شيء، وأخي آلي، الذي توفي، وحكيتُ لك عنه، كان ممتازاً. أنا الأبله الحقيقي الوحيد. ولكن يجب أنْ ترى العزيزة فيبي. إنَّ لها شعراً أحمر اللون، وأقرب شبهاً بشعر آلي، قصير جداً في أوقات الصيف. في الصيف، تجمعه خلف أذنيها. ولها أذنان ظريفتان، جميلتان.

ولكن في الشتاء، يُصبح طويلاً جداً. أحياناً أمي تجدّله، وتارة لا تفعل. لكنه جميل حقاً. إنها لم تتجاوز العاشرة. ونحيلة جداً، مثلي، ولكن بالمعنى الجميل. كمتزلجة على العجلات. راقبتها ذات مرة من النافذة عندما كانت تعبر إلى الجادة الخامسة تبغي الحديقة العامة، هكذا هي، نحيلة كمتزلجة على عجلات. جدير بك أنْ تُعجب بها. أعني إذا أخبرت العزيزة فيبي شيئاً، فإنها تفهم جيداً ماذا تقول. أعني أنَّ في استطاعتك أنْ تأخذها معك إلى أي مكان. فإذا اصطحبتها إلى فيلم رديء، مثلاً، تعرف أنه فيلم رديء. وإذا اصطحبتها إلى فيلم جيد، تعرف أنه فيلم جيد. وقد اصطحبناها د.ب وأنا لمشاهدة فيلم فرنسي عنوانه «*زوجة الخبّاز*»، الذي يمثّل فيه الممثل ريمو **Raimu**. أعجبها كثيراً. لكنَّ فيلمها المفضَّل هو «***الخطوات التسع والثلاثون***»، من بطولة روبرت دونات. إنها تحفظ الفيلم اللعين كله عن ظهر قلب لأني اصطحبتها لمشاهدته حوالي عشر مرات. وعندما يصل العجوز دونات إلى ذلك المنزل الريفي الإسكتلندي، مثلاً، أثناء هروبه من رجال الشرطة وما إلى ذلك، تقول فيبي بصوت مرتفع في دار السينما -في اللحظة التي ينطقها الممثل في الفيلم- «هل تستطيع أنْ تأكل سمك الرنكة؟». إنها تحفظ الحوار عن ظهر قلب. وعندما يرفع ذلك البروفسور في الفيلم، الذي هو في الواقع جاسوس ألماني، إصبعه الصغيرة التي ينقص منها جزء من المفصل الأوسط، ليدلّ به على العجوز دونات، كانت العزيزة فيبي تسبقه في ذلك -وترفع إصبعها الصغيرة عالياً باتجاهي في الظلام، أمام وجهي مباشرة. إنها رائعة. جدير بك أنْ تحبها. المشكلة الوحيدة هي أنها تكون أحياناً مندفعة في عاطفتها. إنها عاطفية جداً بالنسبة إلى طفلة مثلها. هي كذلك حقاً. وهناك شيء آخر تفعله، إنها تؤلّف كتباً طوال الوقت. لكنها لا تُنهيها. وكلها تدور حول طفلة تُدعى هيزل ويذرفيلد- غير أنَّ فيبي العزيزة تنطقه «هازل». العزيزة هيزل ويذرفيلد هي فتاة تعمل في البوليس السرّي. ومن المفترض أنها يتيمة، لكنَّ والدها دائماً يظهر. والدها دائماً هو «سيد جذّاب طويل القامة في نحو العشرين من العمر». كم يعجبني هذا. يا للعزيزة فيبي. أُقسِمُ بالله أنها ستعجبك. لقد كانت شديدة الذكاء حتى وهي طفلة صغيرة جداً. عندما كانت طفلة صغيرة جداً كنت أنا وآلي نصطحبها معنا

إلى الحديقة العامة، خاصة في أيام الأحد. وكان لدى آلي ذلك القارب الشراعي الذي يحب أنْ يعبث به في أيام الأحد، وكنا نصطحب معنا العزيزة فيبي. كانت ترتدي قفازاً أبيض اللون وتسير بيننا، كسيدة محترمة وما إلى ذلك. وعندما ننخرط أنا وآلي في حديث عام، تصغي العزيزة فيبي. وأحياناً ننسى أنها موجودة، لأنها كانت صغيرة جداً، لكنها تُلفِتُ انتباهنا إليها. كانت تُقاطعنا طوال الوقت؛ فتدفع آلي أو تدفعني أو ما شابه، وتقول «مَنْ؟ مَنْ قال ذلك؟ بوبي أم السيدة؟». ونخبرها بمن قال ذلك، فتقول «أوه»، وتتابع الإصغاء وكل ذلك. وكانت تُثير إعجاب آلي أيضاً. أنه كان مُعجباً بها أيضاً. هي في العاشرة الآن، ولم تعُد صغيرة جداً، ولكنها لا تزال مُثار إعجاب الجميع – أقصد كلّ من يملك إحساسًا على أيّ حال.

على أي حال، كانت من النوع الذي تشعر دائماً بالرغبة في التحدث معه عبر الهاتف. لكني كنتُ أخشى كثيراً أنْ يُجيب والداي، ويعرفا أنني في نيويورك وأني طُرِدتُ من المدرسة وكل شيء. لذلك انتهيتُ من ارتداء قميصي وأصبحتُ على أتمّ الاستعداد لأهبط بالمصعد إلى البهو وأرى ما يجري هناك.

فيما عدا بضعة رجال بدو أنهم قوّاد، وبضع شقراوات يبدو عليهن العهر، كان البهو خالياً تقريباً. ولكن كان يمكن سماع الفرقة الموسيقية تعزف في غرفة الخزامى، فولجتها. لم تكن مزدحمة كثيراً، وأعطوني طاولة رديئة على أي حال – في آخر المكان. كان ينبغي أنْ ألوِّح بورقة من فئة الدولار تحت أنف رئيس الخدم. في نيويورك، يا إلهي، النقود تتكلَّم حقاً– بلا مزاح.

كانت الفرقة الموسيقية بائسة جداً. فرقة بدي سينغر. تغلب عليها الآلات النحاسية، ولكن ليست آلات نحاسية جيدة –بل مبتذلة. وأيضاً، كان في المكان قليل ممَّن هم في مثل سني. في الحقيقة، لم يكن هناك أحد في مثل سني. كانوا في الغالب رجالاً عجائز، متباهين بالنساء اللائي بصحبتهم. ما عدا الطاولة المجاورة لي. على الطاولة المجاورة لي جلست ثلاث فتيات في سن الثلاثين أو نحوه. الثلاث كنَّ على قدرٍ كبير من القُبح، ويعتمرن نوعاً واحداً من القبعات بحيث إنكَ تعلم جيداً أنهنَّ لا يُقمن في نيويورك، ولكن إحداهنّ، الشقراء، كان لا بأس بها. كانت ظريفة قليلاً، الشقراء، وبدأتُ أرمقها كالبالغين، ولكن عندئذٍ جاء النادل ليتلقّى الطلب. أمرته بإحضار

كأس من الويسكي مع الصودا، وأمرته ألا يمزجه- قلتها بسرعة كبيرة، فإذا تنحنحت وتلعثمت يظنون أنك تحت الحادية والعشرين من العمر ويرفضون أنْ يُقدّموا لك أي مشروب مُسكِر. ومع ذلك حصلت مشكلة معه. قال «آسف، يا سيدي، ولكن هل لديك ما يُثبت سنك؟ كإجازة القيادة، مثلاً؟»

رميته بذلك التحديق البارد جداً، كأنه أهانني أيّما إهانة، وسألته «هل أبدو لك أني تحت سن الحادية والعشرين؟»

«آسف، يا سيدي، ولكن لدينا أ -»

قلت «أوكيه، أوكيه». وفكّرت ملياً في الأمر. «أحضر لي كوكا كولا». وانطلق، لكني هتفتُ له ليعود، سألته «ألا تستطيع أنْ تُضيفَ إليه قليلاً من الرَمْ أو ما شابه؟». سألته بلطفٍ ضافٍ وكل شيء. «لا يمكن أنْ أجلس في ركنٍ بائس كهذا وأنا *صاحٍ* تماماً. ألا تستطيع أنْ تُضيف إليه قليلاً من الرَمْ أو شيئاً ما»

قال «أنا شديد الأسف، يا سيدي...»، وتركني وانطلق. لكنني لم أحقد عليه. إنهم يفقدون أعمالهم إذا ما قُبِضَ عليهم يبيعون القُصّار. وأنا قاصِر لعين.

مرة أخرى أخذتُ أرمق الساحرات الثلاث على الطاولة المجاورة. أعني، الشقراء بينهن. الاثنتان الأخريان دون المستوى. ولكن لم أفعل ذلك بفظاظة. بل ألقيتُ على الثلاث نظرة شديدة الهدوء وكل شيء. ولكن ما فعلنه، الثلاث، عندما قمتُ بذلك، أنهنَّ أخذن يضحكن ضحكاً مكبوتاً كالمغفلات. لعلّهن ظننَّ أني أصغر بكثير من أنْ ألقي عليهن تلك النظرة المتفحّصة. انزعجتُ لذلك كثيراً – وكأنهنّ حسبنَ أني سأتزوج منهنَّ أو ما شابه. كان يجب أنْ أعاملهنّ ببرود، بعد أنْ فعلنَ ذلك، لكنَّ المشكلة هي أني رغبتُ في الرقص. أنا شديد الولوع بالرقص، أحياناً، وكانت تلك هي إحدى تلك المرات. لذلك قمتُ فجأة بالانحناء إلى الأمام وقلت «هل ترغب أي من الفتيات بالرقص؟» لم أطرح السؤال بفظاظة أو أي شيء، بل بكياسة شديدة، في الحقيقة. ولكن اللّعنة، لقد اعتبرنَ أنَّ ذلك سلوك مُرعب، أيضاً. وبدأنَ يُقهقهن أكثر، لستُ أمزح، لقد كنَّ ثلاث مغفلات حقيقيات.

قلت «هيا، سأرقص معكنّ بالدور. اتفقنا؟ ما رأيكنّ؟ هيا!». كنتُ أرغب حقاً في الرقص.

أخيراً، نهضت الشقراء واقفة لكي ترقص معي، لأنه كان جلياً أنني أخاطبها هي، وخرجنا إلى حلبة الرقص. وكادت القبيحتان الأخريان تُصابان بالهستريا عندما فعلنا ذلك. ولا شك في أني كنتُ شديد اللهفة بحيث لم أزعج نفسي بأي منهما.

لكنَّ الأمر كان يستحق العناء، فالشقراء كانت راقصة بارعة، بل من أفضل مَنْ رقصتُ معهنّ. أنا لا أمزح، إنَّ بعض أولئك الحمقاوات يمكن أنْ يتفوّقن عليك على حلبة الرقص. رافِقْ فتاةً ذكية حقاً، فإذا بها تحاول في معظم الوقت أنْ تقود هي الرقص في الحلبة، أو تكون راقصة خرقاء وأفضل ما تفعله هو أنْ تجلسا على الطاولة وتكتفي بالسُكر معها.

قلت للشقراء «أنت راقصة جيدة حقاً. يجب أنْ تحترفي. أنا جادّ. لقد رقصتُ مع محترفة ذات مرة، أنت أفضل منها مرّتين. هل سمعتِ بماركو وميراندا؟»

قالتْ «ماذا؟». لم تكن حتى تُصغي إليّ؛ كانت تتلفَّت حولها في المكان.

«قلتُ هل سبق أنْ سمعتِ بماركو وميراندا؟»

«لا أعلم. كلا. لا أعلم»

«حسن، إنهما راقصان، هي راقصة. لكنها ليست جيدة جداً. إنها تنفِّذ كل ما يُفترَض بها أنْ تفعله، لكنها ليست جيدة على أي حال. والمرء يعرف إنْ كانت الفتاة راقصة جيدة أم لا؟»

قالت «ماذا تقول؟». لم تكن تُصغي إليّ. كان ذهنها شارداً في أرجاء المكان كله.

«أقول هل تعرفين الفتاة إنْ كانت راقصة جيدة أم لا؟»

«آه – نعم»

«حسن – إذا وضعتُ يدي على ظهرها، وشعرتُ أنه لا يوجد شيء تحت يدي– لا أرداف، لا سيقان، لا قدمين، ولا *أي شيء* – فالفتاة راقصة جيدة»

لكنها لم تكن تُصغي. فتجاهلتها برهة. واكتفينا بالرقص. يا إلهي، كم تُحسِن تلك الفتاة البلهاء الرقص. كان بدي سينغر وفرقته النتنة يعزفون لحن

«فقط واحد من تلك الأشياء» بل إنهم لم يتمكنوا من إفساده بشكلٍ كامل. إنها أغنية عظيمة. لم أحاول أنْ أقوم بأي خدعة أثناء الرقص -أنا أكره الرجل الذي يقوم بخدع استعراضية في الحلبة- لكنني كنتُ أدور بها كثيراً، وتجاوبت معي. الغريب في الأمر هو أني اعتقدتُ أنها تستمتع بذلك، أيضاً، إلى أنْ نطقت فجأةً بتلك الملاحظة الحمقاء، قالت «أنا وصديقاتي شاهدنا بيتر لور مساء أمس، الممثل السينمائي، شخصياً. كان يشتري صحيفة. ما *أظرفه*»

أخبرتها «أنتِ محظوظة. أنتِ حقاً محظوظة. أتعلمين هذا؟». لقد كانت حمقاء حقيقية. لكنها راقصة رائعة. ولم أقوَ على منع نفسي من تقبيلها على جبينها التافه – في الواقع – عند مفترق الشعر، وكل شيء. وثار غضبها عندما فعلتُ ذلك.

«هيه! لِمَ فعلتَ ذلك؟»

قلت «لا شيء. بلا سبب. أنتِ حقاً راقصة بارعة. لديّ أخت صغيرة في الصف الرابع اللعين، وأنتِ لا تقلّين عنها براعة، وهي تُحسن الرقص أكثر من أي شخص حيّ أو ميت»

«انتبه إلى ألفاظك، من فضلك»

يا لها من سيدة محترمة، يا إلهي. *ملكة*، وحقّ الله.

سألتُها «من أين صديقتاك؟»

لكنها لم تُجِب. كانت منهمكة في التلفُّت حولها عسى أنْ يظهر لها بيتر لور.

سألتها من جديد «من أين صديقتاك؟»

قالت «ماذا؟»

«من أين أنتم؟ لا تُجيبي إذا كنتِ لا ترغبين في ذلك. لا أريدك أنْ تُرهقي نفسك»

قالتْ «من سياتل، واشنطن». كأنها تُقدم لي معروفاً كبيراً بإخباري ذلك.

أخبرتها «أنتِ مُتحدثة جيدة جداً. أتعلمين هذا؟»

«ماذا؟»

تخلّيت عن الأمر. على أي حال لم تكن مهتمة بالأمر. «هل ترغبين في رقصة الجيترْبَغ قليلاً، إذا عزفوا لحناً سريعاً؟ ليس لحناً سريعاً مبتذلاً،

ليس قفزاً أو أي شيء - فقط بلطف وهدوء. إنَّ الجميع يجلسون عندما يعزفون لحناً سريعاً، ما عدا العجائز والبدينين، وسوف نحصل على متّسع من المكان. أوكيه؟»

قالت «ليس للأمر أهمية بالنسبة إليّ. هيه - كم عمرك، على أي حال؟»

هذا السؤال أزعجني، لسببٍ ما. قلت «أوه، يا إلهي. لا تفسدي الأمر. أنا في الثانية عشرة، إكراماً لله. أنا ناضج بالنسبة إلى سني»

قالت «اسمع، لقد قلت لك ذلك. أنا لا أحب هذا النوع من اللغة. إذا استعملتَ مثل هذه الألفاظ، سأعود وأجلس مع صديقاتي الفتيات»

اعتذرت بقوة، لأنَّ الفرقة الموسيقية كانت قد بدأتْ بعزف مقطوعة سريعة الإيقاع. وبدأتْ ترقص الجيتربَغ معي - ولكن بهدوء وبطء، وليس بابتذال. كانت بارعة حقاً. كان يكفي أنْ ألمسها. وعندما كانت تلتفُّ حول نفسها تنتفض مؤخّرتها الصغيرة بشكلٍ جميل وكل شيء. لقد أثارتْ إعجابي الشديد. حقاً. وعندما حان وقت الجلوس كنتُ شبه عاشق لها. هذا هو حال الفتيات. كلما فعلنَ شيئاً جميلاً، حتى ولو لم يكن فيهن ما يسرّ النظر، أو حتى كنَّ غبيات، تقع صريع حبّهن، ومن ثم لا تعود تعرف في *أي* جحيمٍ أنت. الفتيات. يا يسوع المسيح. يستطعن أنْ يدفعنكَ إلى الجنون. يستطعن حقاً.

لم يدعُنني للجلوس إلى طاولتهن -في الغالب كنَّ شديدات الجهل- لكنني جلست مع ذلك. الشقراء التي كنتُ أرقص معها كان اسمها برنيس شيء ما - كرابس أو كريبس. والقبيحتان كان اسمهما مارتي ولافرن. قلتُ لهما إنَّ اسمي هو جيم ستيل، هكذا من دون أي سبب. ثم حاولتُ أنْ أنخرط معهما في حديث على قدر من الذكاء، لكنَّ ذلك كان مستحيلاً عملياً. كان عليك أنْ تجبرهما على ذلك. كان صعباً معرفة مَنَ الأشدّ غباءً بين الثلاث. والثلاث لم يتوقّفن عن النظر حولهن في كل أرجاء الغرفة اللعينة، كأنهن يتوقّعن دخول حشدٍ من نجوم السينما اللعينة في أي دقيقة. لعلّهن اعتقدنَ أنَّ نجوم السينما دائماً يتسكّعون في غرفة الخزامى عندما يأتون إلى نيويورك، بدل الذهاب إلى نادي ستورك أو إل موروكو وما إلى ذلك. على أي حال، استغرقَ مني حوالي نصف الساعة اكتشاف مكان عملهن وما إلى ذلك في

سياتل. كلهن كنَّ يعملنَ في مكتب التأمين نفسه. سألتهن إنْ كنَّ يُحبينه، ولكن أتعتقد أنَّ في استطاعتك أنْ تحصل على جواب بارع من أولئك الحمقاوات؟ في رأيي أن القبيحتين، مارتي ولافرن، كانتا أختين، لكنهما شعرتا بالمهانة عندما سألتهما عن ذلك. كان جلياً أنَّ أياً منهما لم ترغب في أنْ يبدو أنها تُشبه الأخرى، ولا ألومهما، لكنَّ الأمر كان مسلياً جداً على أي حال.

رقصت معهن -الثلاث كلهن- كلاً على حِدة. القبيحة، لافرن، كانت راقصة سيئة جداً، لكنَّ الأخرى، مارتي العجوز، كانت فظيعة. الرقص مع مارتي العجوز كان أشبه بجرّ تمثال الحرية في أرجاء الغرفة. الطريقة الوحيدة التي تمكنت بها من الاستمتاع قليلاً بجرّها في أرجاء المكان كانت بأنْ أتسلّى قليلاً. فقلتُ لها إني شاهدتُ تواً غاري كوبر، نجم السينما، على الجانب الآخر من الحلبة.

سألتني - مغمورة بالإثارة، «*أين؟ أين*»

«أوه، لقد رحل توّاً، خرج الآن. لماذا لم تنظري عندما أخبرتك؟»

توقفت عن الرقص فوراً، وأخذتْ تمدُّ بصرها عبر رأس كل شخص لعلّها تراه. قالت «أوه، للأسف!». لقد كسرت قلبها - حقاً. شعرتُ بالأسف الشديد لأني خدعتها. بعض الناس لا ينبغي خداعهم، حتى وإنْ كانوا يستحقون الخِداع.

ولكن إليك ما كان مضحكاً حقاً. عندما عدنا إلى الطاولة، أخبرت مارتي العجوز الاثنتين الأخريين أنَّ غاري كوبر خرج تواً من المكان. يا إلهي، كادت العجوز لافرن ومارتي تنتحران عندما سمعتا ذلك. ودبَّ فيهما الحماس وسألتْ مارتي إنْ كانت قد رأته وما إلى ذلك. فقالت مارت العجوز إنها فقط لمحته. وهذا أثار غيظي.

أوشكت الحانة على الإغلاق، فاشتريت للجميع مشروبين لكل واحدة على عَجَل قبل أنْ تُغلِق، وطلبتُ زجاجتي كوكاكولا لنفسي. كانت الطاولة اللعينة قذرة بما عليها من كؤوس. وأخذتْ القبيحة، لافرن، تسخر مني لأني لا أشرب غير الكوكاكولا. كانت تتمتع بحس فكه ممتاز. كانت مع العجوز

مارتي تشربان توم كولنز[1] -ونحن في منتصف كانون الأول، يا للفظاعة. لم يكنَّ يشربن غيره. الشقراء، أما برنيس العجوز، فشربتْ بوربوناً وماء. وهي أيضاً لم تكف عن شربه. ولم تتوقف أي منهنّ عن البحث عن نجوم السينما طوال الوقت. لم يكنَّ يتبادلن الحديث- حتى فيما بينهنّ. مارتي العجوز تكلّمت أكثر من الأخرين. ظلَّت تُكرر الأشياء المضجِرة والمبتذلة جداً، كأنْ تقول عن المرحاض إنها «غرفة الفتيات الصغيرات»، واعتبرت أنَّ بدي سينغر عازف الكلارينت البائس رائع عندما كان ينهض واقفاً ويلعق آلته مرتين حارتين باردتين. ووصفت آلة الكلارينت بأنها «عرق السوس». كانت مبتذلة. والقبيحة الأخرى، لافرن، كانت تعتقد أنها شديدة الذكاء. ظلت تطلب مني أنْ أتصل بوالدي وأسأله ماذا يفعل هذه الليلة. وظلت تسألني إنْ كان لوالدي عشيقة أم لا. سألتني هذا *أربع مرات* – كانت ذكية دون أدنى شك. وبرنيس العجوز، الشقراء، لم تقُل أي شيء تقريباً. وكلما سألتها سؤالاً قالت «ماذا؟»، وهذا حطَّمَ أعصابي بعد فترة.

وفجأةً، وقبل أنْ ينتهين من رشف مشروبهن، وقفت الثلاث أمامي وقلنَ إنَّ عليهن أنْ يأوين إلى النوم. قلنَ إنهنَ سينهضنَ باكراً ليُشاهدن العرض الأول في راديو سيتي ميوزيك هول. حاولت أنْ أحثّهن على البقاء قليلاً، لكنهن رفضن. لذلك ودّعتهن وكل شيء. قلتُ لهنّ إني سألقاهن في سياتل في وقتٍ ما، إذا ذهبتُ إلى هناك، لكني كنتُ أشك في أني سأفعل ذلك أبداً. أعني فيما يخص لقاءهن.

وصلت قيمة الفاتورة، مع السجائر وكل شيء، إلى حوالي ثلاثة عشر دولاراً. أعتقد أنه كان عليهن أنْ يدفعن على الأقلّ ثمن المشروبات التي تناولنها قبل أنْ أنضمَّ إليهنّ -ما كنتُ لأسمح لهنّ، طبعاً، ولكن كان عليهن على الأقلّ أنْ يُبدين استعدادهن لدفع النقود. لكنّي لم أهتم كثيراً للأمر، لقد كنَّ شديدات الجهل، ويعتمرن تلك القبعات الغريبة، الحزينة وكل شيء. وذلك الكلام عن الاستيقاظ باكراً لمشاهدة العرض في راديو سيتي ميوزيك هول أحزنني. فإذا ما جاء شخص، أو فتاة تعتمر قبعة فظيعة المظهر،

1- توم كولنز: مشروب مُسكِر من جِنْ وعصير ليمون وماء الصودا.

مثلاً، إلى نيويورك- قادمة من سياتل، واشنطن، إكراماً لله - وينتهي بها الأمر بالاستيقاظ في الصباح لتشاهد العرض الأول اللعين في راديو سيتي ميوزيك هول، فإنَّ ذلك يُحزنني بصورة لا تُطاق. كان يمكن أنْ أقدم مِئة مشروب على حسابي للثلاث معاً لو لم يقُلنَ ذلك.

غادرت غرفة الخزامى فور مغادرتهن. على أي حال، كانوا يُغلقون المكان، وكانت الفرقة الموسيقية قد غادرت قبل وقتٍ طويل. أصلاً، كان أحد تلك الأماكن الفظيعة جداً إلا إذا كنتَ مع شخصٍ بارع في الرقص معك، أو سمحَ لك النادل بشرب مشروب حقيقي بدل الاكتفاء بشرب الكوكاكولا. ليس هناك في العالم كله نادٍ ليليّ تستطيع أنْ تجلس فيه فترة طويلة إلا إذا اشتريت على الأقلّ بعض المشروب وسكرت. أو كنتَ مُصطحباً فتاة تسحرك بحضورها.

الفصل الحادي عشر

في طريقي إلى البهو عادت فجأةً ذِكرى العزيزة جين غالاغر إلى ذهني. تذكَّرتها، ولم أتمكن من طرحها من تفكيري. جلست على الكرسي القذر في البهو ورحتُ أفكّر فيها مُتخيّلاً سترادليتر جالساً في سيارة إد بانكي اللعينة، وعلى الرغم من أني كنتُ متأكداً تماماً من أنَّ العزيز ستراديليتر لم يُضاجعها -كنتُ أعرف العزيزة جين عن ظهر قلب- إلّا أنّي لم أتمكّن من طرحها من ذهني. كنتُ أعرفها عن ظهر قلب. حقاً. أعني، بالإضافة إلى الداما، كانت شديدة الولوع بأنواع الرياضة كلها، وبعد أنْ تعرّفت عليها، أمضينا فصل الصيف كله في لعب كرة المضرب معاً في صباح كل يوم تقريباً والغولف بعد ظهر كل يوم تقريباً. لقد عرفتها معرفة حميمة فعلاً. لا أعني بهذا أي علاقة جسدية أو أي شيء -لم تكن كذلك- ولكن كنا معاً طوال الوقت. ليس المرءُ مضطراً إلى أنْ يكون صاحب جاذبية جنسية طاغية ليتعرَّف إلى فتاة.

وقد تعرَّفتُ عليها على الشكل التالي. كان كلبها الدوبرمان بنشر يأتي إلى مرجنا ليتبوّل فيه، وثارت ثائرة أمي بسبب ذلك. فنادت على أم جين ونشأت مشكلة كبيرة بسبب ذلك. وفي استطاعة أمي أنْ تُثير مشكلة كبيرة في مثل هذه الحالة. ثم ماذا حدث، بعد ذلك بيومين رأيتُ جين مستلقية على بطنها بجوار بركة السباحة، في النادي، فحيّيتُها. كنتُ أعلم أنها تقطن في المنزل المجاور لنا، لكني لم أكن قد تكلمت معها قبل ذلك أو أي شيء. لكنها قابلتني ببرود شديد عندما حيّيتها بحماس في ذلك اليوم. واستغرقَ مني وقتاً طويلاً إقناعها بأنه لا يهمني أين يتبول كلبها. يمكنه أنْ يفعلها في غرفة الجلوس، ولم آبه لذلك. على أي حال، بعد ذلك، أصبحت مع جين صديقين وكل شيء. وبعد ظهر ذلك اليوم لعبتُ معها الغولف. وأذكر أنها

خسرت ثماني كرات. *ثماني*. وأمضيتُ وقتاً طويلاً لكي أجعلها تفتح عينيها جيداً وهي تضرب الكرة. لكني حسَّنتُ من لعبها كثيراً. أنا لاعب غولف جيد جداً. ولو أخبرك ماذا أمارس، ربما لن تصدِّقني. ذات مرة كدت أشترك في فيلمٍ قصير، لكنني بدَّلتُ رأيي في الدقيقة الأخيرة. أعتقد أنه أي شخص يكره السينما مثلي، سوف أبدو زائفاً إذا تركتهم يُقحمونني في فيلمٍ قصير.

كانت العزيزة جين فتاة مرحة. لا يمكنني أنْ أصِفها بأنها بالضبط جميلة. لكنها فتنتني. كانت قذرة الفم. أعني أنها عندما تتكلَّم وتتحمّس لشيءٍ ما، يتوزَّع فمها بخمسين اتّجاه، مع شفتيها وكل شيء. وكان ذلك يُزعجني. ولم تكن تُغلقه تماماً، أعني فمها. كان دائماً منفرجاً قليلاً، خاصة وهي في حالة نشوة من لعب الغولف، أو وهي تقرأ كتاباً. كانت دائماً تقرأ، وتقرأ كتباً جيدة جداً؛ تقرأ الكثير من الشعر وما إلى ذلك. وهي الوحيدة، خارج نطاق عائلتي، التي أريتها قفاز آلي للعبة البيسبول، بكل ما كُتِبَ عليه من قصائد. لم تكن قد قابلت آلي أو أي شيء، لأنَّ ذلك كان أول صيف تُمضيه في ولاية مين –وقبل ذلك، ذهبت إلى كيب كود– لكني أخبرتها الكثير عنه. كانت تهتم بذلك النوع من الأشياء.

أمي لم تُحبّها كثيراً. أعني أنَّ أمي كانت تعتقد أنَّ جين وأمها تُعاملانها بازدراء أو ما شابه عندما لا يُحييانها. اعتبرتهما أمي ريفيَّتين، لأنَّ جين كانت تذهب مع أمها إلى السوق بسيارتهما لاسال ذات الغطاء القابل للطيّ. ولم تكن أمي ترى أنَّ جين جميلة. أما أنا فوجدتها كذلك. كان يُعجبني مظهرها، هذا كل شيء.

أذكر ما حدث بعد ظهر أحد الأيام. كانت تلك المرة الوحيدة التي اقتربتُ فيها من تقبيل جين. وقعَ ذلك في يوم سبت والدنيا تُمطِر بغزارة، وكنت في منزلها، على الشرفة – كان لديهم تلك الشرفة ذات الستارة الكبيرة. كنا نلعب الداما، وأنا أمازحها بين حينٍ وآخر لأنها لا تُزحزح الملوك عن الصف الأخير. لكنَّ مزاحي لم يكن ثقيلاً. لا يمكن للمرء أنْ يرغب في المغالاة في المزاح مع جين. أعتقد أني كنتُ أحب أنْ أمازح الفتاة حتى أغيظها عندما تُتاح لي الفرصة، لكنَّ ذلك مُسل. الفتيات اللواتي يُعجبنني أكثر من غيرهن هنّ اللائي لا أحبّ أن أمازحهنّ. أحياناً أعتقد أنهن يُحبِبن أنْ تمازحهن –في

الواقع، أنا *متأكد* من ذلك- ولكن من الصعب أنْ تبدأ المُزاح، بعد أنْ تعرفهنّ مدة طويلة دون أنْ تمازحهن. على أي حال كنتُ أحكي لك عن ذلك اليوم الذي أوشكت فيه أنْ أُقبّل جين. كانت تُمطر بغزارة وكنا جالسين في الشرفة، وفجأةً خرج ذلك الكلب السكّير الذي تزوجته أمها إلى الشرفة وسأل جين إنْ كانت هناك سجائر في المنزل. أنا لم أكن أعرفه معرفة جيدة أو أي شيء، لكنه بدا من النوع الذي لا يرغب في التكلّم معك إلا إذا أراد منك شيئاً. كان ذا شخصية حقيرة. على أي حال، لم تُجبه العزيزة جين عندما سألها إنْ كانت تعلم أين مكان السجائر. فسألها الرجل من جديد، لكنها لم تُجبه. بل إنها لم ترفع نظرها عن اللعبة. وأخيراً دخل الرجل المنزل. بعدما فعل ذلك سألت جين ما الذي يحدث بحق الجحيم. ورفضت حتى أنْ تُجيبني *أنا*. بدتْ كأنها تركّز انتباهها على الخطوة التالية في اللعبة وكل شيء. ثم، فجأةً، سقطتْ تلك الدمعة على رقعة الداما؛ على أحد المربعات الحمراء - يا إلهي، أكاد أراها حتى الآن. فمسحتها عن الرقعة بإصبعها. ولا أدري لماذا انزعجتُ أيّما انزعاج. فماذا فعلتُ، انتقلتُ إليها وجعلتها تُفسح لي مكاناً على المنزلق لكي أجلس إلى جوارها- وكُدتُ أجلس على حجرها عملياً، في الواقع. هنا بدأتْ تبكي **فعلاً**، والشيء التالي الذي أذكره هو أني كنتُ أقبّلها في كل مكان -*كل* مكان- عينيها، أنفها، جبينها، حاجبيها وكل شيء، ***وأذنيها*** - على وجهها كله ما عدا فمها وما إلى ذلك. لقد مَنَعَتني بصورة ما من بلوغ فمها. على أي حال، كان ذلك أقرب وضعٍ اقتربنا فيه من القبلة. وبعد قليل، نهضتْ واقفة ودخلت وارتدت سترتها الحمراء، وهذا صعقني، ثم ذهبنا لمشاهدة فيلم سينمائي لعين. سألتها، في الطريق، إنْ كان السيد كداهي -اسم الكلب السكّير- قد حاولَ أنْ يتحرَّش بها. كانت صغيرة جداً، لكنَّ قوامها كان رائعاً، وما كنتُ لأسمح لها بالمرور من أمام ذلك الكداهيّ ابن الحرام. لكنها قالت كلا. ولم أتوصل قط إلى معرفة ما ألمَّ بها. إنَّ بعض الفتيات لا تعرف أبداً ماذا ألمّ بهن.

لا أريدك أنْ تفهم أنها كانت *جامدة العواطف* أو ما شابه، لمجرَّد أننا لم نتبادل القُبَل أو نعبثُ معاً كثيراً. هي لم تكن كذلك. فقد أمسكتُ بيدها طوال الوقت، مثلاً. أعلم أنَّ هذا لا يبدو بالشيء الكثير، لكنها كانت بارعة

في الإمساك بالأيدي. إنَّ مُعظم الفتيات إذا أمسكت بأيديهن اللعينة تتعطّل أيديهنّ بين يديك، أو يعتقدنَ أنه يجب أنْ *يُحرّكنها* طوال الوقت، كأنهنّ يخشين أنْ يُضجرنكَ أو ما شابه. جين كانت مختلفة. كنا نذهب لمشاهدة فيلم لعين أو شيءٍ ما، وفي الحال تشتبك أيدينا، ولا نكفّ عن ذلك إلى أنْ ينتهي الفيلم. ومن دون تغيير الوضعية أو المبالغة فيها. مع جين، لم أكن حتى أقلق مما إذا كانت يدي مُبلَّلة بالعَرَق أم لا. كل ما أعرفه هو أني أكون سعيداً. حقاً.

ثمة أمر آخر فكّرتُ فيه. ذات مرة، خلال مشاهدة ذلك الفيلم، فعلت جين شيئاً صعقني. كانوا يعرضون نشرة الأخبار وما إلى ذلك، وفجأةً شعرت بيدٍ على قفا عنقي، وإذا بها يد جين. كان تصرفاً غريباً. أعني أنها كانت صغيرة جداً وما إلى ذلك، وأغلب الفتيات، إذا رأيتهنّ يضعن أيديهن على قفا عنق أحدهم، يكنَّ في عمر الخامسة والعشرين أو الثلاثين ويفعلنَ ذلك عادةً لأزواجهنّ أو لأطفالهن. أنا أفعل ذلك لأختي الصغيرة فيبي بين حينٍ وآخر، مثلاً. ولكن إذا فعلت فتاة صغيرة مثل هذا فإنه شيء جميل إلى درجة صاعقة.

على أي حال، هذا ما كنتُ أفكّر فيه وأنا جالس في ذلك الكرسي القذر في البهو. في جين العزيزة. وكلما وصلتُ إلى الجزء الذي كانت فيه مع سترادليتر في سيارة إد بانكي اللعينة، أكاد أُجن. كنتُ أعلم أنها لا يمكن أنْ تسمح له بالوصول إلى المرحلة الأولى معها، لكنّه كان يُثير جنوني مع ذلك. بل إنني لا أحب أنْ أتكلّم عنه، إذا أردت أنْ تعرف الحقيقة.

كان البهو خالياً تقريباً من الناس. حتى الشقراوات ذوات المظهر العاهر اختفين، وفجأةً، شعرت برغبة جامحة في مغادرة المكان المُثير للكآبة. ولم أكن مُتعباً أو أي شيء. لذلك صعدتُ إلى غرفتي وارتديتُ معطفي. وأطللتُ أيضاً من النافذة لأرى إنْ كان المنحرفون لا يزالون يمارسون نشاطاتهم، لكنَّ الأضواء وكل شيء كانت قد أُطفئت حينئذ. هبطتُ بالمصعد من جديد وركبتُ سيارة أجرة وطلبتُ من السائق أنْ يوصلني إلى محل إرني. ومحل إرني هو نادٍ ليليّ في منطقة غرينيتش فيليج كان يرتاده أخي د.ب كثيراً قبل أنْ ينتقل إلى هوليوود ويبيع نفسه. كان يصطحبني معه بين حين وآخر.

وإرني رجل ضخم وبدين ملوّن يعزف على البيانو، ومتغطرس فظيع يرفض أنْ يتكلَّم إلا مع ذوي الشأن الرفيع أو المشاهير أو ما شابه، لكنه بارع في العزف على البيانو، بارع إلى درجة الابتذال، في الواقع. ولا أدري ماذا أعني بهذا بالضبط، لكني جادّ في قولي. وأنا أحبُّ حتماً أنْ أصغي إلى عزفه، لكنَّ المرء يشعر أحياناً برغبة في الإطاحة بالبيانو اللعين. أعتقد أنَّ ذلك يعود أحياناً إلى أنه عندما يعزف يبدو أنه من النوع الذي يرفض أنْ يُخاطبك إلا إذا كنتَ من ذوي الشأن.

الفصل الثاني عشر

سيارة الأجرة التي ركبتها كانت قديمة جداً بحيث إنها كانت تفوح برائحة شخصٍ رمى فيها كعكاً مُحلّى. دائماً تكون من نصيبي تلك السيارات المُقززة للنفس كلما ذهبت إلى أي مكان في وقتٍ متأخر من الليل. وما زاد الطين بِلّة أنَّ الجو في الخارج كان شديد الهدوء ويُشيع الوحشة في القلب، على الرغم من أنها كانت ليلة يوم سبت. كانت الشوارع تكاد تخلو من الناس، وبين حين وآخر ترى شاباً وفتاة يعبران الشارع، يُحيط كل منهما خصر الآخر بذراعه، أو عصبة من الشبان يبدو عليهم الإجرام مع فتياتهم، وكلهم يضحكون كالضِباع على شيء تكاد تُراهن على أنه ليس مُضحكاً. وتصبح مدينة نيويورك رهيبة عندما يضحك شخص في الشارع في وقتٍ متأخر من الليل. تستطيع أنْ تسمعه على بُعد أميال، ويشيع فيك إحساساً بالوحشة واليأس. وبقيتُ أمنّي نفسي بالوصول إلى المنزل والمسامرة بعض الوقت مع العزيزة فيبي. ولكن أخيراً، بعد فترة من الركوب، انخرطتُ في الحديث مع السائق، وكان اسمه هوروفيتز. كان أفضل من السائق الذي ركبت معه قبل ذلك. وعلى أية حال، فكّرتُ في أنني قد أتمكن من معرفة شيء عن البط.

قلت «هيه، هوروفيتز، هل سبقَ لك أنْ مررتَ بجوار بركة سنترال بارك؟ في جنوب سنترال بارك؟»

«بجوار *ماذا*؟»

«البِركة. تلك البحيرة الصغيرة، مثل، تلك التي هناك. حيث يسبح البط. كما تعلم»

«نعم، ماذا بها؟»

«حسن، أتعرف البط الذي يعوم فيها؟ في الربيع وما إلى ذلك؟ هل تعرف أين يذهب في الشتاء، مثلاً؟»

«أين يذهب مَن؟»

«البط. أتعرف، بالمصادفة؟ أعني، هل يأتي أحد ويضعه في شاحنة أو ما شابه ويأخذه، أم إنه يطير بعيداً وحده - إلى الجنوب أو ما شابه؟»

استدار هوروفيتز استدارة كاملة نحوي ونظر إليّ. كان من النوع النافد الصبر. ولكن لم يكن سيئاً. قال «وما أدراني أنا؟ ما أدراني أنا بمثل هذا الشيء الأبله؟»

قلت «حسن، لا تغضب مني». كان غاضباً من ذلك أو ما شابه.

«مَنْ غاضب؟ لا أحد غاضب»

أغلقتُ باب الحوار معه، ما دام سيُصبح شديد الحساسية بسببه. لكنه عاد وفتحه من جديد، وقال «*الأسماك* لا تذهب إلى أي مكان. إنها تبقى حيث هي، أعني الأسماك. في البحيرة اللعينة نفسها»

قلت «مع الأسماك - الوضع مختلف. الأسماك مختلفة. أنا أتحدث عن *البط*»

قال هوروفيتز «أين وجه الاختلاف؟ لا أرى أيّ اختلاف». كان كلما قال شيئاً بدا غاضباً من شيء ما. «الأمر أصعب بالنسبة إلى الأسماك، في الشتاء وكل شيء، أصعب مما هو عليه مع البط، إكراماً لله. استخدم عقلك، إكراماً لله»

لم أقل شيئاً طوال حوالي دقيقة. ثم قلت «حسن. ماذا تفعل، الأسماك وكل شيء، عندما تصبح تلك البحيرة الصغيرة كتلة من الجليد، ويتزحلق الناس عليها وكل شيء؟»

مرة أخرى التفتَ العجوز هوروفيتز، وصرخ في وجهي «ماذا تعني بحق الجحيم بماذا تفعل؟ إنها تبقى حيث هي، إكراماً لله»

«لا يمكنها أنْ تتجاهل الجليد هكذا ببساطة. لا يمكنها أنْ تتجاهله»

قال هوروفيتز «مَن الذي يتجاهله؟ لا أحد يتجاهله!». ودبَّ فيه الاضطراب وكل شيء، وخشيت أنْ يصطدم بسيارته بعمود النور أو ما شابه. «إنها تعيش داخل الجليد اللعين. تلك هي طبيعتها، إكراماً لله. إنها تتجمَّد في وضعية واحدة وتبقى كذلك طوال الشتاء»

«أحقاً؟ وماذا تأكل، إذن؟ أعني، إذا كانت *متجمّدة*، فهي لن تستطيع أنْ تسبح لتبحث عن *طعام* وكل شيء»

«تأكل عبر *أجسادها*، إكراماً لله – ماذا حدث لك؟ عبر أجسادها تتغذّى وكل شيء، من الأعشاب البحرية والخراء الذي في الجليد. إنَّ لديها *مساماً* مفتوحة طوال الوقت. هذه هي طبيعتها، إكراماً لله. أفهمتَ قصدي؟»، والتفتَ من جديد لينظر إليّ.

قلت «أوه». وتركت الموضوع. خشيتُ أنْ يُحطِّم السيارة اللعينة أو ما شابه. ثم إنه كان رجلاً حساساً جداً، ومناقشته في أي أمر ليس شيئاً ممتعاً. قلت «ما رأيك في أنْ نتوقف وتتناول مشروباً معي في مكان ما؟»

لكنه لم يُجِب. أعتقدُ أنه كان لا يزال يُفكِّر. لكني طرحت عليه السؤال من جديد. كان إنساناً طيباً جداً. مسلياً وكل شيء.

قال «ليس لدي وقت للشرب، يا صاحبي. على أي حال، كم عمرك بحق الجحيم؟ لِمَ لستَ في المنزل تنام في سريرك؟»

«لستُ مُتعباً»

عندما ترجّلتُ أمام محل إرني ودفعت الأجرة، أثار العجوز هوروفيتز موضوع الأسماك من جديد. لا شك في أنه شغلَ باله. قال «اسمع، إذا كنتَ سمكة، فسوف تعتني بك الطبيعة الأم، أليس كذلك؟ صح؟ لا أظنكَ تعتقد أنَّ الأسماك تموت هكذا ببساطة فور حلول فصل الشتاء، أليس كذلك؟»

«كلا، ولكن –»

قال هوروفيتز «إنها حتماً لا تموت»، وانطلق بسيارته بأقصى سرعة. ربما كان أشد مَنْ قابلت حساسية. إنَّ كل ما يُقال له يُغضِبه.

على الرغم من أنَّ الوقت كان متأخراً فإنَّ محل العجوز إرني كان مُزدحماً. كان روّاده في مُعظمهم من حمقي المرحلة الإعداديّة وحمقى المرحلة الجامعيّة. كل المدارس اللعينة تقريباً في العالم كانت قد صرفت طلابها باكراً من أجل عطلة عيد الميلاد ما عدا المدارس التي التحقتُ *أنا* بها. كان صعباً أنْ تودِع معطفك الأمانات، بسبب الزحام الشديد. ولكن الجو كان يسوده الهدوء الشديد، لأنَّ إرني عندما جلس على البيانو كان

يعزف مقطوعة من المفترض أنْ تكون معزوفة دينية، إكراماً لله، لا أحد *يفوقه* في الجودة. كان هناك ثلاثة أزواج إلى جواري ينتظرون الطاولات، وكانوا جميعاً يتدافعون ويدوس بعضهم على أصابع أقدام بعض لكي يتمكنوا من إلقاء نظرة على العجوز إرني وهو يعزف. كان يضع مرآةً كبيرة جداً أمام آلة البيانو، وبقعة الضوء مُسلّطة عليه، لكي يتمكن الجميع من متابعة تعبيرات وجهه وهو يعزف. ولكن لم يكن في الإمكان رؤية *أصابعه* أثناء العزف – بل فقط وجهه العجوز الكبير. يا له من شخصية هامة. لستُ متأكداً تماماً من اسم الأغنية التي كان يعزفها عندما دخلت. كان يُضيف كل تلك التموجات الحمقاء، الاستعراضية على أنغامه العالية، بالإضافة إلى الكثير من الأشياء شديدة البراعة التي تزعجني. لكنك كنت تسمع الحشد يُهلل بعد أنْ ينتهي، حتى لتكاد ترغب في التقيّؤ. ويصبحون كالمجانين. كانوا يُشبهون بالضبط الحمقى الذين يضحكون كالضِباع في السينما على شيءٍ ليس مُضحكاً. أقسمُ بالله، لو أني كنتُ عازف بيانو أو ممثلاً أو ما شابه وكل أولئك البلهاء يعتقدون أني رائع، لكرهت الأمر؛ لما رغبتُ حتى في أنْ *يُصفّقوا* لأجلي. إنَّ الناس دائماً يُصفقون للأشياء الخطأ. ولو كنتُ عازف بيانو، لقمت بالعزف في المرحاض اللعين. على أي حال، بعد أنْ انتهى، وطفقَ الجميع يُصفقون كالمجانين، استدار العجوز إرني وهو على المقعد الخالي من الظهر وانحنى ذلك الانحناء الزائف جداً، *والمتواضع*. وكأنه شخص غاية في التواضُع، إلى جانب كونه عازف بيانو رائعاً. لقد كان شيئاً شديد الزيف –أعني كونه شخصاً شديد الغطرسة وما إلى ذلك. ولكن بطريقة مضحكة. وشعرتُ بشيء من الرثاء له بعد أنْ انتهى. بل إنني لا أعتقد أنه يعرف إنْ كان عزفه صحيحاً أم لا. والخطأ ليس كله خطأه. أنا أضع جزءاً من اللوم على أولئك البلهاء الذين يُصفقون حتى يكادون يفقدون عقولهم– جدير بهم أنْ يخدعوا أي شخص، إذا أُتيحت لهم الفرصة. على أي حال، مرة أخرى شعرتُ باليأس والانزعاج، وكدتُ أستعيد معطفي وأعود إلى الفندق، لكنَّ الوقت كان مبكراً جداً ولم أرغب كثيراً في البقاء وحيداً.

أخيراً خصصوا لي تلك الطاولة البائسة، الملاصقة للجدار وتقعُ خلف عمودٍ لعين، حيث لا يمكن مشاهدة أي شيء. كانت واحدة من تلك

الطاولات الصغيرة جداً التي إذا لم ينهض الأشخاص الجالسين على الطاولة المجاورة ليفسحوا لك المجال لتمرّ –وأولاد الحرام أولئك لا يفعلون ذلك أبداً– فسوف يتوجب عليك أنْ *ترتقي*، عملياً، كراسيهم. طلبتُ ويسكي مع صودا، مشروبي المفضّل، بالإضافة إلى مشروب مُسكِر بارد. في حانة إرني يمكنكَ، حتى لو كنتَ في سنِ السادسة، أنْ تحصل على شراب مُسكِر، فالظلام يعمّ المكان وكل شيء، ثم إنه لا أحد يأبه بسنّك. بل يمكنك حتى أنْ تسكر إلى أقصى مدى ولا يأبه بك أحد.

كنتُ مُحاطاً بالحمقى. أنا لا أمزح. فعلى تلك الطاولة الصغيرة المجاورة، إلى يساري مباشرةً، وفوقي تماماً، بالمعنى الحرفي، كان ذلك الرجل غريب المنظر وفتاته غريبة المنظر في مثل سنّي تقريباً، أو ربما أكبر قليلاً. كان منظراً مضحكاً، ومن الجليّ أنّهما حرصا على ألا يشربا المقدار الأدنى بسرعة كبيرة. أصغيتُ إلى حديثهما بعض الوقت، لأنه لم يكن لدي شيء آخر أفعله. كان يُخبرها عن مباراة كرة قدم للمحترفين شاهدها بعد ظهر ذلك اليوم. وأخبرها عن كل ضربة لعينة وقعتْ في المباراة كلها – أنا لا أمزح. كان أشد مَنْ أصغيتُ إليهم إثارة للملل. وكان واضحاً أنَّ فتاته لم تكن حتى مُهتمة بالمباراة اللعينة نفسها، لكنَّ مظهرها كان أشد غرابة من مظهره، لذلك أعتقد أنها كانت *مضطَرّة* إلى الاستماع. الفتيات القبيحات حقاً وضعهنّ أقسى. إنني أشعر بأسف شديد لأجلهن أحياناً. وأحياناً لا أستطيع حتى أنْ أنظر إليهن، خاصة إذا كنّ بصحبة أحمق يحكي لهنّ بالتفصيل عن مباراة كرة قدم لعينة. على يميني، كان الحديث أسوأ. على يميني كان شاب يُشبه إلى حدٍ بعيد جو ييل **Yale Joe** يرتدي بذلة من الفلانيلة الرمادية اللون وصدرة تبدو رثّة ومستعملة. إنَّ أولاد الحرام الجامعيين أولئك كلهم متشابهون. لقد أراد لي والدي أنْ ألتحق بجامعة ييل، أو ربما برينستون، لكنني أُقسِم على أني لن أذهب إلى أي من تلك الكليات الجامعية حتى وإنْ كنتُ أحتضر، قَسَماً بالله. على أي حال، ذلك الشاب الشبيه بجو ييل كانت بصحبته فتاة رائعة الجمال. يا إلهي، كم كانت جميلة. ولكن كان ينبغي أنْ تسمع الحديث الذي كان يدور بينهما. فأولاً، الاثنان كانا ثملَين قليلاً. وماذا كان يفعل هو، كان يتحسّسها من تحت الطاولة، وفي الوقت نفسه، كان يحكي لها عن شاب

في مهجعه ابتلع ملء زجاجة كاملة من حبوب الأسبرين وكاد يموت منتحراً. وكانت فتاته تقول له باستمرار «ما أبشع هذا... لا تفعل، يا عزيزي. أرجوك، لا تفعل. ليس هنا». تصور نفسك تتحسَّس إحداهن وأنت تخبرها عن شخص ينتحر في وقتٍ واحد! لقد أثارا جنوني.

لكنني بدأتُ أشعر بأنّي أشبه بمؤخرة خيل السباق، أجلس هناك وحدي. ليس لدي ما أفعله غير أنْ أدخّن وأشرب الخمر. ومع ذلك ما فعلته كان أني أبلغتُ النادل أنْ يطلب من إرني العجوز أنْ يتفضَّل وينضمّ إليّ لشرب كأس. أبلغته أنْ يُخبره أني أخو د.ب. ولكن لا أعتقد أنه نقل إليه رسالتي. أولاد الحرام أولئك لا ينقلون رسائلك إلى أحد.

وفجأةً، اقتربت فتاة مني وقالت «هولدن كولفيلد!». اسمها ليليان سيمنز. كان أخي د.ب يُصاحبها فترة من الوقت. وكان لديها ثديان ضخمان.

قلت «هاي». حاولتُ أنْ أنهض، طبعاً، لكنَّ عملية النهوض كانت عملية صعبة، في مثل ذلك المكان. كان برفقتها ضابط بحري بدا كأنَّ قضيباً مغروزاً في طيزه.

قالت العجوز ليليان سيمنز «ما أروع أنْ أراك!»، بزيف تام. «كيف حال أخوك الأكبر؟». هذا كل ما أرادت أنْ تعرفه.

«هو على ما يُرام. إنه في هوليوود»

«في هوليوود! ما أروع هذا! وماذا يفعل؟»

قلت «لا أعلم. إنه يكتب». لم تكن لدي رغبة في مناقشة الأمر. كان جلياً أنها تعتبر ذلك شيئاً هاماً، أعني وجوده في هوليوود. كل الناس يعتقدون ذلك. وغالباً هم الذين لم يقرؤوا أياً من قصصه. وهذا يُثير جنوني.

قالت العجوز ليليان «شيء مُثير». ثم قدَّمتني إلى الشاب البحري. اسمه الآمر بلوب أو ما شابه. كان أحد أولئك الذين يعتقدون أنهم مخنّثون إذا لم يكسروا حوالي أربعين إصبعاً من أصابعك وهم يُصافحونك. يا الله، كم أكره هذا النوع. سألتني العجوز ليليان «هل أنت وحدك، يا عزيزي؟». كانت تُعيق حركة المرور اللعينة بين الطاولات. وكان جلياً أنها تحب أنْ تُعيق الكثير من حركات المرور. وكان ثمة نادلٌ ينتظر أنْ تبتعد عن الطريق،

لكنها حتى لم تلاحظ وجوده. كان موقفاً مضحكاً. وكان مفهوماً أنَّ النادل لا يحبها كثيراً، وكان مفهوماً أيضاً أنَّ الضابط البحري لا يحبها كثيراً، على الرغم من أنه كان يصطحبها. *وأنا* لم أحبها كثيراً. لا أحد أحبّها. وبصورة ما، كنتَ تشعر بالرثاء لأجلها. سألتني «هل معك فتاة، يا عزيزي؟». كنتُ عندئذٍ قد نهضتُ، ولم تزعج نفسها بأنْ تطلب مني أنْ أجلس. كانت من النوع الذي يُبقيك واقفاً على مدى ساعات طوال. قالت للضابط البحري «أليس وسيماً؟ هولدن، أنت تزداد وسامة في كل دقيقة». أخبرها البحري أنَّ عليهما أنْ يُتابعا طريقهما. وقال لها إنهما يسدّان الممر كله. قالت العجوز ليليان «هولدن، تعال وانضمّ إلينا. أحضر معك مشروبك»

قلت لها «كنتُ أوشك على المغادرة. يجب أنْ أقابل أحدهم». كان واضحاً أنها تحاول أنْ تُقيم علاقة جيدة معي، لكي أخبر د. ب بذلك.

«حسن، أنتَ يا ولد. لا بأس بك. بلِّغ أخاك أني أكرهه، عندما تراه»

ثم غادرتْ. وأخذنا أنا والبحّار نتبادل عبارة «أسعدني لقاؤك». وهذا دائماً يُزعجني. أنا دائماً أقول «أسعدني لقائك» لكل مَنْ لا يسعدني لقاؤه. ولكن إذا أردتَ أنْ تبقى حياً، عليك أنْ تقول مثل هذه الأشياء.

بعد أنْ قلتُ لها إنَّ عليَّ أنْ أقابل أحدهم، لم يتبقَ أمامي من خَيار لعين آخر غير المغادرة. لم أتمكن حتى من البقاء لأستمع إلى إرني وهو يعزف شيئاً راقياً قليلاً. لكني حتماً لم أكن أنوي أنْ أجلس على الطاولة مع العزيزة ليليان سيمنز وذلك البحري وأُصاب بالضجر حتى الموت. لذلك غادرت لكنني كنتُ منزعجاً أيّما إزعاج وأنا أستردُّ معطفي. إنَّ الناس دائماً يُفسدون عليَّ الأشياء.

الفصل الثالث عشر

رجعت كل المسافة إلى الفندق سيراً على قدميّ. واحد وأربعون مجمّعاً سكنيّاً رائعاً. لم أفعل ذلك لرغبتي في المشي أو أي شيء. بل في الواقع لعدم رغبتي في الدخول إلى سيارة أجرة أخرى ومنها. أحياناً يسأم المرء كثرة ركوبه سيارات الأجرة بقدر ما يسأم ركوب المصاعد. وفجأة، تضطر إلى المشي، مهما بعُدَت المسافة أو عَلَت. وعندما كنتُ ولداً صغيراً، غالباً ما كنتُ أرتقي الدَرَج حتى شقّتنا. في الطابق الثاني عشر.

لم يبدُ أن الثلج قد تساقط. لم يكن للثلج أي أثر على الأرصفة. لكنَّ البرد كان قارصاً، وأخرجت قبعة الصيد الحمراء من جيبي واعتمرتها – لم يهمني كيف بدوتُ بها، بل إني أنزلتُ طَرَفيّ القبعة عند الأذنين نحو الأسفل. تمنّيت لو أعرف مَنْ سرق قفازي في بنسي، لأنَّ يديَّ كانتا متجمّدتين. وهذا لا يعني أني كنتُ سأفعل شيئاً بهذا الخصوص حتى لو عرفت السارق. أنا أحد أشد الناس جُبناً. أحاول ألاّ أُظهِرَ ذلك، لكني كذلك فعلاً. فمثلاً، لو أني عرفت في مدرسة بنسي الذي سرقَ قفازي، فربما نزلتُ إلى غرفة اللص وقلت له «حسن، ما رأيك في أنْ تُعيد لي القفاز؟». وقد يقول السارق الذي سرقه، بصوتٍ كله براءة، «أي قفاز؟»، ثم ما قد أفعله هو أن أذهب إلى خزانته وأعثر على القفاز في مكانٍ ما، مُخبّأ في حذائه الواقي اللعين أو في مكانٍ ما، مثلاً. وأُخرجه وأريه للفتى وأقول «أعتقد أنَّ هذا قفّازك *أنت*؟»، وهنا يرميني ذلك السارق بتلك النظرة البريئة، الزائفة، ويقول «أنا لم أرَ هذا القفاز مطلقاً. إذا كان يخصّك، فخذه، لا أريد هذا الشيء اللعين». ثم ربما قد أقفُ هناك مدة خمس دقائق، حاملاً القفاز اللعين بيدي وكل شيء، لكني سأشعر أنَّ عليّ أنْ أسدِّد ضربة إلى فكّ الفتى أو ما شابه –أنْ أحطّمَ فكّه اللعين.

كل ما في الأمر أنني لن أتحلّى بالشجاعة اللازمة لأفعلَ ذلك. سوف أكتفي بالوقوف هناك، مُحاولاً أنْ أبدو خشناً. ماذا يمكن أنْ أفعل، قد أقولُ شيئاً شديد الحِدَّة والقذارة، لكي أستفزّه- بدل لكمه على فكّه. على أي حال، إذا قلتُ فعلاً شيئاً حادّاً وقذراً، فقد ينهض ويقترب مني ويقول «اسمع، كولفيلد، هل تنعتني باللص؟»، وبدل أنْ أقول «هذا ما قلته بالضبط، يا ابن الحرام اللص القذر!» فإنّ كل ما يمكن أنْ أقوله هو «إنَّ كل ما أعرفه هو أنَّ قفازي اللعين كان في *حذائك* الواقي». وبعد ذلك مباشرة، سوف يتأكَّد الفتى من أني لن أضربه، وربما يقول «اسمع، فلنكن واضحَين في هذا. هل تنعتني بأني لص؟»، وقد أقول «لا أحد ينعت أحداً بأنه لص. كل ما أعرفه هو أنَّ قفازي كان في حذائك الواقي اللعين». ويمكن أنْ يتواصل الأمر على مدى ساعات طوال. ولكن أخيراً، أغادر غرفته حتى من دون أنْ أُسدِّد إليه أي ضربة. وقد أهبط إلى المرحاض وأُدخّن سيجارةً خِلسة وأراقب نفسي وأنا أزداد خشونة في المرآة. على أي حال، هذا ما كنتُ أفكر فيه طوال الطريق إلى الفندق. ليس شيئاً ممتعاً أنْ يكون المرء جباناً. لعلي لست جباناً *كثيراً*. لا أدري. أعتقد أنني فقط جبان جزئياً وجزئياً من النوع الذي لا يأبه كثيراً إذا ما خسر قفّازه. وأحد مشاكلي هو أني لا آبه أبداً عندما أخسر شيئاً – وكان ذلك يدفع أمي إلى حافة الجنون وأنا طفل. بعض الأشخاص يقضون *أياماً طوالاً* وهم يفتشون عما فقدوه. أما أنا فلم يكن لدي شيء إذا فقدته آبه كثيراً لفقدانه. ربما هذا جزئيّاً هو سبب كوني جباناً. ولكنه ليس عذراً. ليس كذلك حقاً. لا ينبغي أنْ يكون المرء جباناً. إذا كان لابد أنْ تُسدِّد لكمة إلى أحد، وشعرت برغبة في ذلك، فيجب أنْ تفعل. ولكني لست بارعاً على الإطلاق. أنا أفضّل أنْ أرمي شخصاً من النافذة أو أنْ أقطع رأسه بفأس على أنْ ألكمه. أنا أكره القتال باللكمات. لا يهمني أنْ أتلقى الكثير من الضرب -على الرغم من أنّي لستُ مولعاً بذلك، طبعاً- وأشدّ ما يُخيفني في قِتال اللكمات هو وجه الشخص. أنا لا أحتمل النظر في وجه الشخص الآخر، هذه مشكلتي. ولا بأس في أنْ تكونا معاً معصوبيّ الأعين أو ما شابه. إنه نوع غريب من الجبن، عندما تفكّر فيه، لكنه جبن حتماً. أنا لا أخدع نفسي.

كنتُ كلما فكّرتُ في قفازي وجُبني ازدادت كآبتي، وقرَّرتُ، أثناء المشي

وما إلى ذلك، أنْ أتوقف وأتناول مشروباً في مكانٍ ما. لم أكن قد شربتُ أكثر من ثلاث كؤوس في حانة إرني، بل إني لم أنهِ الأخيرة. وإن كانت لديّ صفةٌ ما، فهي طاقتي الهائلة في الشراب. في استطاعتي أنْ أشرب طوال الليل من دون حتى أنْ يظهر ذلك عليّ، إذا كنتُ في المزاج المناسِب. وذات مرة، في مدرسة ووتن، اشتريتُ، مع الفتى الآخر، ريموند غولدفارب، مقدار نصف لتر من الويسكي وشربناه في الكنيسة في ليلة يوم سبت حيث لا أحد يمكن أنْ يرانا. وسكر هو كثيراً، أما أنا فلم يبدُ عليّ أي شيء. وبقيتُ هادئاً ولا مبالياً. وتقيّأتُ قبل أنْ آوي إلى السرير، لم أكن مضطراً إلى ذلك – بل أجبرتُ نفسي على فعله.

مهما يكن، قبل أنْ أصل إلى الفندق، هممت بولوج حانة تبدو كئيبة وقذرة، ولكن خرج منها رجلان، ثملان كالجحيم، وسألا عن مكان القطار النفقي. أحدهما كان يبدو عليه بوضوح أنه كوبي، وظل يبخّ أنفاسه الكريهة في وجهي وأنا أدلّه على الطريق. وانتهى بي الأمر إلى طرح فكرة دخول تلك الحانة اللعينة. وعدتُ إلى الفندق.

البهو كله كان خالياً. شممت رائحة مليون سيجارة مُطفأة. حقاً. لم أكن نعسان أو أي شيء، ولكني شعرت بالاضطراب وبالكآبة وما إلى ذلك. وكدتُ أتمنى الموت.

وفجأةً، وجدتني في حالة اضطراب عارم.

حالما ولجت المصعد سألني عامل المصعد «هل ترغب في قضاء وقتٍ ممتع، يا صاح؟ أم أنَّ الوقت قد تأخر بالنسبة إليك؟»

قلت «ماذا تعني؟». لم أفهم ما يرمي إليه أو أي شيء.

«أترغب في مضاجعة هذه الليلة؟»

قلت «أنا؟». كان جواباً أحمق جداً، ولكن من المُحرج جداً أنْ يأتيك شخص مباشرة ويسألك سؤالاً كهذا.

قال صبي المصعد «كم عمرك، يا معلّم؟»

قلت «لماذا تسأل؟ اثنان وعشرون عاماً»

«أوه – هوه. حسن، ما رأيك؟ هل أثرت اهتمامك؟ خمسة دولارات

للمضاجعة الواحدة. وخمسة عشر دولاراً لليلة كاملة». نظر إلى ساعة يده «وحتى الظهيرة، خمسة دولارات للمضاجعة، وخمسة عشر دولاراً حتى الظهيرة»

قلت «موافق». كان شيئاً ضد مبادئي وكل شيء، لكنني كنتُ أشعر بكآبة شديدة إلى درجة أني لم أعد *أفكّر*. هذه هي المشكلة كلها. فحين تشعر بكآبة شديدة، تعجز عن التفكير.

«موافق *على ماذا*؟ على مضاجعة، أم حتى الظهيرة؟ يجب أنْ أعرف»

«مضاجعة فقط»

«حسن، في أي غرفة أنت؟»

نظرتُ إلى الشيء الأحمر الذي عليه الرقم، على مفتاحي. قلت «ألف ومئتان واثنان وعشرون». وكنتُ قد ندمتُ تواً لتركي الأمر يتسارع، لكنَّ الوقت كان قد فات عندئذٍ.

«حسن. سوف أرسل إليك فتاة في غضون حوالي خمس عشرة دقيقة»، وفتح الباب وخرجت.

سألته «هيه، أهي جميلة؟ لا أريد عجوزًا شمطاء»

«ليست عجوزًا شمطاء. لا تخشَ شيئاً، يا معلّم»

«لِمَنْ أدفع؟»

قال «لها. هيا بنا، يا معلّم»، وأغلق الباب في وجهي، بلا مبالغة.

ذهبتُ إلى غرفتي وبلّلتُ شعري بالماء، ولكن لم يكن في إمكاني حقاً أنْ أمشّط قصّة الجنود أو أي شيء. ثم اختبرت أنفاسي لأرى إنْ كانت كريهة بسبب كثرة تدخين السجائر وشرب الويسكي مع الصودا في حانة إرني. كل ما عليك أنْ تفعله هو أنْ تضع يدك تحت فمك وتنفخ عالياً باتجاه منخريك العجوزَين. لم تبدُ لي كريهة جداً، لكني نظّفتُ أسناني مع ذلك. ثم ارتديت قميصاً آخر نظيفاً. كنتُ أعلم أني لستُ مضطراً إلى التزيُّن من أجل عاهرة أو أي شيء، لكنَّ ذلك أتاحَ لي أنْ أفعل شيئاً. توتّرتْ أعصابي قليلاً. وبدأتُ أشعر بالإثارة الجنسية وكل شيء، لكني مع ذلك بقيتُ متوتراً قليلاً. وإذا أردتَ الحقيقة، كنتُ بتولاً. حقاً. وكانت فرصٌ عدّة قد أُتيحت لي لأفقد

عذريّتي وكل شيء، لكني لم أبادر إلى ذلك قط. هناك دائماً شيء يحدث. مثلاً، إذا كنتَ في منزل فتاة، فإنَّ والديها دائماً يعودان إلى المنزل في الوقت الخطأ -أو أنكَ تخشى أنْ يعودا. أو إذا كنتَ تجلس في المقعد الخلفي لسيارة أحدهم، فإن هناك دائماً فتاة شخص آخر تجلس في المقعد الأمامي- أعني، فتاة ما -دائماً تريد أنْ تعرف ما الذي يحدث *في كل جزء* من السيارة اللعينة. أعني أنَّ فتاة في المقعد الأمامي تظل تلتفت إلى الوراء لترى ما الذي يجري بحق الجحيم. على أي حال، دائماً هناك أمر يحدث. ولكني اقتربتُ كثيراً من فعل ذلك عدداً من المرات. وأذكر مناسبة واحدة بعينها. لكن حدث خلل ما- لم أعد أذكر ما هو. المشكلة هي أنكَ في كل مرة تقترب من فعلها مع فتاة -أعني فتاة وليس عاهرة أو أي شيء- تظل تطلب منك أنْ تكفّ. ومشكلتي هي أني أكفّ. بينما أغلب الشبان لا يكفّون. لا حيلة لي في ذلك. لا يعرف المرء إنْ كنَّ يردن منك أنْ تكفّ، أم أنهنّ فقط مذعورات، أو أنهن فقط يطلبن منك أنْ تكف بحيث أنكَ إذا *تابعتَ* الأمر فإنَّ اللوم يقع عليك *أنت*، وليس عليهن. على أي حال، ظللتُ أكفّ. المشكلة هي أني أشعر بالرثاء لأجلهنّ. أعني أنَّ الفتيات شديدات الحمق وكل شيء. فبعد أنْ تعانقهن وتقبّلهن قليلاً، تستطيع أنْ *تراقبهن* وهنّ يفقدنَ عقولهن. إنكَ تنال الفتاة عندما تصبح ملتهبة العواطف، وفاقدة لعقلها تماماً. لا أدري. إنها تطلب مني أنْ أكفّ، فأكفّ. ودائماً أتمنى لو أني لا أفعل بعد أنْ أوصلها إلى بيتها، لكني دائماً أفعل ذلك.

على أي حال، بينما كنتُ أرتدي قميصاً نظيفاً، تصوّرت أنّ تلك هي فرصتي الكبرى، بصورة ما. تخيّلتُ أنها إذا كانت عاهرة وكل شيء، يمكنني أنْ أتمرَّن عليها، في حال تزوجت أو أي شيء. أحياناً أقلق بهذا الشأن. وذات مرة قرأتُ كتاباً، في مدرسة ووتن، يحكي عن ذلك الشاب العالي الثقافة، والكياسة، وصاحب الجاذبية الجنسية واسمه مسيو بلانشار، لا أزال أذكره. كان كتاباً رديئاً، لكنَّ ذلك البلانشار كان جيداً جداً. كان يملك ذلك القصر وأشياء أخرى على شاطئ الريفييرا، في أوروبا، وكل ما يفعله في وقت فراغه هو أنْ ينكح النساء. كان خليعاً حقيقياً وكل شيء، لكنه كان يفتن النساء. قال، في أحد الأجزاء، إنَّ جسد المرأة كآلة الكمان وكل شيء، ويتطلّب الأمر

موسيقياً ليعزف عليه بشكلٍ جيد. كان الكتاب شديد الابتذال -أعرف هذا- لكني لم أتمكن من طرح فكرة الكمان تلك من ذهني، ولهذا أردتُ أنْ أقوم ببعض التمارين عليه، في حال تزوجت ذات يوم. كولفيلد وكمانه السحري، يا إلهي. إنه شيء مبتذل، أعلم لكنه ليس مبتذلاً *كثيراً*. لا مانع لدي في أنْ أكون بارعاً جداً في هذا الأمر. وإذا أردت أنْ تعرف الحقيقة، عندما أعبث مع إحدى الفتيات فإني في أغلب الوقت أعاني الكثير في العثور على ما أبحث عنه، وحق لله، إذا فهمتَ ما أقصد. خُذ مثلاً تلك الفتاة التي فشلت للتو في إقامة علاقة جنسية معها، والتي أخبرتكَ عنها. لقد استغرقَ مني حوالي ساعة لكي أخلع عنها صدرتها اللعينة. وفي الوقت التي توصلت إلى خلعها كانت قد أصبحت مستعدة لتبصق في عيني.

على أي حال، رحت أتمشى في أرجاء الغرفة، في انتظار ظهور تلك العاهرة، وآمل أنْ تكون جميلة. ومع ذلك، لم يكن ذلك ذا أهمية بالنسبة إليّ. كنتُ فقط أريد أنْ أقوم بالأمر. وأخيراً، سمعتُ قرعاً على الباب، وعندما توجهت لأفتحه، كانت حقيبتي في الطريق وتعثّرت بها وكدتُ أكسر رُكبتي. إنني دائماً أنتقي وقتاً ممتازاً لأتعثّر بحقيبة أو شيء.

عندما فتحت الباب وجدتُ تلك العاهرة واقفة أمامي. كانت ترتدي معطفاً من وبر الجمال، وبلا قبعة. لكنها لم تكن عجوزاً. قلت «أهلاً وسهلاً». بكياسة جمّة، يا إلهي.

سألتني «أنتَ الشخص الذي ذكره موريس؟». لم تبدُ ودوداً كثيراً.

«أهو صبي المصعد؟»

«نعم»

قلت «نعم، أنا هو. تفضلي، من فضلك». كانت لا مبالاتي تزداد باطراد مع تطور الأمر. حقاً.

دخلتْ وخلعت معطفها على الفور ورمته على السرير. كانت ترتدي تحته ثوباً أخضر اللون. وجلست على الكرسي الذي يتماشى مع طاولة المكتب في الغرفة جلسة جانبية بدأتْ تؤرجح قدمها إلى أعلى وأسفل. ووضعَتْ ساقاً فوق ساق وأخذت تؤرجحهما إلى أعلى وأسفل. كانت متوترة الأعصاب

كثيراً، مع أنها عاهرة. متوتّرة حقاً. أعتقد أنَّ السبب هو أنها كانت صغيرة جداً. في مثل سني تقريباً. جلستُ على الكرسي الكبير، المجاور لها، وقدَّمتُ لها سيجارة. قالت «لا أدخّن». كان الصوت خفيف جدًا وناعم جدًا كالأطفال. يكاد لا يُسمَع. ولا تشكرك عندما تعطيها شيئاً. لم تكن تعرف كيف تفعل ذلك.

قلت «اسمحي لي بتقديم نفسي. اسمي جيم ستيل»

قالت «هل معك ساعة؟». طبعاً لم تكن تأبه باسمي. «هيه، كم عمرك، على أي حال؟»

«أنا؟ اثنان وعشرون»

«هذا مستحيل كالمرح»

كان جوابها مُضحكاً. بدا كأنه صادر عن طفل صغير. يعتقد المرء أنَّ جواب عاهرة سيكون «هذا مستحيل كالجحيم» أو «كفى خراءً» بدل أنْ تقول «هذا مستحيل كالمرح»

سألتها «وكم عمرك *أنتِ*؟»

قالت «أنا كبيرة بحيث أعرف أفضل منك». لقد كانت ذكية حقاً. وسألتني من جديد «هل معك ساعة؟»، ثم نهضتْ واقفة وخلعت ثوبها من فوق رأسها.

لا شك في أنَّ شعوراً غريباً انتابني عندما فعلتْ ذلك. أعني أنها فعلته فجأةً وكل شيء. أعرف أنه من المفترض أنْ يشعر المرء بالإثارة الجنسية عندما ينهض أحدٌ ويخلع ملابسه من فوق رأسه، لكنّي لم أفعل. كانت الإثارة الجنسية هي آخر شيء أشعر به. شعرت بالكآبة أكثر من الإثارة الجنسية.

«هل معك ساعة يد، هيه؟»

قلت «لا. لا. لا أحملها». *يا إلهي*. كان ينتابني شعور غريب. سألتها «ما اسمكِ؟». كان كل ما ترتدي سروالاً داخلياً ورديّ اللون. كان فعلاً وضعاً مُحرِجاً. حقاً.

قالت «اسمي صني. فلنباشر، هه؟»

سألتها «هل لديك رغبة في التحدث قليلاً؟». كان سؤالاً صبيانياً، لكنَّ شعوراً غريباً انتابني. «هل أنتِ مستعجلة؟»

نظرتْ إليّ كما لو أني مجنون. قالت «عمَّ تريد أنْ تتحدَّث؟»

«لا أدري. لا شــيء مُحدَّد. أنا فقط أعتقد أنكِ ربما ترغبين في التحدث قليلاً»

جلسَتْ من جديد على الكرسي المجاور لطاولة الكتابة. لكنها لم تحب هذا، كان ذلك واضحاً. بدأتْ تهز قدميها من جديد - يا إلهي، كم كانت متوترة الأعصاب.

قلت «هل ترغبين في تدخين سيجارة الآن؟». نسيتُ أنها لا تدخّن.

«أنا لا أدخّن. اسمع، إذا أردتَ أنْ تتكلَّم، تكلَّمِ الآن. لدي أمور أقوم بها»

ولكن لم يخطر في بالي موضوع أتكلَّم فيه. وفكّرت في أنْ أسألها كيف حدث وأضحت عاهرة، وما إلى ذلك، لكني خفتُ أنْ أفعل. على أي حال لعلّها لا تريد أنْ تخبرني.

قلت، أخيراً، «هل أنتِ من نيويورك؟». هذا كل ما خطر في بالي.

قالت «بل من هوليوود». ثم نهضتْ واقفة وذهبت إلى حيث وضعت ثوبها، على السرير. «هل لديك حمّالة ملابس؟ لا أريد لثوبي أنْ يتجعَّد. إنه جديد»

قلت على الفور «طبعاً»، وقد أسعدني كثيراً أنْ أنهض وأفعل شيئاً. حملتُ ثوبها إلى الخزانة وعلَّقته. أمر غريب. عندما علّقته شعرت بما يُشبه الحزن. تصوّرتها وهي تدخل إلى المحل وتشتريه، من دون أنْ يعرف أحد في المحل أنها عاهرة وكل شيء. لعلَّ صاحب المحل حسبها مجرد فتاة عادية عندما اشترته. جعلني ذلك أشعر بحزنٍ جحيميّ –لا أدري بالضبط لماذا.

عدتُ إلى الجلوس من جديد وحاولتُ أنْ أحافظ على تواصُل الحديث القديم. كانت مُحدّثة بائسة. سألتها «هل تعملين في كل يوم؟»– بدا سؤالي فظيعاً، بعد أنْ نطقته.

«نعم». كانت تتمشى في أرجاء الغرفة كلها. رفعت قائمة الطعام عن الطاولة وقرأتها.

«ماذا تفعلين أثناء النهار؟»

هزّت كتفيها قليلاً. كانت شديدة النحول. «أنام. أشاهد فيلماً سينمائياً». وضعتْ قائمة الطعام ونظرت إليّ. «هيا بنا، هيه. ليس لديّ كل–»

قلت «اسمعي، لستُ على ما يُرام هذه الليلة. لقد أمضيتُ أمسية مزعجة. أُقسم بالله. سوف أدفع لك وكل شيء، ولكن هل يزعجك إذا لم نفعله؟ هل تنزعجين كثيراً؟». المشكلة كانت أنني لم أرغب في فعله. شعرتُ بالحزن أكثر من شعوري بالشهوة الجنسية، إذا أردتَ الحقيقة. هي كانت منشأ الحزن. ثوبها الأخضر المُعلّق في الخزانة وكل شيء. ثم إني لا أعتقد أنَّ في استطاعتي أنْ أفعله أبداً مع شخص يجلس طوال النهار ويشاهد أفلاماً سينمائية. لا أعتقد حقاً أنَّ في استطاعتي أنْ أفعل.

اقتربت مني، وعلى وجهها نظرة غريبة، وكأنها لا تصدّقني. قالت «ما الأمر؟»

«لا شيء». يا إلهي كم كانت أعصابي تتوتر. «المشكلة هي أني خضعتُ لعمليةٍ حديثة مؤخراً»

«أحقاً؟ أين؟»

«في ماذا يُسمّونه – موتّرة مفاتيحي»

«أحقاً؟ وأين تقع هذه بحق الجحيم؟»

قلت «موتّرة المفاتيح؟ حسن، في الواقع، إنها في قناة العمود الفقري. أعني إنها تقع أسفل العمود الفقري»

قالت «أحقاً؟ شيء صعب»، ثم جلستْ في حِجري اللعين، «أنت ظريف»

لقد جعلت أعصابي تتوتر، وواصلت الكذب. قلت لها «إنني لا أزال أتعافى»

«تبدو كأنك أحد ممثلي السينما. أنت تعرفه، ما اسمه. *أنتَ* تعرف مَنْ أعني. ما اسمه؟»

قلت «لا أدري». رفضَتْ أن تنهض عن حجري اللعين.

«طبعاً تعرفه. لقد مثَّل في ذلك الفيلم مع مل –فاين دوغلاس؟ الفيلم الذي كان فيه شقيق مل– فاين دوغلاس الصغير؟ الذي يقع من القارب؟ *أنتَ* تعرف مَنْ أعني»

«كلا، لا أعرف. إنني نادراً ما أرتاد السينما»

ثم بدأتْ تصبح غريبة الأطوار. فظة وكل شيء.

قلت «هل تسمحين بإغلاق الموضوع؟ إنَّ مزاجي ليس على ما يُرام. لقد قلت لكِ. لقد أجريت للتو عملية جراحية»

لم تنهض عن حجري أو أي شيء، لكنها رمتني بتلك النظرة شديدة القذارة. قالت «اسمع، لقد كنتُ نائمة عندما جاء ذلك المجنون موريس وأيقظني. فإذا ظننتَ أني –»

«لقد *قلت* إني سأدفع لك مقابل مجيئك وكل شيء. سأفعل حتماً. لديّ الكثير من النقود. كل ما في الأمر أني أتعافى من تلك العملية الشديدة الخطورة و –»

«فلماذا قلتَ لذلك المجنون موريس إنكَ تريد *فتاة*، إذن؟ إذا كنتَ قد أجريتَ تواً عملية جراحية في ماذا يُسمّونه ذلك الشيء اللعين. **هه**؟»

«حسبتُ أني سأتحسَّن إذا فعلت. لم تكن حِساباتي دقيقة. بلا مزاح. أنا آسف. لو تنهضين لحظة، سأذهب وأُحضر المحفظة. أنا جادّ»

غضبَتْ كالجحيم، لكنها نهضتْ عن حِجري اللعين لكي أذهب وأُحضِر المحفظة عن الرف. أخرجتُ ورقة نقدية بقيمة خمسة دولارات وسلّمتها لها. قلت لها «شكراً جزيلاً. شكراً مليون مرة»

«هذه خمسة. الكلفة عشرة»

كانت تصرفاتها تزداد غرابة، بوضوح. كنتُ أخشى أنَّ شيئاً كهذا سيحدث – حقاً.

قلتُ لها «موريس قال خمسة. قال خمسة عشر حتى الظهيرة وفقط خمسة للمرة الواحدة»

«بل عشرة للمرة الواحدة»

«هو قال خمسة، أنا آسف –آسف فعلاً– ولكن هذا كل ما سأدفعه»

هزّت كتفيها استخفافاً، كما فعلتْ من قبل، ثم قالت، ببرودة شديدة «هل تسمح بإحضار ثوبي؟ أم أنَّ هذا يُشكل عبئاً لا تقدر عليه؟». لقد كانت فتاة عصبية حقاً. حتى مع صوتها الخفيض، كان في مقدورها أنْ تكون مُخيفة

قليلاً. ولو أنها عاهرة عجوز وضخمة، بوجهٍ مُثقلٍ بالمساحيق، لما كانت مُخيفة إلى تلك الدرجة.

ذهبتُ وأحضرتُ لها ثوبها. ارتدته وكل شيء، ومن ثم تناولتْ معطفها ذا وبر الجِمال عن السرير. قالت «الوداع، أيها التافه»

قلت «الوداع»، ولم أشكرها أو أي شيء. وأنا سعيد لأني لم أفعل.

الفصل الرابع عشر

بعد أنْ غادرت العجوز صني، جلستُ على الكرسي بعض الوقت ودخّنتُ سيجارتين. كان ضوء النهار يطلع في الخارج. يا إلهي، كم شعرتُ باليأس. شعرت بالحزن لدرجة لا يمكنك تخيّلها. وما فعلته هو أني أخذتُ أتكلَّم، بصوتٍ مرتفع، مع آلي. أنا أفعلُ ذلك أحياناً عندما يشتد عليّ الحزن. دائماً أطلب منه أنْ يذهب إلى المنزل ويُحضِر دراجته ويُقابلني أمام منزل بوبي فالون. وكان بوبي فالون يقطن بالقرب من منزلنا في ولاية مين -قبل سنين عديدة مضت. على أي حال، إنَّ ما حدث هو أنَّ بوبي وأنا كنا ذات يوم ذاهبَين إلى بحيرة سيديبيغو على متن دراجتينا، لكي نتناول الغداء وكل شيء، وأخذنا معنا مسدسينا الهوائيين- كنا طفلَين وكل شيء، وظننا أنَّ في استطاعتنا أنْ نُصيب شيئاً بمسدسينا الهوائيين. على أي حال، سمعنا آلي ونحن نتحدث عن ذلك، وأراد أنْ يُرافقنا، فلم أوافق. قلت له إنه طفل. لذلك فحين أصاب بالحزن الآن أحياناً، أكرر على مسمعه «حسن. اذهب إلى المنزل واحضر دراجتك وقابلني أمام منزل بوبي، أسرع». وهذا لا يعني أني لم أكن في المعتاد أصطحبه معي عندما أذهب إلى مكان ما. كنتُ أفعل. ولكن في ذلك اليوم بالذات، لم أفعل. لم يغضب بسبب ذلك -لم يكن يغضب قط بسبب أي شيء- لكني مع ذلك كنتُ أفكِّر باستمرار في الأمر عندما يتولاني الحزن الشديد.

ولكن أخيراً خلعتُ ملابسي وأويتُ إلى الفراش. شعرتُ برغبة في الصلاة أو شيء ما، وأنا في السرير، ولكنني لم أتمكن من تنفيذ ذلك. لا أستطيع دائماً أنْ أصلي عندما أرغبُ في الصلاة. أولاً، أنا شبه مُلحِد. أنا أحب يسوع وكل شيء، ولكني لا آبه كثيراً بأغلب الأشياء الأخرى التي

وردت في الكتاب المقدَّس. المريدون، مثلاً. إنهم يزعجونني إلى أقصى درجة، إذا أردتَ أنْ تعرف الحقيقة. لقد أصبحوا في أحسن حال بعد موت يسوع وكل شيء، ولكن في أثناء حياته، كانوا مُزعجين. كل ما فعلوه أنهم خذلوه. إنني أحب تقريباً كل مَنْ ورد اسمه في الكتاب المقدَّس أكثر من حبي للمُريدين. إذا أردتَ الحقيقة، الشخصية المفضّلة لديّ في الكتاب المقدَّس، بعد يسوع، كانت شخصيّة المجنون وكل شيء، الذي عاش بين القبور وكان يجرح نفسه بالحجارة. إني أحبه أكثر من حبي للمُريدين عشر مرات، ابن الحرام المسكين ذاك. كنت أنخرط في بعض النقاش عن هذا الأمر، عندما كنتُ في مدرسة ووتن، مع ذلك الفتى الذي يعيش في الرواق، آرثر تشيلدز. العجوز تشيلدز كان من الكويكرز[1] وكل شيء، وكان يقرأ الكتاب المقدس طوال الوقت. كان شديد التهذيب، وكنتُ أحبه، ولكننا لم نكن نتّفق حول الكثير مما ورد في الكتاب المقدَّس، خاصة حول المُريدين، حينئذٍ لم أكن أحب يسوع وكل شيء. قال لأنَّ يسوع *انتقى* المريدين، من المفترض أنْ نحبّهم. فقلت إني أعلم أنه انتقاهم، لكنه انتقاهم بصورة *عشوائية*. قلت إنه لم يُتح له الوقت ليُحلّل شخصية الجميع. وقلت إني لا ألوم يسوع أو أي شيء. فليس خطأه أنَّ الوقت لم يتوفّر له. وأذكر أني سألتُ العجوز تشيلدز إنْ كان يعتقد أنَّ يهوذا، الذي خان يسوع وكل شيء، قد ذهب إلى جهنم بعد أنْ انتحر. فقال تشيلدز حتماً. وهنا *بالضبط* اختلفتُ معه حوله. قلت إني أراهن بألف دولار على أنَّ يسوع لم يُرسِل العجوز يهوذا إلى جهنم. ولا أزال مستعداً للمراهنة على ذلك، لو أنَّ معي ألف دولار. وأعتقد أنَّ أياً من المُريدين كان سيُرسله إلى جهنم وكل شيء –وبسرعة أيضاً– لكني أراهن بأي شيء على أنَّ يسوع لم يفعل ذلك. قال العجوز إنَّ مشكلتي هي أني لا أرتاد الكنيسة أو أي شيء. وكان على حق في هذا، جزئياً. لم أكنْ أتردَّد عليها. أولاً، لأنَّ أبويَّ من مذهبين مختلفين، وكل الأولاد في عائلتنا مُلحدون. وإذا أردتَ الحقيقة، حتى أنا لا أطيق القساوسة. أولئك الموجودون في كل مدرسة التحقتُ بها، فكلهم لهم ذلك الصوت القدسي عندما يُلقون عِظاتهم. يا إلهي، كم أكره هذا.

1- الكويكر: الصاحبيّ، أحد أعضاء حركة دينية.

ولا أفهم لماذا لا يتكلّمون بأصواتهم الطبيعية. إنهم يبدون شديدي الزيف عندما يتكلّمون.

على أي حال، عندما أويت إلى السرير لم أتمكّن من الصلاة قط. فكلما باشرت الصلاة تراودني صورة العجوز صني وهي تنعتني بالتافه. وأخيراً، اعتدلتُ في جلستي على السرير ودخّنت سيجارة أخرى. كان مذاقها كريهاً. لابد أني دخّنت ملء علبتين منذ أنْ غادرتُ بنسي.

وفجأةً، بينما أنا مستلقٍ هناك أدخن، قرعَ أحدهم الباب. تمنيت ألا يكون القرع على بابي، لكني عرفتُ جيداً أنّه كذلك. لم أدرك كيف عرفتُ ذلك، لكني عرفتُ. وعرفت أيضاً مَن الطارق. أنا لدي حاسّة خارقة.

قلت «مَن الطارق؟»، كنتُ خائفاً جداً. إنني شديد الجبن في مثل تلك المواقف.

لكنَّ الطرق عاد من جديد، أعلى من المرة الأولى.

أخيراً، خرجت من السرير، لا أرتدي غير منامتي، وفتحتُ الباب. لم أكن حتى مُضطراً إلى إضاءة النور في الغرفة، لأنَّ ضوء النهار كان قد انتشر. وإذا بي أمام العجوز صني وموريس، صبي المصعد القوّاد.

قلت «ما الأمر؟ ماذا تريدان؟». يا إلهي، كان صوتي يرتعش كالجحيم.

قال العجوز موريس «ليس الشيء الكثير. فقط خمسة دولارات». تولى هو الكلام كله. أما العجوز صني فاكتفت بالوقوف إلى جواره، وفمها مفتوح وكل شيء.

قلت «لقد دفعت لها تواً. أعطيتها خمسة دولارات.. اسألها». يا إلهي، كان صوتي يرتعش.

«المبلغ هو عشرة دولارات، يا معلِّم. لقد قلت لك. عشرة لمرة واحدة، وخمسة عشر دولاراً حتى الظهيرة. أنا قلتُ لك»

«ليس هذا ما قلتَه لي. أنتَ قلتَ خمسة دولارات لمرة واحدة. وقلت خمسة عشر دولاراً حتى الظهيرة، حتماً، لقد سمعتُكَ جيداً -»

«افتح الباب، يا معلِّم»

قلت «*ولماذا*؟». يا إلهي، كان قلبي العجوز يخفق بقوة حتى كدتُ أقع خارج الغرفة. وتمنّيتُ لو أني على الأقلّ كنتُ أرتدي ملابسي. شيء رهيب أنْ تكون فقط في منامتك عندما يحدث أمرٌ كهذا.

قال العجوز موريس «هيا، يا معلّم». ثم دفعني بقوة بيده التافهة. وكدتُ أقعُ على ظهري -لقد كان ابن حرام ضخماً. الشيء التالي الذي أتذكّره هو أنه والعجوز صني أصبحا معاً داخل الغرفة. تصرّفا كأنَّ المكان ملكهما. جلست العجوز صني على عتبة النافذة. وجلس العجوز موريس على الكرسي الكبير وفكّ ربطة عنقه وكل شيء- كان يرتدي زي صبي المصعد الرسمي. يا إلهي، كم كنتُ متوتراً.

«حسن، يا معلّم، أعطنيها. يجب أنْ أعود إلى العمل»

«قلت لك عشر مرات. أنا لا أدين لك بسنتٍ واحد. لقد أعطيتها تواً خمسة -»

«كفاك خراءً الآن. أعطنيها»

قلت «ولِمَ أعطيها خمسة دولارات؟». كان صوتي يتحشرج بجلاء. «أنت تحاول أنْ تخدعني»

فكَّ العجوز موريس أزرار معطفه كلها. لم يكن يرتدي تحته غير ياقة قميص زائفة، ولكن بلا قميص أو أي شيء. وكان بطنه كبيراً وبديناً وكثيف الشعر. قال «لا أحد يحاولُ أن يحتال على أحد، أعطنيها، يا معلّم»

«كلا»

عندما قلتُ هذا، نهضَ عن كرسيه وبدأ يسير نحوي وكل شيء. بدا كأنه مُتعب جداً جداً، أو ضجراً جداً جداً. يا إلهي، كم كنتُ خائفاً. وعقدت ساعديّ عند صدري، أذكر ذلك. ولا أعتقد أني كنت سأتصرّف بشكلٍ سيئ جداً لو أني لم أكن أرتدي منامتي اللعينة.

وصلَ إلى حيث كنتُ واقفاً «هاتها، يا معلّم». هذا كل ما قاله. «هاتها، يا معلّم». لقد كان أبله حقيقياً.

«كلا»

قال «يا معلّم، سوف تجبرني على ضربك قليلاً. لا أريد أنْ أفعل هذا، ولكن يبدو أنه لا يوجد وسيلة أخرى. أنتَ تدين لي بخمسة دولارات»

قلت «أنا *لا أدين* لك بخمسة دولارات. إذا ضربتني سأصرخ كالجحيم. سأوقظ نزلاء الفندق كلهم. ورجال الشرطة وكل العالم». كان صوتي يرتعش كابن الحرام.

قال العجوز موريس «هيا افعل. اصرخ حتى ينفجر رأسك. رائع. هل تريد أنْ يعرف والداك أنكَ كنتَ تقضي الليلة مع عاهرة؟ وأنتَ ابن العائلة الراقية؟». كان حاداً جداً، على طريقته التافهة. كان كذلك فعلاً.

«دعني وشأني. لو كنتَ قلتَ *عشرة*، لاختلفَ الأمر. ولكنكَ بكل وضوح -»

«هل ستعطينا المبلغ؟». كان قد ألصقني بالباب اللعين. كان تقريباً يقفُ فوقي، مع بطنه العجوز التافه والكثيف الشعر وكل شيء.

قلت «دعني وشأني. أخرج من غرفتي». كنتُ لا أزال أعقد ذراعي وكل شيء. يا إلهي، كم كنتُ أحمق.

ثم قالت صني شيئاً للمرة الأولى. قال «هيه، موريس. أتريدني أنْ أحضِر محفظته؟ إنها على ما اسمه»

«نعم، احضريها»

«لا تقتربي من محفظتي!»

قالت صني «لقد حصلتُ عليها وانتهى الأمر»، ولوَّحت لي بورقة الخمسة دولارات. «أترى؟ كل ما أخذته هو الخمسة دولارات التي تُدين لي بها. أنا لستُ محتالة»

وفجأةً بدأتُ أبكي. كنتُ مستعداً لإعطاء أي شيء لكي لا أفعل، لكني فعلت. قلت «كلا، لستِ محتالة. أنتِ فقط تسرقين خمسة -»

قال العجوز موريس «اخرس»، ودفعني بقوة.

قالت صني «دعه وشأنه، هيه. هيا بنا، هيه. لقد حصلنا على المال الذي يُدين به لنا. فلنذهب. هيا، هيه»

قال العجوز موريس «ها أنا قادم». لكنه لم يتحرّك.

«أنا جادّة، موريس، هيه. دعه وشأنه»

قال، ببراءة كالجحيم، «مَنْ يؤذي مَنْ؟». ثم ماذا فعل، قرصني على منامتي، ولن أقول لكَ أين، لكني تألّمت كالجحيم. فقلتُ له إنه أحمق قذر لعين. فقال «ماذا قلت؟» وهو يضع يده خلف أذنه، كالأصمّ. «ماذا قلت؟ بماذا نعتّني؟»

كنتُ لا أزال أبكي. كنتُ شديد الغضب والعصبية وكل شيء. قلت «أنت أحمق قذر. أنت أحمق غبي محتال، وفي غضون سنتين سوف تغدو أحد أولئك النحيلين الذين يظهرون لك في الشارع ويطلبون منك قرشاً من أجل القهوة. سوف تغطي البقع معطفك القذر كله، وسوف تكون –»

ثم صفعنِي. ولم أحاول حتى أنْ أبتعد عن طريقه أو أهرب أو أي شيء. كل ما شعرتُ به كان لكمة قوية في بطني.

لكني لم أُصرَع أو أي شيء، لأني أذكر أني رفعتُ بصري وأنا على الأرض ورأيته وهو يخرج ويصفع الباب. ثم جلستُ على الأرض مدة طويلة من الوقت، كما فعلت مع سترادليتر. الفرق هو أنني في هذه المرة ظننتُ أني أحتضر. حقاً. ظننتُ أني أغرق أو ما شابه. المشكلة هي أني لم أتمكن من التنفُّس. وعندما نهضتُ أخيراً اضطررتُ أنْ أمشي منطوياً وأمسك بطني لكي أصل إلى غرفة الحمّام.

ولكن أنا مجنون. أقسِمُ بالله أني كذلك. ففي طريقي إلى غرفة الحمّام رحتُ أتظاهرُ بأني أُصبتُ برصاصةٍ في أحشائي. لقد أطلق العجوز موريس النار عليّ. الآن أنا في طريقي إلى غرفة الحمّام لأحصل على جرعة كبيرة من البوربون أو ما شابه لتثبّت أعصابي وتساعدني لأنتقل حقاً إلى الفعل. وتصورت نفسي خارجاً من غرفة الحمّام اللعينة، مُرتدياً كامل ملابسي وكل شيء، ومسدسي الآلي في جيبي، وأترنح في مشيتي قليلاً. ثم أهبط الدَرَج، بدل أنْ ألجأ إلى المصعد. وأتمسّك بالدرابزين وكل شيء، والدم ينزفُ قليلاً من طرف فمي على فترات. وما سأفعله هو أني سأهبط بضعة طوابق –مُمسِكاً بطني، والدم يسيل في كل مكان– ثم أرنّ جرس المصعد. حالما

يفتح العجوز موريس الباب سوف يراني والمسدس الآلي في يدي وسوف يبدأ بالصراخ في وجهي، بصوته الحادّ النبرة، الرعديد، طالباً مني أنْ أدعه وشأنه. لكني سأطلق النار عليه مع ذلك. ست طلقات مباشرة في منتصف بطنه البدين والكثيف الشعر. ثم أرمي مسدسي الآلي في مهوى المصعد – بعد أنْ أمسح كل بصمات أصابعي عنه وكل شيء. ثم أزحفُ عائداً إلى غرفتي وأتصل بجين هاتفياً وأطلب منها المجيء لكي تُضمّد جراح أحشائي. وتصورتها تناولني سيجارة لكي أدخّنها وأنا أنزف وكل شيء.

اللعنة على السينما. يمكنها أنْ تدمّرك. أنا لا أمزح. مكثتُ في الحمّام مدة ساعة تقريباً، أستحم وكل شيء. ثم عدتُ إلى السرير. واستغرق مني الذهاب في النوم مدة طويلة –ولم أكن حتى مُتعباً– لكني في النهاية نمت. وددتُ لو أنتحر. وددتُ لو أقفز من النافذة. وكان يمكن أنْ أفعل ذلك، لو أنّي تيقّنت من أنَّ هناك مَنْ سيُغطيني حالما أستقرّ على الأرض. لم أرغب في أنْ تُحدّق إليّ عصبة من الفضوليين الحمقى وأنا مُضرَّج بالدماء.

الفصل الخامس عشر

لم يدُم نومي طويلاً، لأنَّ الساعة لم تكن قد تجاوزت العاشرة عندما أفقتُ. شعرت بجوعٍ شديد حالما دخّنتُ سيجارة. آخر مرة تناولتُ فيها طعاماً كانت عندما أكلت الشطيرتين مع بروسارد وأكلي بعد خروجنا من دار السينما في أغرستون. ذلك كان قبل زمنٍ بعيد. بدا كأنه خمسون عاماً مضت. كان جهاز الهاتف إلى جواري مباشرةً، وهممتُ بالاتصال بهم ليرسلوا إليّ طعام الإفطار، لكني خشيتُ أنْ يُرسلوه مع العجوز موريس. وإذا اعتقدتَ أني أموتُ شوقاً لأراه ثانية، فأنتَ مجنون. لذلك اكتفيت بالاستلقاء قليلاً ودخّنت سيجارة أخرى. وفكّرتُ في الاتصال بالعزيزة جين، لأرى إنْ كانت قد عادتْ إلى المنزل وكل شيء، لكني لم أكن في المزاج اللازم لذلك.

ما فعلت كان أنني اتّصلتُ بالعجوز سالي هيز، وعلِمتُ أنّها ذهبَتْ لزيارة ميري أ. وودرَفْ، وعرِفتُ أنها عادت إلى المنزل لأنني كنتُ قد استلمتُ رسالة منها قبل ذلك بأسبوعين. لم أكن مولعاً بها كثيراً، لكني عرفتها منذ سنين، وكنتُ أعتقد أنها ذكية جداً، خلال فترة حماقتي. والسبب في ذلك هو أنها كانت تعرف الكثير عن المسرح والمسرحيات والأدب وكل ما شابه. وإذا كان شخص يعرف الكثير عن مثل تلك الأشياء، فإنَّ اكتشاف كونه غبياً حقاً أم لا يستغرق وقتاً طويلاً. وقد استغرقَ مني سنين لأكتشف الأمر، في حالة العجوز سالي. وأعتقد أنه كان يمكن أنْ أكتشفه قبل ذلك بكثير لو لم نكن نتبادل الكثير من القُبَل. إنَّ مشكلتي الكبرى هي أني دائماً أعتقد أنَّ الفتاة التي أرتبط معها عاطفياً هي إنسانة ذكيّة للغاية. ولا صِلة لعينة للأمر بهذا، لكني مع ذلك أظل أفكّر فيه.

على أي حال، اتصلتُ بها. أولاً ردّت الخادمة. ثم والدها. ثم جاءت هي. قلت «سالي؟»

قالت «نعم - مَن المتكلّم؟». كانت نبرة صوتها زائفة قليلاً. لقد أخبرتُ والدها تواً مَن أكون.

«أنا هولدن كولفيلد. كيف حالك؟»

«هولدن! أنا جيدة! وكيف حالك أنت؟»

«عظيم. اسمعي. كيف حالك، في الظروف كلها؟ أعني كيف حال المدرسة؟»

قالت «جيدة. أعني - كما تعلم»

«عظيم. حسن. اسمعي. كنتُ أتساءل إنْ كنتِ مشغولة اليوم. اليوم الأحد، ولكن هناك دائماً عرض سينمائي واحد أو اثنان يجريان في يوم الأحد. حفلات خيرية وما إلى ذلك. فهل يهمّك أنْ تذهبي؟»

«بل أحب ذلك. رائع»

رائع. إنْ كانت هناك كلمة واحدة فقط أكرهها فهي كلمة رائع. إنها شديدة الزيف. كدتُ أستسلم خلال برهة من الزمن لإغراء الطلب منها أنْ تنسى أمر حفل العرض السينمائي الصباحي، لكننا تابعنا تبادل الكلام الزائف بعض الوقت. أعني أنها هي التي فعلت ذلك. فلم يُتح لي الوقت لأقول أي كلمة. أولاً أخبرتني عن شخص منتسب إلى جامعة هارفارد -ربما كان طالباً في السنة الأولى، لكنها طبعاً لم تذكُر ذلك- كان يُثير جنونها باتصاله بها *ليلاً ونهاراً*. ليلاً ونهاراً - وهذا أزعجني. ثم أخبرتني عن شاب آخر، طالبٌ في السنة الأولى من ويست بوينت، كاد يحزّ عنقه بسببها، أيضاً. يا للهول. طلبتُ منها أنْ تقابلني تحت الساعة عند بيلتمور في الساعة الثانية، وألاّ تتأخّر، لأنَّ العرض يبدأ ربما في الثانية والنصف. كانت دائماً تتأخر. ثم أنهيتُ المكالمة. لقد أزعجتني، لكنها كانت جميلة جداً.

بعد أنْ ربطتُ الموعد مع العجوز سالي، خرجتُ من السرير وارتديتُ ملابسي وحزمتُ حقيبتي. لكني ألقيتُ نظرة من النافذة قبل أنْ أغادر الغرفة، لأرى ماذا يفعل كل المنحرفين، لكنهم جميعاً كانوا قد أسدلوا ستائرهم.

كانوا يصبحون مِثالاً للحِشمة في الصباح. ثم هبطتُ بالمصعد ودفعت الحساب. لم أر العجوز موريس في أي مكانٍ في الجوار. لم أُتعِب نفسي بالبحث عنه طبعاً، ابن الحرام ذاك.

استقللتُ سيارة أجرة من أمام الفندق، ولكن لم تكن لديّ أي فِكرة عن وِجهتي. لم يكن هناك مكان أذهب إليه. إنه فقط يوم الأحد، ولا أستطيع أنْ ألجأ إلى المنزل إلا في يوم الأربعاء - أو الثلاثاء على أقرب تقدير. وطبعاً لم أرغب في الانتقال إلى فندقٍ آخر لأنال مزيداً من الضرب. فماذا فعلت، أمرت السائق أنْ يقلّني إلى محطة غراند سنترال. إنها قريبة جداً من بيلتمور، مكان لقائي بسالي لاحقاً، ورحت أتصوَّر ما سأفعله، سوف أحفَظ أمتعتي في أحد تلك الصناديق القوية التي يُعطونك مفتاحاً لها، ثم أتناول طعام الإفطار. كنتُ جائعاً. وأثناء وجودي في سيارة الأجرة، أخرجتُ محفظتي لأحصي نقودي. لا أذكر بالضبط كم بقيَ معي، لكنه ليس مبلغاً كبيراً أو أي شيء. كنتُ قد أنفقتُ ما يُعادل فدية ملك خلال الأسبوعَين القذرَين. حقاً. إنني مُسرِف لعين بالفِطرة. وما لا أنفِقه، أضيّعه. ففي أغلب الأحيان أنسى أنْ أُحصِّل الباقي من المطاعِم والنوادي الليلية وكل شيء. وهذا يُثير جنون والدَيّ. لا أستطيع أنْ ألومهما. على الرغم من ثراء والدي. لا أدري حقاً كم يجني من المال -فهو لا يُناقش هذا الأمر معي أبداً- لكني أتخيَّل أنه مبلغ كبير. إنه محام تابع لشركة. وأولئك المحامون يغنمون الكثير. وهناك سبب آخر يجعلني أتأكّد من أنه ثريّ، فهو دائماً يوظِّف مالاً في عروض برودواي. لكنها دائماً تفشل، ويثور جنون أمي كلما علِمت بما حصل. إنها لم تشعر بأنها ثرية كثيراً منذ وفاة أخي. إنها شديدة العصبيّة. وهذا سبب آخر يجعلني أكره كالجحيم أنْ تعلم أني قد طُرِدتُ من جديد.

بعد أنْ أودعتُ أمتعتي أحد تلك الصناديق القوية في المحطة، دخلت إلى إحدى تلك الحانات التي تبيع الشطائر ووجبات الإفطار. وتناولت إفطاراً دسماً - من عصير برتقال، ولحم مُقدَّد وبيض، وخبز مُحمَّص وقهوة. في المعتاد أكتفي بشرب بعض عصير البرتقال. فأكلي خفيف جداً. حقاً. ولهذا تراني نحيلاً جداً. ومن المفترض أنْ أتابع هذه الحِمية في الوقت الذي يأكل الآخرون الكثير من النشا والهراء، ليزيدوا من وزنهم وكل شيء، أما أنا فلم

أفعل ذلك قط. وعندما أكون بعيداً عن المنزل، آكل عموماً شطيرة من الجبن السويسري وأشرب الحليب المُملّت. أنا هـ. ف. كولفيلد. هولدن فيتامين كولفيلد.

أثناء تناولي البيض، دخلت راهبتان تحملان حقائب وكل شيء – اعتقدتُ أنهما انتقلتا إلى دير آخر أو ما شابه وأنهما تنتظران وصول القطار– وجلستا بجواري على المقعد. لم يبدُ أنهما تعلمان ماذا تفعلان بالحقائب، فقمتُ بمساعدتهما. كانت حقائب من النوع الرخيص جداً – من الجلد غير الأصلي أو أي شيء. أعلمُ أنَّ هذا غير هامّ، ولكني أكره عندما يكون مع أحدهم حقيبة رخيصة. يبدو قولي فظيعاً، ولكن يمكنني حتى أنْ أكره، بمجرّد النظر، شخصاً يحمل حقيبة رخيصة. وقد حدث شيء ذات مرة. في أثناء فترة وجودي القصيرة في مدرسة إكتن هيلز، نزلتُ في غرفة واحدة مع فتى، اسمه ديك سلاغل، كانت بحوزته مثل تلك الحقائب الرخيصة. وكان يحتفظ بها تحت السرير، بدل أنْ يضعها على الرف، بحيث لا يراها أحد موضوعة جنباً إلى جنب مع حقائبي. وقد أحزنني ذلك حزناً شديداً، ورغبتُ مراراً في التخلُّص من حقائبي أو ما شابه، أو في أنْ *أبادلها* معه. كانت حقائبي من محل مارك كروس، من الجلد الأصلي وكل ذلك الهراء، وأعتقد أنها كلّفتْ مبلغاً كبيراً من المال. لكنه كان أمراً غريباً. وإليك ما حدث. ماذا فعلتُ، وضعتُ في النهاية حقائبي تحت سريري، بدل أنْ أضعها على الرف، وهكذا لا يعود العجوز سلاغل يشعر بعقدة النقص بهذا الشأن. ولكن إليكَ ما فعل. بعد أنْ وضعتُ حقائبي تحت سريري بيوم أخرجها وأعادها إلى الرف. ولم أفهم كنه ما فعل إلا بعد بعض الوقت، فقد أراد أنْ يفهم الناس أنَّ حقائبي هي حقائبه. هذا ما فعله حقاً. لقد كان فتى غريب الأطوار جداً. فمثلاً، كان دائماً يقول أشياء قذرة عنها، أعني حقائبي. كان يقول إنها جديدة أكثر مما ينبغي *وبورجوازية*. كانت هذه هي كلمته اللعينة المُفضّلة. لقد قرأها في مكانٍ ما أو سمعها. وكل شيء أملكه هو شديد *البورجوازية*. حتى قلمي الحبر كان بورجوازياً. كان يستعيره مني طوال الوقت، لكنه بورجوازي في كل الأحوال. ولكن قُدِّرَ لنا أنْ نتلازم مدة حوالي شهرَين. ومن ثم طلب كلٌ منا الانتقال. والغريب في الأمر هو أنني افتقدته بعد انتقالنا، لأنه كان صاحب

حس فكاهي عالٍ وقد أمضينا الكثير من الأوقات المسلية معاً. ولن أُدهَش إذا ما سمعت أنه افتقدني بدوره. في أول الأمر كان فقط يمزح عندما يقول إنَّ أغراضي بورجوازية، وأنا لم آبه - كان ذلك شيئاً مضحكاً. ثم، بعد فترة من الوقت، أصبحَ جلياً أنه لم يعُد يمزح. والمشكلة هي أنه من الصعب حقاً أنْ تتقاسم غرفة مع أحدهم إذا كانت حقائبك أفضل بكثير من حقائبه- إذا كانت حقائبك من النوع الجيد حقاً وحقائبه ليست كذلك. أنتَ تعتقد أنه إذا كان الشخص الآخر ذكياً ويتمتع بحس فكاهي عالٍ فلن يأبه بأيّها الحقائبُ الأفضل، ولكن هذا غير صحيح. إنهم يهتمون. وهو أحد الأسباب التي دفعتني إلى تقاسم الغرفة مع ابن حرام غبي كسترادليتر. على الأقلّ كانت حقائبه جيدة كحقائبي.

على أي حال، كانت الراهبتان جالستين بجواري، وانخرطنا في حديث معاً. كانت الجالسة إلى يميني تحمل سلّة من القشّ من النوع الذي تجمع بها الراهبات وأطفال جيش الخلاص النقود خلال فترة عيد الميلاد. تجدهم واقفين على ناصية الطريق، خاصة في الجادة الخامسة، أمام المحلات التجارية الكبرى وكل شيء. على أي حال، أسقطت الجالسة إلى جواري سلّتها على الأرض فانحنيتُ والتقطتها لأجلها. سألتها إنْ كانت قد خرجت لتجمع التبرعات وكل ذلك. فقالتْ لا. قالت إنها لم تتمكّن من وضعها في حقيبتها عندما كانت تحزمها واكتفت بحملها. كانت ترسم ابتسامة جميلة عندما تنظر إليك. وكان لها أنف كبير، وتضعُ نظارات ذات إطار حديدي والتي لم تزدها جاذبية، لكنَّ وجهها كان لطيفاً جداً. قلت لها «كنتُ أفكّر إذا كنتِ تجمعين نقوداً يمكنني أنْ أقدّم مساهمة صغيرة. ويمكنك أنْ تضيفيها إلى ما ستجمعينه»

قالتْ «أوه، ما ألطف هذا»، ونظرت الأخرى، صديقتها، إليّ. كانت الأخرى تقرأ في كتابٍ صغير أسود وتشرب قهوتها. بدا أشبه بكتاب مقدّس، لكنه كان رقيقاً جداً، وشكله شكل كتاب مقدّس. كلتاهما كانتا تأكلان إفطاراً من الخبز المُحمّص والقهوة. فشعرت بالأسى. أكره أنْ آكل لحماً مُقدّداً وبيضاً أو ما شابه بينما شخص آخر لا يأكل إلا خبزاً مُحمّصاً مع القهوة.

سمحتا لي بإعطائهما عشرة دولارات كمساهمة. وراحتا تُكرران السؤال

عمّا إذا كنتُ متأكداً من أنَّ في مقدوري أنْ أدفعها وكل ذلك. فقلت لهما إنَّ ما زال لديّ مبلغ جيد، ولكن لم يبدُ عليهما أنهما صدَّقتاني. لكنهما أخذتاها في النهاية. وبدأتْ الاثنتان تغدقانني بالشُكر الجزيل وشعرت بالحرج. وحوّلتُ مجرى الحديث إلى مواضيع عامة وسألتهما إلى أين هما ذاهبتان. فقالتا إنهما مُدرّستان وإنهما جاءتا من شيكاغو وسوف تبدآن بممارسة التدريس في أحد الأديرة، ويقع في الشارع رقم **168** أو **186** أو في أحد تلك الشوارع البعيدة عن المدينة. وقالت التي تجلس إلى جواري، ذات النظارة بالإطار الحديدي، إنها تُدرّس الإنكليزية وأنَّ صديقتها تُدرّس مادة التاريخ وعلم السياسة الأميركية. ثم بدأتُ أتساءلُ كابن حرام عن رأي تلك الجالسة إلى جواري، وتدرّس اللغة الإنكليزية، بما أنها راهبة وما إلى ذلك، عن رأيها عندما تقرأ كتباً معيَّنة لتعزيز لغتها الإنكليزية.؛ كتباً ليست بالضرورة زاخرة بالأمور الجنسية، ولكن تحكي عن عشّاق وما إلى ذلك. مثلاً شخصية يوستيسيا فاي، في رواية «*عودة المواطن*» لتوماس هاردي. فهي ليست مُثيرة جنسياً أو أي شيء، ولكن مع ذلك لا يسع القارئ إلا أنْ يتساءل عن رأي راهبة عندما تقرأ عن العجوز يوستيسيا. ولكن، طبعاً، أنا لم أقُل أي شـيء. كل ما قلته هو أنَّ اللغة الإنكليزية هي المادة الأفضل.

«أوه، أحقاً؟ أوه، أنا سعيدة جداً!»، هذا ما قالته ذات النظارة التي تعلّم الإنكليزية، «ماذا قرأتَ في هذا العام؟ أنا مهتمة بمعرفة ذلك». لقد كانت لطيفة حقاً.

«حسن، إننا في معظم الأوقات نحن في المدرسة نركّز على الأدب الأنغلو – ساكسوني، مثل «*بيوولف*»، و«*العجوز غريندل*»، و«*ابني اللورد راندال*»، وكل هذه الأشياء. ولكن علينا أنْ نقرأ خارج المنهاج من أجل زيادة رصيدنا بين حينٍ وآخر. فأنا أقرأ «*عودة المواطن*» لتوماس هاردي، و«*روميو وجولييت*» و«*يوليوس*–»

«أوه، *روميو وجولييت*! رائع! ألم تحبها؟». لم تبدُ قط أنها راهبة.

«نعم، أحببتها كثيراً. هناك بعض الأشياء التي لم أحبها فيها، لكنها مؤثّرة جداً، في العموم»

«ما الذي لم يُعجبك فيها؟ أتذكُر؟»

أقول لكَ الحقيقة، كان شيئاً مُحرِجاً، بصورةٍ ما، التحدُّث عن **روميو وجولييت** معها. أعني أنَّ تلك المسرحية تُصبح مُثيرة جنسياً في بعض أجزائها، وهي راهبة وما إلى ذلك، ولكنها سألتني، لذلك دار بيننا نقاش قصير. قلت «حسن، أنا لستُ مولعاً بروميو وجولييت. أعني أنا أحبّهما، ولكن – لا أدري. أحياناً يُصبحان مُزعجين قليلاً. أعني أني شعرت بحزنٍ أشدّ عندما قُتِلَ العجوز مركوشيو أكثر من حزني على روميو وجولييت عندما ماتا. المسألة هي أني لم أعُد أحبّ روميو كثيراً بعد أنْ طُعِنَ مركوشيو على يد ذلك الرجل الآخر –ابن عم جولييت– ما اسمه؟»

«تايبولت»

قلت «صح. تايبولت» – أنا دائماً أنسى اسم ذلك الشاب. «إنها غلطة روميو. أعني أنا أحب العجوز مركوشيو أكثر من شخصيات المسرحية كلها. لا أدري. إنَّ كل آل مونتيغيو وكابيوليت جيدون –خاصة جولييت– أما مركوشيو، فكان – من الصعب الشرح. لقد كان شديد الذكاء مُسلٍ وكل شيء. المشكلة هي أنه يجنّ جنوني إذا ما قُتِلَ أحدٌ –خاصة إذا كان شخصاً شديد الذكاء مُسلٍ وكل شيء– ويكون الذنب ذنب شخصٍ آخر. على الأقلّ لقد كان ذنب روميو وجولييت»

سألتني «إلى أي مدرسة تنتسب، يا عزيزي؟». لعلها أرادت أنْ تتجاوز موضوع روميو وجولييت.

قلت لها إلى مدرسة بنسي، وكانت تعرفها. وقالت إنها مدرسة جيدة جداً. لكني تجاوزت عن ذلك. ثم قالت الأخرى، تلك التي تُدرّس مادة التاريخ وعِلم السياسة، إنه يُستحسن أنْ تُسرعا في الانطلاق. أخذت منهما فاتورة الحساب، لكنهما لم تسمحا لي بدفع النقود. وأجبرتني ذات النظارة على إعادة بطاقتها.

قالت «لقد كنتَ أكثر من كريم. أنت فتى رقيق جداً». كانت لطيفة من دون أدنى شك. وذكَّرتني قليلاً بوالدة إرنست مورو العجوز، التي قابلتها في القطار. ثم ابتسمت. قالت «لقد استمتعنا *كثيراً* بالحديث معك»

قلتُ إني أنا أيضاً استمتعتُ بالحديث معهما. كنتُ جاداً فيما قلت. وأعتقد أنه كان يمكن أنْ أستمتع أكثر مما فعلت لو لم أخش، طوال فترة حديثي معهما، من أنْ تحاولا فجأةً أنْ تكتشفا إنْ كنتُ كاثوليكياً أم لا. فالكاثوليك دائماً يُحاولون أنْ يعرفوا إنْ كنتَ كاثوليكياً. وقد حدث ذلك معي كثيراً، أنا أعلم، من ناحية لأنَّ كنيتي أيرلندية، وأغلب الذين ينحدرون من أصل أيرلندي هم من الكاثوليك. وفي الحقيقة، لقد *كان* والدي ذات يوم كاثوليكياً. لكنّه ترك المذهب، بعد أنْ تزوج أمي. لكنَّ أصحاب المذهب الكاثوليكيّ دائماً يحاولون أنْ يعرفوا إنْ كنتَ كاثوليكياً حتى وإنْ لم يعرفوا كنيتك. وقد عرفت فتى كاثوليكياً، اسمه لويس غورمن، عندما كنتُ ملتحقاً بمدرسة ووتن. كان أول فتى أعرفه هناك. كنا جالسين أنا وهو في أول كرسيين خارج المشفى اللعين، في يوم افتتاح المدرسة، في انتظار فحصنا الطبّي، وانهمكنا في حديث عن لعبة كرة المضرب. كان يهتم كثيراً بلعبة كرة المضرب، وكذلك أنا. قال لي إنه كان يذهب إلى المباريات الدولية التي تجري في فوريست هيلز في كل صيف، وقلتُ له إني أنا أيضاً أذهب، ومن ثم تحدثنا عن بعض نجوم لعبة التنس مدة طويلة. كانت معلوماته غزيرة في لعبة كرة المضرب، بالنسبة إلى فتى في مثل سنه. حقاً. ثم، بعد قليل، وفي وسط الحديث، سألني «تُرى هل تعرف أين تقع الكنيسة الكاثوليكية في المدينة؟». كان جلياً من طريقته في سؤالي أنه يحاول أنْ يعرف إنْ كنتُ كاثوليكياً. حقاً فعل. وهذا لا يعني أنه كان متحاملاً أو أي شيء، لكنه أراد فقط أنْ يعرف. لكن كان بإمكانك أن تحسّ بأنه كان سيستمتع أكثر بالمحادثة لو كنتُ كاثوليكياً. إنَّ ذلك النوع من الأحاديث يدفعني إلى الجنون. أنا لا أقول إنه أفسد علينا المحادثة أو أي شيء -ليس كذلك- ولكن من المؤكَّد تماماً أنه لم يُفِده. ولهذا سعدتُ لأنَّ تينك الراهبتين لم تسألاني إنْ كنتُ كاثوليكياً. وما كان ذلك *ليُفسد* المحادثة، ولكن ربما كانت ستأخذ منحى مختلفاً. أنا لا أقول إني أضع اللوم على الكاثوليك. كلا. ربما كنتُ فعلتُ الشيء نفسه لو أنّي كاثوليكي. الأمر يشبه تلك الحقائب التي حكيت لك عنها، بصورة ما. ما أعني هو أنَّ هذا يُفسِد الحديث المُمتع. هذا كل ما أعنيه.

عندما نهضتا لكي تغادرا، أعني الراهبتين، قمتُ بأمر غاية في الغباء

والإحراج. فقد كنتُ أدخّن سيجارة، وعندما نهضتُ لأودّعهما، أخطأتُ ونفخت بعض الدخان في وجهيهما. من دون قصد، لكني فعلت. ورحتُ اعتذر كالمجنون، وكانتا غاية في الأدب واللطف بهذا الشأن، لكنه كان في كل الأحوال شيئاً مُحرجاً جداً.

بعد أنْ غادرتا، بدأتُ أندم لأني لم أعطهما إلا عشرة دولارات من أجل تبرعاتهما. لكنَّ المشكلة هي أنه كان لدي ذلك الموعد لمشاهدة العرض مع العزيزة سالي هيز، وكنتُ في حاجة للاحتفاظ ببعض النقود ثمناً للبطاقتين وما شابه. لكني شعرت بالأسف لذلك على أي حال. اللعنة على النقود. دائماً ينتهي الأمر بأنْ تجعلك حزيناً جداً.

الفصل السادس عشر

بعد أنْ تناولت إفطاري، لم تكن الساعة قد تجاوزت الواحدة ظهراً، ولقائي مع العجوز سالي لن يحلّ إلا في الساعة الثانية، لذلك انطلقتُ في مسيرٍ طويلٍ على الأقدام. لم أتمكن من الكفّ عن التفكير في تينك الراهبتين. بقيتُ أفكّر في سلّة القش القديمة المتهرئة تلك التي يحملانها معهما لجمع التبرعات حين لا تمارسان مهنة التدريس. وبقيتُ أحاول أنْ أتصوَّر أمي أو أي شخصٍ آخر، أو عمتي، أو والدة سالي هيز المجنونة، وهي واقفة خارج أحد المحلات التجارية وتجمع التبرعات من أجل الفقراء بسلّة من القشّ قديمة ومتهرّئة. كان من الصعب تصوّر المشهد. لا أقصد أمّي، بل تينك الأخريين. إنَّ عمتي امرأة مُحسِنة جداً –تقوم بكثير من الأعمال لمصلحة الصليب الأحمر وكل شيء– لكنها حَسَنة المظهر وكل شيء، وعندما تقوم بأي عملٍ خيري تكون دائماً في أحسن ملابسها وتبرّجها وكل ذلك الخراء. ولم أتمكّن من تخيّلها تقوم بأي عملٍ خيريّ وهي ترتدي ملابس سوداء ومن دون تبرّج. ثم هناك والدة العجوز سالي هيز. يا يسوع المسيح. إنَّ الطريقة الوحيدة التي يمكنها فيها أنْ تتجوَّل حاملة سلّة وتجمع التبرعات تتحقَّق إذا ما عمد كل متبرّع إلى تملّقها. أما إذا اكتفى بوضع المال في سلّتها، ثم مشى مبتعداً من دون أنْ يقول أي شيء لها، متجاهلاً إياها وكل ذلك، فسوف تتخلى عن العمل في غضون ساعة من الزمن. كانت ستملّ. كانت ستُسلِّم السلّة وتذهب إلى مكانٍ فاخر وتطلب غداءً. هذا ما أحببتُه في تينك الراهبتين. والسبب هو أنه يمكنكَ أنْ تعرف أنهما لم تذهبا قطّ إلى مكان فاخر لكي تتناولا طعام الغداء. وكم حزنت عندما فكّرت في هذا، في أنهما لن تذهبا إلى مكان فاخر لكي تتناولا طعام

الغداء في مكان ما أو أي شيء. كنتُ أعلم أنه ليس بالأمر الهام، ولكنه أحزنني في كل الأحوال.

باشرت المشي باتجاه برودواي، من دون أي سبب معيَّن، لأنني لم أكن قد ذهبتُ إلى هناك منذ سنوات. ثم أني أردتُ أنْ أفتش عن مخزن لبيع الأسطوانات يفتحُ أبوابه في يوم الأحد. فقد كانت هناك أسطوانة أردتُ أنْ أشتريها لفيبي، عنوانها «شيرلي بين الصغيرة». كان من الصعب الحصول عليها. وتحكي عن طفلة صغيرة ترفض أنْ تخرج من المنزل لأنَّ سنّيها الأماميين بارزان نحو الخارج وكانت تخجل منهما. كنتُ قد سمعت الأسطوانة في مدرسة بنسي. كانت بحوزة فتى يُقيم في الغرفة المجاورة، وحاولتُ أنْ اشتريها منه لأني كنتُ أعلم أنَّ ذلك سيُسعِد فيبي أيّما سعادة، لكنه رفض أنْ يبيعها. كانت أسطوانة قديمة جداً ورائعة، أدّتها تلك المغنية داكنة البشرة، إستل فليتشر، قبل نحو عشرين عاماً. كانت تغنيها على طريقة أهل ديكسيلاند والماخور، ولا تبدو على الإطلاق مائعة. ولو أنَّ فتاة بيضاء هي التي تغنيها لجعلتها تبدو جذّابة بصورة مُغالية، لكنَّ العزيزة إستل فليتشر كانت تعرف ما الذي تفعله، وكانت واحدة من أفضل الأغاني التي سمعتها في حياتي. وفكّرت في شرائها من أحد المحلّات التي تفتح أبوابها في يوم الأحد ومن ثم أخذها معي إلى الحديقة العامة. كان يوم أحد وفيبي تذهب إلى التزحلق على الدواليب في الحديقة العامة في أيام الأحد باستمرار. كنتُ أعلم أين أجدها في الغالب.

لم يكن الجو بارداً كما كان قبل ذلك بيوم، لكنَّ الشمسَ كانت لا تزال مُحتجبة، ولم يكن الوضع ملائماً كثيراً للتمشية. ولكن كان هناك شيء واحد جيد. تلك العائلة التي يمكن التكهُّن بأنها قد خرجت تواً من الكنيسة كانت تمرُّ من أمامي – أب، وأم، وطفل صغير في نحو السادسة من عمره. بدوا فقراء. كان الوالد يعتمر واحدة من تلك القبعات الرمادية التي كثيراً ما يعتمرها الفقراء عندما يريدون أنْ يبدوا أنيقين. كان هو وزوجته يسيران ويتحدثان، دون أنْ يوليا أي انتباه لطفلهما. الطفل كان رائعاً. كان يمشي في الشارع، بدل أنْ يمشي على الرصيف، ولكن قريباً من حافة الرصيف. بدا كأنه يرسم خطاً مستقيماً وهو يسير، كما يفعل الأطفال عادةً، وكان طوال

الوقت يغني ويُهمهمُ. اقتربتُ منه لكي أسمع ماذا يغني. كان يغني تلك الأغنية «إذا لمحَ جسدٌ جسداً قادماً من خلال أشجار الجودار». كان صوته رقيقاً وجميلاً أيضاً. كان يُغني لمجرد الاستمتاع، كما بدا واضحاً. مرّت سيارة بسرعة فائقة، وتردَّد صدى زعيق فراملها في أرجاء المكان، ولم يُولِ والداه أي انتباه إليه، وواصل هو السير بجوار حافة الرصيف وهو يغني، «إذا لمحَ جسدٌ جسداً قادماً من خلال شجر الجودار». وجعلني أشعر بتحسُّن. وخفَّفَ عني الشعور باليأس.

كان شارع برودواي مزدحماً ومكتظاً. كان يوم أحد، والساعة لم تتجاوز الثانية عشرة، لكنه كان مكتظاً بالناس مع ذلك. كان الكل في طريقهم لمشاهدة السينما - سينما بارامونت أو أستور أو الستراند أو الكابيتول أو أحد تلك الأماكن المجنونة. والجميع يرتدون أفضل ملابسهم، لأنَّ اليوم هو يوم أحد، مما زاد الوضع سوءاً. لكنَّ الجزء الأسوأ هو أنكَ كنتَ تعرف أنهم جميعاً *أرادوا* أنْ يرتادوا دور السينما. لم أتحمّل النظر إليهم. أستطيع أنْ أفهم أنَّ شخصاً يذهب إلى السينما لأنَّ ليس أمامه أي شيء آخر يفعله، أما عندما يرغب أحدٌ حقاً في الذهاب إليها، بل ويمشي بخطى سريعة، لكي يصل إلى هناك بصورة أسرع، فإنَّ ذلك يُحزنني أشدّ الحزن. خاصة إذا رأيتَ ملايين من البشر واقفين في أحد تلك الأرتال الطويلة والمريعة للحصول على مقاعد، والممتد على طول مساحة المبنى، ينتظرون بذاك الجَلَد الرهيب للحصول على مقاعد وكل ذلك. يا إلهي، لم أتمكن من الخروج من شارع برودواي اللعين ذاك بسرعة كافية. لقد كنتُ محظوظاً. فقد حصلت على نسخة من أغنية «الصغيرة شيرلي بينز» من أول محل دخلته. أخذوا مني خمسة دولارات ثمناً لها، لأنه كان من الصعب الحصول عليها، ولكني لم آبه. يا إلهي، يا للسعادة التي شعرتُ بها فجأةً. لم أُطِقْ صبراً حتى أصل إلى الحديقة العامة لأرى إنْ كانت العزيزة فيبي موجودة لكي أعطيها إياها.

عندما خرجت من محل بيع الأسطوانات، مررتُ بصيدلية، ودخلتها. فكّرتُ في أنْ أتصل بجين العزيزة هاتفياً وأرى إنْ كانت قد عادت إلى المنزل لبدء عطلتها. فولجت حُجيرة الهاتف واتصلتُ بها. المشكلة الوحيدة كانت أنَّ أمها هي التي أجابت، لذلك اضطررت إلى إعادة السمّاعة. لم تكن لدي

رغبة في الانخراط في حديث مُطوَّل وما إلى ذلك معها. على أي حال أنا لستُ مولعاً بالحديث مع أمهات الفتيات عبر الهاتف. ولكن كان يجب على *الأقل* أنْ أسألها إنْ كانت جين قد وصلت إلى المنزل. لم يكن ذلك ليقتلني. لكنني لم أرغب في ذلك. على المرء أنْ يكون حقاً في المزاج الرائق اللازم ليفعل ذلك.

كان لا يزال أمامي أنْ أحصل على تلك البطاقات اللعينة، لذلك اشتريت صحيفة ورحتُ أفتش لأرى ما هي العروض وأين تُعرَض. وبما أنه كان يوم أحد، لم تكن هناك غير ثلاثة عروض تعمل. فماذا فعلت، ذهبتُ واشتريت بطاقتين لمقعديّ أوركسترا لحضور عرض «*أعرف يا حبيبتي*». كان عرضاً خيرياً أو ما شابه. لم أرغب كثيراً في حضوره، لكني كنتُ أعرف أنَّ العزيزة سالي، ملكة الزيف، سيسيل لعابها في كلّ مكان حين أخبرها أني اشتريت بطاقتين لحضوره، لأنّ فرقة لنتْ كانت في هذا العرض وهكذا. كانت تحب العروض التي من المفترض أنْ تكون معقّدة وجافة وكل شيء، وبأداء آل لنت وكل شيء. أنا لا أحبها. لا أحب العروض كلها، إذا أردت أنْ تعرف الحقيقة. إنها ليست سيئة مثل الأفلام السينمائية، ولكني لست مفتوناً بها. أولاً، أنا أكره الممثلين؛ إنهم أبداً لا يمثلون كالبشر؛ هم فقط يعتقدون أنهم يفعلون ذلك. بعض الجيدين منهم يفعلون، بقدرٍ ضئيل، ولكن ليس إلى درجة الاستمتاع بمشاهدتهم. وإذا كان أي ممثل جيداً حقاً، تستطيع دائماً أنْ *تتأكد* من أنه يعرف أنه جيد، وهذا يُفسِد الأمر. لديك السير لورنس أوليفييه، على سبيل المثال. لقد شاهدته في مسرحيّة هاملت. فقد أخذنا د.ب أنا وفيبي لمشاهدتها في العام الفائت. أولاً دعانا لتناول طعام الغداء، ثم أخذنا لمشاهدة المسرحية. كان قد سبق له أنْ شاهدها، وبالطريقة التي حدثنا عنها جعلني أتوق بشدّة إلى مشاهدتها، أيضاً. لكني لم أستمتع بها كثيراً. أنا فقط لا أرى ما الرائع في السير لورنس أوليفييه، هذا كل شيء. إنَّ له صوتاً رائعاً، ويتمتع بوسامة طاغية، ومن الممتع رؤيته وهو يمشي أو يتبارز أو ما شابه، لكنه لم يكن أبداً يُشبه هاملت كما تحدث عنه د.ب. كان شديد الشبه بجنرال لعين، بدل أنْ يُشبه شخصاً من النوع الحزين، الفاشل. إنَّ أفضل جزء في الفيلم كله هو عند رحيل أخي أوفيليا –ذاك الذي يتبارز مع هاملت مع اقتراب النهاية– ويمنحه

والده الكثير من النصائح. وبينما الوالد يواصل إعطاء نصائحه الكثيرة، كانت أوفيليا العزيزة تعبث مع أخيها، تُخرِج خنجره من غمده، وتزعجه وكان طوال الوقت يحاول أنْ يُبدي اهتماماً بالثور الذي كان والده يصطاده. ذلك كان جيداً. وأثار إعجابي الشديد. ولكن لا يرى المرء مثل هذا النوع كثيراً. والشيء الوحيد الذي أعجب فيبي العزيزة كان مداعبة هاملت لرأس كلبه. لقد رأتْ أنَّ ذلك المشهد مضحك ولطيف، وقد كان كذلك فعلاً. وما سيتوجّب عليّ فعله هو أن أقرأ تلك المسرحية. فمشكلتي هي أني يجب دائماً أنْ أقرأ المسرحية وحدي. أما إذا أدّاها أحد الممثلين أمامي، فأنا لا أصغي. أظلّ قلقاً حول ما إذا كان سيفعل شيئاً زائفاً في كل لحظة.

بعد أنْ حصلتُ على البطاقتين لمشاهدة عرض فرقة لَنتْ، استقللتُ سيارة أجرة إلى الحديقة العامة. كان ينبغي أنْ أستقلّ القطار النفقي أو ما شابه، لأنَّ النقود كانت قد بدأتْ تنفد مني قليلاً، لكني أردتُ أنْ أخرج من برودواي اللعين بأسرع ما في وسعي.

كان الوضع كريهاً في الحديقة العامة. لم يكن الجو شديد البرودة، لكنَّ الشمس كانت لا تزال مُحتجبة، ولم يبدُ أنَّ الحديقة العامة تضم غير براز الكلاب وكتل البُصاق وأعقاب السيجار التي رماها العجائز، والمقاعد كلها بدت كأنها مُبلّلة إذا جلست عليه، وتُشيع الانقباض في النفس، وبين حين وآخر تنتابك، من دون أي سبب، قشعريرة أثناء السير. لم يبد قط أنَّ عيد الميلاد قادم قريباً. لم يبدُ أنَّ *أيَّ شيء* قادم. لكني واظبت على السير نحو المركز التجاري في كلّ الأحوال، لأنّ فيبي عادةً ما تذهب إلى هناك حين تأتي إلى الحديقة. تحبّ التزحلق قرب المنصّة. أمرٌ غريب. فهذا هو المكان نفسه الذي كنتُ أحبّ التزحلق فيه في طفولتي.

ولكن عندما وصلتُ إلى هناك لم أرها في أي مكان. كان هناك بضعة أطفال موزّعين، يتزحلقون وكل شيء، وصبيةٌ يلعبون لعبة رمي الكرة اللينة في الهواء، ولكن لا فيبي. ولكني رأيت طفلةً في مثل سنّها جالسة على مقعد وحدها، تثبّت مزلجتها. ففكّرت في أنها ربما تعرف فيبي ويمكنها أنْ تخبرني عن مكانها أو ما شابه، فتقدّمتُ منها وجلست بجوارها وسألتُها، «هل تعرفين فيبي كولفيلد، بالمصادفة؟»

قالت «مَنْ؟». كانت ترتدي بنطلون جينز ونحو عشرين كنزة صوفية. وكان جلياً أنَّ أمها صنعتها لأجلها، لأنها كانت متكتّلة بشكلٍ هائل.

«فيبي كولفيلد التي تقطن في الشارع الواحد والسبعين، وهي في الصف الرابع، هناك في-»

«أنتَ تعرف فيبي؟»

«نعم، أنا أخوها. أتعرفين أين هي؟»

قالت الطفلة «إنها في صف المس كالون، أليس كذلك؟»

«لا أعلم. نعم، أعتقد أنها كذلك»

قالت الطفلة «إذن لعلّها في المتحف. *نحنُ* ذهبنا في يوم السبت»

سألتها «أي متحف؟»

هزّت كتفيها جهلاً. قالت «لا أعلم. إلى *المتحف*»

«أعلم، ولكن هل هو الذي يضم لوحات، أم الذي فيه الهنود؟»

«الذي يضم الهنود» مكتبة سُر مَن قرأ

قلت «شكراً جزيلاً». نهضتُ وهممتُ بالانطلاق، ولكني تذكّرتُ فجأةً أنَّ اليوم هو يوم أحد. فقلت للطفلة «هذا يوم *أحد*»

رفعت نظرها إليّ. «أوه. إذن هي ليست هناك»

كانت تستهلك الكثير من الوقت في ربط المزلجة. لم تكن تلبس أي قفاز أو أي شيء وكانت يداها شديدتَيّ الاحمرار من البرد. فساعدتها في ربطها. يا إلهي، لم أكن قد حملتُ مفتاح مزلجة بيدي منذ سنين. لكن ملمسه لم يكن غريباً. يمكنكَ أنْ تضع مفتاح مزلجة في يدي بعد خمسين عاماً من الآن، وسط ظلامٍ دامس، ومع ذلك أعرف ما هو. شكرتني وما إلى ذلك بعد أنْ ربطته لها. كانت طفلة شديدة اللطف والتهذيب. يا لله كم أحب الطفل المهذّب واللطيف عندما تشدّ له رباط مزلجه أو ما شابه. معظم الأطفال هم كذلك. حقاً. وسألتها إنْ كانت ترغب في تناول شراب الشوكولاتة الساخنة أو شيئاً ما معي، لكنها قالت لا، شكراً لك. قالت إنَّ عليها أنْ تقابل صديقتها. الأطفال دائماً عليهم أنْ يُقابلوا أصدقاءهم. وهذا يزعجني.

على الرغم من أنّه كان يوم أحد وفيبي ليست هناك مع أفراد صفّها أو أي شيء، وعلى الرغم من أنَّ الجو شديد الرطوبة والقذارة في الخارج، مشيت كل المسافة خلال الحديقة العامة إلى متحف التاريخ الطبيعي. كنتُ متأكداً من أنّه المتحف الذي قصدته الطفلة ذات المزلجة. كنتُ أعرف ذلك المتحف بأكمله ككتابٍ في يدي. كانت فيبي تدرس في المدرسة نفسها التي ذهبتُ إليها وأنا صغير، وكنا نذهب إلى هناك دائماً. كان لدينا معلمة، اسمها آنسة إيغلتنغر، تصحبنا إلى هناك في كل يوم سبت لعين. تارةً نتفرَّج على الحيوانات وتارة أخرى على الأشياء التي صنعها الهنود في الأزمنة الغابرة. أوانٍ فخّارية وسِلال من القش وأشياء كهذه. وأنا أشعر بالسعادة كلما فكّرتُ في هذا. حتى الآن. وأذكر أننا بعد أنْ نتفرَّج على كل أغراض الهنود، كنا في المعتاد نذهب لنشاهد فيلماً سينمائياً في قاعة الاستماع الكبرى. كولومبوس. كانوا دائماً يعرضون فيلمَ كولومبوس وهو يكتشف أميركا، ويستغرق وقتاً طويلاً في إقناع العجوز فرديناند والعجوز إيزابيل لإقراضه المال اللازم لشراء سفن، ومن ثم تمرُّد البحارة عليه وكل ذلك. لم يكن أحد يهتم كثيراً بالعجوز كولومبوس، لكننا كنا نأخذ معنا الكثير من الحلوى والعلكة والأشياء، وكان داخل تلك القاعة يفوح برائحة جميلة جداً؛ وكأنها تُمطِر في الخارج، حتى وإنْ لم تكن كذلك، وتكون أنتَ في المكان الوحيد الدافئ والجاف والأليف في العالم. لقد أحببتُ ذلك المتحف اللعين. وأذكُرُ أنه كان يجب المرور من غرفة الهنود من أجل الوصول إلى القاعة الكبرى. كانت غرفة طويلة، طويلة، ويجب الكلام همساً فيها. كانت المعلّمة تدخل أولاً ومن ثم طلاب الصف. وكنّا نشكّل صفّين من الأولاد، وكلّ واحدٍ لديه رفيق. وفي معظم الأحيان كان المرافق هو تلك الفتاة التي اسمها غرتزود ليفاين. كانت دائماً تريد أنْ تُمسِك بأيدينا، وكانت يدها دائماً لزجة ومبللة بالعرق أو ما شابه. وكانت الأرضية كلها من الحجارة، وإذا كنت تحمل بعض الكِلل في يدك وأسقطتها فإنها تتقافز كالمجنونة على كل أرجاء الأرضية وتُثير جحيماً من الجَلَبَة، وتوقف المعلّمة تلاميذ الصفّ كي تعود إلى الوراء وتتفقّد الأمر. لكنها لم تكن تغضب قط، أعني مس إيغلتنغر. ومن ثم نمر بقارب الحرب الهندي الطويل، الطويل، الذي يبلغ طوله مقدار ثلاث سيارات كاديلاك لعينة تقف في صف واحد، وفي

داخله نحو عشرين هنديًا، بعضهم يُجذّف، وبعضهم يكتفي بالوقوف وتبدو عليه الخشونة، وكلهم يدهنون وجوههم بخطوط الحرب. وكان هناك رجل واحد بينهم مُخيف جداً يقف في خلفية القارب، ويضعُ قِناعاً على وجهه. إنّه الطبيب الساحر. كان يُثير القشعريرة في جسمي، لكنه أعجبني مع ذلك. وهناك شيء آخر هو أنكَ إذا لمستَ المجداف أو أي شيء أثناء مرورك، يقول لك أحد الحرّاس «لا تلمسوا أي شيء يا أولاد»، لكنهم كانوا دائماً يقولون ذلك بصوت لطيف، وليس مثل الشرطي اللعين أو أي شيء. ثم نمر بذلك الصندوق الزجاجي الكبير، الذي يضم داخله هنوداً يحكّون العصي معاً ليقدحوا شرر النار، وامرأة هندية تنسج بطّانية. والمرأة التي تنسج البطانية كانت منحنية، وتستطيع أنْ ترى صدرها وكل شيء. وكنا جميعاً نسترق النظر إليها، حتى الفتيات، لأنهن كنّ مجرد أطفال وصدورهنّ لم تكن أكبر من صدورنا. ثم، وقُبيل ولوج القاعة الكبرى، وبالقرب من الأبواب، تمرّ بذلك الإسكيمو الجالس فوق حفرة في تلك البحيرة المتجمّدة، ويصطاد السمك من خلالها. كانت لديه سمكتان يضعهما بجوار الحفرة، اصطادهما تواً. يا إلهي، ذلك المتحف كان مملوءاً بالصناديق الزجاجية. وكان هناك المزيد في الطوابق العليا، في داخلها غزلان تشرب من حُفرٍ من الماء، وطيور تطير نحو الجنوب لقضاء فصل الشتاء. الطيور الأقرب إليك كلها مُحنّطة ومُعلّقة على الأسلاك، والتي في الخلف كانت فقط مرسومة على الجدار، لكنها جميعاً بدت كأنها تطير فعلاً نحو الجنوب، وإذا حنيت رأسك نحو الأسفل ونظرت إليها بالمقلوب، تبدو حتى أكثر سرعة لبلوغ الجنوب. أما أفضل شيء في المتحف فكان أنَّ كل شيء يبقى دائماً حيث هو. لا أحد يتحرك. يمكنك أنْ تتردَّد إلى هناك ألف مرة، وسوف يبقى ذلك الإسكيمو هناك لا يصطاد غير تينك السمكتين، والطيور سوف تبقى في طريقها إلى الجنوب، والغزلان لا تزال تشرب من حفرة الماء، بقرونها الجميلة، وسيقانها الجميلة والنحيلة، وتلك المرأة الهندية بصدرها المكشوف لا تزال تنسج تلك البطانية ذاتها. لا أحد يختلف. الشيء الوحيد الذي سيكون قد اختلف هو *أنت*. لا أعني أنك ستكون قد كبرت كثيراً أو أي شيء. ليس هذا، بالضبط. سوف تكون مختلفاً فقط، هذا كل شيء. ستكون قد حصلت على معطف هذه المرة. أو أنَّ الطفل

الذي كان رفيقك في الوقوف في الصف في آخر مرة قد أُصيبَ بالحمى القرمزية وحصلتَ على رفيق جديد. أو أصبح لديك بديل للآنسة إيغلتينغر لمرافقة أفراد الصف. أو ستسمع أنَّ أمك وأباك قد وقع بينهما شجار عاصف في غرفة الحمّام. أو تكون قد مررت تواً بإحدى تلك البِرك في الشارع التي يتخلّلها قوس قزح من الغازولين. أعني أنكَ ستكون مختلفاً بصورةٍ ما - إنني عاجز عن شرح ما أعني. وحتى إذا كان في استطاعتي أنْ أفعل فأنا لستُ واثقاً من أني أرغب في ذلك.

أخرجتُ قبعة الصيد من جيبي أثناء سيري واعتمرتها. كنتُ أعلم أني لن أقابل أحداً يعرفني، والجو كان شديد الرطوبة في الخارج. ظللتُ أمشي وأمشي، وأفكّر في العزيزة فيبي وهي ذاهبة إلى ذلك المتحف في أيام السبت كما كنتُ أفعل. فكّرتُ في كيف أنها سترى الأشياء نفسها التي كنتُ أراها، وكيف أنها هي ستكون مختلفة في كل مرة تراها فيها. ولا يمكن القول بالضبط إنَّ التفكير في هذا أثار انقباضاً في نفسي، لكنه لم يُفرحني كثيراً أيضاً. ثمة أشياء معيَّنة يجب أنْ تبقى كما هي. وعليك أنْ تكون قادراً على إلصاقها معاً داخل أحد تلك الصناديق الزجاجية ومن ثم تتركها وشأنها. أعلمُ أنَّ هذا مستحيل، ولكنه مؤسف على أي حال. مهما يكن، بقيتُ أفكّر في هذا كله وأنا أمشي.

مررتُ بأحد الملاعب وتوقفتُ ورحتُ أتابعُ طفلين صغيرَين جداً على الأرجوحة النوّاسة. كان أحدهما بديناً قليلاً، فوضعتُ يدي على الطرف الذي يجلس عليه الطفل النحيل، لكي أعادل الوزن، ولكن كان جلياً أنهما لم يرغبا في وجودي، فتركتهما وشأنهما.

ثم وقعَ الأمر الغريب. فعندما وصلتُ إلى المتحف، صرت لا أرغب في الدخول ولو أعطوني مليون دولار. كل ما في الأمر أنه لم يُعجبني - بعد أنْ قطعت كامل الحديقة العامة اللعينة سيراً على الأقدام وأنا أصبو إلى بلوغه. لو أنَّ فيبي كانت هناك، ربما كنتُ دخلت، لكنها لم تكن هناك. لذلك، كل ما فعلته، وأنا أمام المتحف، هو أنّي استقللتُ سيارة أجرة وذهبتُ إلى بيلتمور. لم أرغب كثيراً في الذهاب. ولكن كان لدي موعد مع سالي.

الفصل السابع عشر

وصلتُ إلى هناك باكراً جداً، فجلستُ على إحدى تلك الأرائك الجلدية المجاورة لساعة الحائط في البهو ورحت أراقب الفتيات. كان كثير من طلاب المدارس قد بدأوا عطلتهم، وكان هناك الكثير من الفتيات جالسات في انتظار مجيء أصدقائهن من الشبان. فتيات يضعن ساقاً فوق ساق، وفتيات لا يضعن ساقاً على ساق، وفتيات بسيقان رائعة، وفتيات بسيقان قبيحة، وفتيات يبدين رائعات، وفتيات يبدو أنهن سيتصرّفن كعاهرات إذا عرفتهنّ عن كثب. كان مشهداً جميلاً، إذا فهمت ما أعني. وكان أيضاً، بصورة ما، يبعث على الانقباض، لأنكَ لا تني تتساءل ماذا سيحدث لهن جميعاً بحق الجحيم. أعني، بعد أنْ تنتهي دراستهن في المدرسة والجامعة. تعتقد أنَّ معظمهن ربما سيتزوجن من رجال مبتذلين، رجالٌ لا يكفّون عن الحديث عن عدد الأميال التي تقطعها سيّاراتهم اللعينة بغالون بنزينٍ واحد. رجالٌ يغضبون ويتصرّفون كالأطفال إذا ما هزمتَهم في لعبة غولف أو في لعبةٍ غبيّة مثل تنس الطاولة. رجال لئام جداً. رجالٌ لا يقرؤون الكتب أبداً، رجال مُملّين جداً. -ولكن يجب أنْ أكون حذراً بهذا الشأن. أعني فيما يخصّ نعت بعض الرجال بأنهم مملّون. أنا لا أفهم المملّين. لا أفهمهم حقاً. عندما كنتُ في مدرسة إلكتن هيلز، أقمت على مدى شهرين في غرفة واحدة مع فتى يُدعى هاريس هاكلين. كان شديد الذكاء وكل شيء، لكنه كان أحد أشدّ مَنْ عرفتُ إثارةً للضجر. كان له صوت من النوع المُثير للأعصاب، ولم يكن يكفّ عن الكلام، بلا مبالغة. لم يكن يكفّ عن الكلام، والشيء الفظيع هو أنه في المقام الأول لم يكن يقول أي شيء تريد أنْ تسمعه. ولكنه كان يُحسِن فعل شيءٍ واحد. كان في استطاعة ابن الحرام أنْ يُصفّر أفضل من أي شخصٍ سمعته. كان يُرتّب سريره، أو يُعلّق

أشياء في الخزانة- كان دائماً يُعلّق شيئاً في الخزانة -كان يُثير جنوني- ويُصفّر بينما هو يفعل ذلك، هذا إذا لم يكن يتكلّم بصوته المُثير للأعصاب. بل كان في استطاعته أنْ يُصفّر ألحاناً كلاسيكية، لكنَّه في أغلب الأحيان كان يكتفي بصفير ألحان الجاز. كان في استطاعته أنْ يتناول لحن جاز صِرفاً، مثل «تن رووف بلوز»، ويؤدّيه صفيراً على نحوٍ شديد السهولة والجمال -أثناء تعليقه أغراضاً في الخزانة- ويُثير الإعجاب. طبعاً، أنا لم أقُل له قط إنّه صافِر رائع. أعني أنه لا يمكن للمرء أنْ يتقدّم هكذا من شخص ويقول له «أنت صافِر رائع». لكني سكنتُ في غرفة واحدة معه مدة شهرين كاملين، على الرغم من أنه أثار ضجري إلى درجة شبه الجنون، لأنه كان فقط صافراً رائعاً جداً، وأفضل مَنْ سمعت. لذلك أنا لا أعرف شيئاً عن المملين. ربما لا تشعر بكثير من الأسف إذا رأيتَ فتاة رائعة تتزوج من أحدهم. فمعظمهم لا يؤذي أحداً، ولعلّهم صافرون رائعون أو ما شابه في السر. ومَنْ يعرف بحق الجحيم؟ ليس أنا.

أخيراً، أخذت سالي العزيزة ترتقي الدَرَج، وتوجّهت لمقابلتها. بدت رائعة. حقاً. كانت ترتدي ذلك المعطف الأسود وتعتمر بيريه سوداء. كانت نادراً ما تعتمر قبعة، لكنَّ تلك البيريه بدت لطيفة. أما الجزء الغريب فهو أني رغبتُ في الزواج منها فور أنْ وقع بصري عليها. أنا مجنون. لأنني لم أكن حتى *معجباً* بها كثيراً، ومع ذلك فجأةً شعرتُ كأني أحبها وأردتُ أنْ أتزوجها. أُقسِمُ بالله أني مجنون. أعترف بهذا.

قالت «هولدن! ما أجمل أنْ أراك! لم أركَ منذ *زمن بعيد*». كان لها صوت من تلك الأصوات الحادّة والمُحرِجة جداً عندما تخاطبك في مكانٍ ما. وقد سامحتها لأنها كانت جميلة بشكلٍ طاغٍ، لكنّه كان دائماً يُزعجني.

قلت «رائعٌ أنْ أراكِ». كنتُ جاداً، حقاً. «كيف حالك، على أي حال؟»

«في أحسن حال. هل تأخرت؟»

قلتُ لها لا، ولكنها في الواقع كانت قد تأخرت حوالي عشر دقائق. لكني لم أهتم. إنَّ كل ذلك الهراء الذي يعرضونه بالرسوم الكاريكاتورية في «ساترداي إيفننغ بوست» وغيرها، ويُبيّن شباناً عند منعطفات الشوارع يبدو عليهم الغضب الشديد لأنَّ فتياتهم تأخّرن - هو كذب. وإذا كانت

الفتاة التي تقابلك رائعة الجمال، فمن يأبه إذا ما تأخّرت؟ لا أحد. قلت «يُستحسن أنْ نُسرِع. إنَّ العرض يبدأ في الثانية وأربعين دقيقة». وبدأنا نهبط الدَرَج المؤدي إلى موقف سيارات الأجرة.

قالت «ماذا سنشاهد؟»

«لا أعلم. عرض فرقة آل لنت. إنه الوحيد الذي استطعت أنْ أحصل على بطاقات لمشاهدته»

«آل لنت! أوه، رائع!»

لقد قلتُ لكَ أنها سوف تُجن عندما تسمع أنهم آل لنت.

عبثنا قليلاً ونحن في سيارة الأجرة في الطريق إلى دار المسرح. أولاً لم ترغب في ذلك، لأنها تضع أحمر شِفاه وكل ذلك، لكني ألححتُ في إغوائها ولم يكن أمامها أي بديل. مرتين، عندما توقفت سيارة الأجرة بسرعة وسط حركة المرور، كدتُ أسقط عن مقعدي. إنَّ أولئك السائقين الملاعين لا ينظرون حتى ليروا إلى أين هم متجهون، أُقسم بأنهم لا يفعلون. ثم، لكي أبيّن لكَ فقط كم أنا مجنون، وبعد أنْ أفقنا من ذلك العناق الطويل، قلتُ لها إني أحبها وكل شيء. كنتُ أكذب، طبعاً، لكنّ الأمر هو أني كنتُ *صادقاً* حين قلتها. أنا مجنون. أُقسِمُ بالله أني كذلك.

قالت «أوه، يا عزيزي، أنا أحبك أيضاً»، ثم، بعد ذلك مباشرة، قالت «عِدني بأنْ تدع شعرك ينمو. إنَّ قصّة الجنود أصبحت مبتذلة. وشعرك جميل جداً». يا له من كذب.

لم يكن العرض رديئاً كبعض ما شاهدتُ. لكن القصة كانت من النوع التافه، تدور حول الحياة الطويلة جداً لزوجين عجوزين. وتبدأ عندما يكونان يافعَين وكل شيء، ووالدا الفتاة لا يريدان لها أنْ تتزوج من الفتى، لكنها تتزوجه على الرغم من ذلك. ومن ثم يكبران في السن ويكبران. ويذهب الزوج إلى الحرب، ويكون للزوجة أخ سكّير. لم يُثر اهتمامي كثيراً. أعني أني لا أهتمّ كثيراً إذا ما مات أحد أفراد العائلة أو أي شيء. فما هم إلا حفنة من الممثلين. كانا زوجَين هرمَين ولطيفَين –شديديّ الذكاء وكل شيء– لكنهما لم يُثيرا اهتمامي كثيراً. أولاً، كانا لا يكفّان عن شرب الشاي أو شيء

لعين طوال فترة المسرحية. فكلما وقع نظرك عليهما، ترى ساقياً يصبُّ لهما الشاي، أو ترى الزوجة *تصبّه* لشخصٍ آخر. والجميع لا يكفّون عن *الدخول والخروج* طوال الوقت - وتُصاب بالدوار وأنت تراقب الناس يجلسون وينهضون. كان ألفريد لنت ولين فونتان يمثلان دورَي الزوجَين الهرمَين، وكانا جيدَين جداً، لكني لم أحبّهما كثيراً. لكنهما كانا مختلفين، أعترفُ بهذا. فهما لم يُمثّلا كالناس ولم يمثّلا كممثّلين. من الصعب شرح هذا. لقد مثّلا كأنهما يعلمان أنهما مشهوران وكل ذلك. أعني أنهما كانا جيّدَين، ولكن *أكثر مما ينبغي*. وعندما ينتهي أحدهما من إلقاء حواره، كان الآخر يقول شيئاً بسرعة كبيرة بعد ذلك مباشرة. كان من المفترض أنْ يبدوا كأناسٍ يتكلّمون حقاً ويُقاطع أحدهم الآخر وكل ذلك. والمشكلة هي أنَّهما كانا يشبهان *أكثر مما ينبغي* أناساً يتكلمون ويُقاطع أحدهم الآخر. مثّلا بطريقة تشبه أسلوب العجوز إرني، في منطقة فيليج، في عزف البيانو. ذلك أنه إذا ما أدّيتَ شيئاً بصورة جيدة أكثر مما ينبغي فإنكَ ستبدأ، بعد فترة من الوقت، وإذا لم تنتبه، بالاستعراض. ومن ثم لا تعود جيداً أبداً. ولكن على أي حال، لقد كانا الوحيدَين في العرض -أعني، آل لَنْت- اللذين بدَوَا أنهما يمتلكان فهماً حقيقياً. أعترفُ بهذا.

في نهاية الفصل الأول خرجنا مع الآخرين لندخّن سيجارة. يا لها من جمهرة. لا يرى المرء كل ذلك القدر من الحمقى والمزيّفين دفعة واحدة في حياته، وكلٌ منهم يُدخّن حتى تنفجر أذناه ويتحدث عن المسرحية لكي يسمعه الجميع ويعرفوا كم هو يقظ. كان أحد ممثلي السينما المبتذلين يقفُ قريباً منا، يُدخّن سيجارة. لا أذكر اسمه، لكنه دائماً يمثّل في أفلام الحرب ويجبُن قبل أنْ يحين وقت بلوغ القمة. كان بصُحبة شقراء رائعة، وكان الاثنان يُحاولان أنْ يبدوا لا مباليَين وكل ذلك، وكأنه حتى لا يعرف أنَّ الناس ينظرون إليه. إنه كان يتصرَّف بتواضع جمّ. وتسلّيت بذلك كثيراً. سالي العزيزة لم تتكلَّم كثيراً، إلا لكي تهذر حول آل لنت، لأنها كانت منهمكة في الالتفات فيما حولها والظهور بمظهر الفاتنة. ثم، فجأةً، شاهدَتْ أحد الحمقى تعرفه يقف على الجانب المقابل من البهو؛ شاباً يرتدي بذلة من قماش الفلانيل الرمادي وصدرة مُربّعة، من العصبة الجامعية الصِرف.

شخصية هامة. كان يقفُ بمحاذاة الجدار، يُدخّن بشراهة وقد تملّكه الضجر. وظلّت العزيزة سالي تُردِّد «لقد *رأيتُ* هذا الفتى في مكانٍ ما». كانت دائماً *تعرف* شخصاً ما، في أي مكان تأخذها إليه، أو تظن أنها كذلك. وظلّت تقول هذا إلى أنْ قتلني الضجر، وقلت لها «لِمَ لا تذهبين وتعطينه قبلة كبيرة من القلب، إذا كنتِ تعرفينه. سوف يستمتع بها»، فغضبتْ عندما قلت هذا. ولكن أخيراً لاحظ الأحمق وجودها فتقدَّمَ وقال مرحباً. كان يجب أنْ ترى الطريقة التي قالا بها مرحباً. لو رأيتهما لقلتَ إنّهما لم يلتقيا منذ عشرين عامًا. لقلتَ إنّهما كانا يستحمّان في حوضٍ واحدٍ أو ما إلى ذلك في طفولتهما. يا للرفيقين الحميمين. كان شيئاً يبعث على التقزُّز. والمضحك في الأمر هو أنهما ربما تقابلا مرةً، في إحدى حفلات المزيَّفين. وأخيراً، وبعد أنْ انتهيا من تبادل الكلام المعسول، قامت سالي بتعريف كلٍ منا للآخر. كان اسمه جورج شيء ما - إني حتى لا أذكره - وذهب إلى أندوفر. أمرٌ جلل، جلل. كان يجب أنْ تراه عندما سألته العزيزة سالي عن رأيه في المسرحية. كان زائفاً من النوع الذي يجب أن يفرغ لنفسه مجالاً عندما يُجيب عن أسئلة شخص آخر. خطا إلى الخلف، ثم وطأ مباشرة قدم السيدة الواقفة خلفه. لعله كسر كل إصبع قدم في جسمها. قال إنَّ المسرحية بحد ذاتها ليست تحفة فنيّة، ولكنّ آل لنت، طبعاً، ملاكان. ملاكان. إكراماً لله. *ملاكان*. كم صدمني هذا. ثم باشر هو وسالي في التحدث عن كثير من الناس يعرفانهم. كان أشد ما سمعت من الأحاديث زيفاً في حياتي. كانا يتذكّران أماكن بسرعة كبيرة، ثم يتذكران أشخاصاً كانوا يُقيمون فيها ويذكران أسماءهم. وعندما حان وقت العودة إلى مقاعدنا كنتُ على أتمّ الاستعداد للتقيُّؤ. حقاً. ومن ثم، بعد انتهاء الفصل الثاني، تابعا حديثهما المملّ اللعين. بقيا يتذكران مزيداً من الأماكن ومزيداً من أسماء الأشخاص الذين عاشوا فيها. والأسوأ هو أنَّ الأحمق كان له صوت جامعيّ، ذو نبرة شديدة الزيف؛ صوت شديد التعب، ومتعالٍ. بدا كأنه فتاة. ولم يتردّد في التطفّل على موعدي العاطفي، ابن الحرام. بل إني اعتقدتُ لوهلة من الزمن أنه ينوي أنْ ينضم إلينا في سيارة الأجرة بعد انتهاء العرض، لأنه مشى معنا مسافة مجمّعَين سكنيّين، ولكن كان عليه أنْ يُقابل حفنة من الزائفين لشراب كوكتيلات، كما قال. أكاد أراهم جالسين في

إحدى الحانات، بصدرأتهم المربّعة اللعينة، وينتقدون العروض المسرحية والكتب والنساء بأصواتهم المُتعبة، المتعالية. أولئك الشبان يُضجرونني.

مع وصولنا إلى سيارة الأجرة كنتُ قد بدأتُ أكره العزيزة سالي، بعد الاستماع إلى ابن الحرام الزائف من جامعة أندوفر ذاك على مدى حوالي عشر ساعات. وكنتُ على أتمّ الاستعداد لأوصلها إلى المنزل وكل شيء -حقاً- لكنها قالت «لديَّ فكرة رائعة!». كانت دائماً تراودها فكرة رائعة. قالت «اسمع، متى يتوقعون وصولك إلى المنزل لتناول طعام العشاء؟ أعني، هل أنت مستعجل كثيراً أو أي شيء؟ هل أنتَ مضطر للعودة إلى المنزل في وقت مُحدَّد؟»

قلت «أنا؟ كلا. لا وقت مُحدَّداً». أما الحقيقة فلم أقُلها قط، يا إلهي. «لماذا؟»

«فلنذهب لنتزحلق على الجليد في راديو سيتي!»

هذا هو نوع الأفكار التي كانت دائماً تخطر لها.

«التزحلق على الجليد في راديو سيتي؟ تقصدين الآن فوراً؟»

«فقط لمدة ساعة أو نحوها. ألا ترغب في ذلك؟ إذا كنتَ لا تريد -»

قلت «أنا لم أقُلْ إني لا أريد. طبعاً أريد. إذا أردتِ *أنتِ*»

«أجادٌّ فيما تقول؟ لا توافق إنْ كنتَ لستَ جاداً. أعني أنّه لا يهمني، بصورة أو بأخرى»

كانت تزيّف عدم مبالاتها.

قالت سالي «يمكن استئجار تنانير التزحلق الصغيرة اللطيفة. جانيت كولتز فعلتْ ذلك في الأسبوع الفائت»

لهذا السبب كانت شديدة الحماس للذهاب. لقد أرادت أنْ ترى نفسها في واحدة من تلك التنانير الصغيرة التي بالكاد تنخفض عن الردفين وكل شيء.

وهكذا ذهبنا، وبعد أنْ أعطونا المتزحلقة، أعطوا سالي ذلك الفستان الأزرق المحرج لترتديه. ولكنها بدت حقاً رائعة الجمال به. يجب أنْ أعترف. ولا أعتقد أنها كانت غافلة عن ذلك. وظلّت تتقدمني في المسير، لكي أرى كم هي جميلة مؤخرتها الصغيرة. وقد بدت كذلك فعلاً. يجب أنْ أعترف.

لكنَّ الغريب في الأمر هو أننا كنا أسوأ المتزحلقين في الحلبة اللعينة كلها. أعني الأسوأ *حقاً*. وكان هناك بعض المتزحلقين الفَشَلة أيضاً. وأخذ كاحلا العزيزة سالي يلتويان إلى أنْ لمسا الجليد فعلاً. ولم يبدُ منظرهما شديد السُخف فقط، بل لعلّهما كانا يؤلمان أيضاً. ما أعرفه هو أني تألمت من كاحلَيّ. كاحلاي كانا يؤلماني. لابد أننا بدونا رائعين. والأسوأ من ذلك كان هناك على الأقلّ بعض مئات من الفضوليين الذين لم يكن لديهم ما يفعلون أفضل من المكوث ومراقبة الذين يقعون ويتعثر بعضهم ببعض.

أخيراً قلتُ لها «هل تريدين أنْ نحصل على طاولة في الداخل ونتناول مشروباً أو شيئاً ما؟»

قالت «هذه أفضل فكرة خرجت بها طوال النهار». كادت *تقتل* نفسها. كان شيئاً وحشياً.

نزعنا أداة التزحلق اللعينة وولجنا البار حيث يمكنك أنْ تشرب وتراقب المتزحلقين وأنت لا تنتعل غير جوربك. وحالما جلسنا، نزعت سالي العزيزة قفّازها، وأعطيتها سيجارة. لم تبدُ شديدة السعادة. جاء النادل، وطلبتُ لها كوكاكولا -لم تكن تشرب الكحول- وويسكي مع صودا لنفسي، لكنَّ ابن الحرام لم يُحضره لي، لذلك شربت أنا أيضاً كوكاكولا. ثم بدأتُ أشعِلُ عيدان الكبريت. أفعل هذا كثيراً عندما أكون في مزاجٍ معيَّن. أتركها تشتعل حتى لا يعود في إمكاني أنْ أحملها مدة أطول، ثم أُسقطها في المنفضة. إنها عادة عصبيّة.

ثم فجأةً، ودون سابق إنذار، قالت العزيزة سالي، «اسمع، يجب أنْ أعرف. هل ستأتي أم لا لتساعدني في تشذيب الشجرة عشيّة عيد الميلاد؟ يجب أنْ أعرف». كانت لا تزال سيئة المزاج بسبب ما حدث لكاحليها وهي تتزحلق.

«لقد كتبتُ لك أقول إني سأفعل. وطلبتِ مني ذلك عشرين مرة. طبعاً سآتي»

قالت «أعني يجب أنْ أعرف». وبدأتْ تتلفَّت حولها في أرجاء المكان اللعين.

فجأةً توقفتُ عن إشعال عيدان الكبريت، وملتُ قليلاً نحوها عبر الطاولة. كنتُ أحمل عدداً من المواضيع في ذهني. قلت «هيه، سالي»

قالت «ماذا؟». كانت تنظر إلى فتاة على الجانب المقابل من المكان.

قلت «هل سبق وأن طفح كيلك؟ أعني هل انتابك الخوف مرة من أنّ الأمور كلها سوف تسوء إذا لم تفعلي شيئاً؟ أعني هل تحبّين المدرسة، وما شابه؟»

«إنها مملّة فظيعة»

«أعني هل تكرهينها؟ أنا أعلم أنها مصدر ملل فظيع، ولكن هل تكرهينها، هذا ما أعنيه؟»

«في الواقع، أنا لا *أكرهها* بالضبط. عليكَ دائماً أنْ –»

قلت «أما أنا فأكرهها. يا إلهي، كم أكرهها. ولكن ليس هذا فقط. بل أكره كلَّ شيء. أنا أكره العيش في نيويورك وكل ذلك. سيارات الأجرة، وحافلات جادة ماديسون، والسائقون والجميع يصرخون في وجهك لكي تخرجي من الباب الخلفي، وتتعرّفي إلى شبان زائفين يقولون عن آل لنت إنهم ملائكة، وتصعدين وتهبطين المصاعد في حين أنكِ فقط تريدين أنْ تخرجي، وأشخاص يجعلون سراويلك ملائمة طوال الوقت في محل بروكس، والناس دائماً –»

قالت العزيزة سالي «لا تصرخ، من فضلك». وهذا غريب، لأني لم أكن أصرخ البتّة.

قلت «عند السيارات مثلاً». قلتُ هذا بصوت شديد الهدوء. «إنَّ معظم الناس مولعون بالسيارات، ويقلقون إذا ما خُدِشَت قليلاً، ودائماً يتحدثون عن عدد الأميال التي تقطعها بالغالون، وإذا حصلوا على سيارة جديدة يفكّرون فوراً في استبدالها بواحدة أكثر حداثة. إنني حتى لا أحب السيارات *القديمة*. أعني أنها حتى لا تُثير اهتمامي. إنني أُفضّل حصاناً لعيناً. الحصان على الأقلّ *إنسانيّ*، إكراماً لله. الحصان يستطيع على الأقل –»

قالت سالي العزيزة «أنا لا أفهم حتى ما الذي تتكلّم عنه. إنكَ تقفز من –»

قلت «أتعلمين؟ لعلكِ السبب الوحيد لوجودي في نيويورك الآن، أو في أي مكان. لو لم تكوني موجودة، لكنتُ في مكان بعيد جداً. في الغابة أو في مكان لعين. أنتِ السبب الوحيد لوجودي، بلا مبالغة»

قالت «أنت لطيف». ولكن كان يمكن أنْ تفهم أنها أرادتني أنْ أغيِّر الموضوع اللعين.

قلت «يجب أنْ تذهبي إلى مدرسة الصبيان ذات مرة. حاولي أنْ تفعلي في يوم من الأيام؛ إنها مملوءة بالمزيفين، وكل ما تفعلينه هو أنْ تدرسي، لكي تحصّلي من العِلم ما يؤهّلكِ لتكوني ذكية بقدر كافٍ لكي تتمكني من شراء سيارة كاديلاك لعينة ذات يوم، وعليك أنْ تتظاهري بأنكِ تهتمين إذا ما خسر فريق كرة القدم، وكل ما تفعلينه هو أنْ تتكلّمي عن الفتيات والشراب والجنس طوال النهار، والجميع يتكاتفون معاً في تلك الشِلل الصغيرة اللعينة القذرة. الشبان المشتركون في فريق كرة السلّة يتكاتفون معاً، والكاثوليك يتكاتفون معاً، والمثقفون الملاعين يتكاتفون معاً، والذين يلعبون البريدج يتكاتفون معاً. حتى المنتمون لنادي كتاب *الشهر* اللعين يتكاتفون معاً. وإذا حاولتِ أنْ تحصلي على قدرٍ قليل من الفكر العاقل –»

قالت العزيزة سالي «الآن، اسمع، إنَّ الكثير من الصِبية يحصّلون من المدرسة أكثر من *هذا* بكثير»

قلت «أوافقك! أوافقكِ على أنهم يفعلون، بعضهم! ولكن هذا كل ما حصّلته *أنا* منها. أترين؟ هذا ما أعني. هذا بالضبط ما أعني. أنا لا أحصل على أي شيء من أي شيء. أنا في حال سيئ. أنا في حال *بائس*»

«أنت كذلك فعلاً»

وفجأةً، راودتني هذه الفكرة.

قلت «اسمعي، إليكِ فكرتي. ما رأيك في أنْ نغادر هذا المكان؟ هذه هي فكرتي. أنا أعرف شخصاً في غرينيتش فيليج نستطيع أنْ نستعير سيارته لمدة أسبوعين. كنا معاً في مدرسة واحدة ولا يزال يُدين لي بعشرة دولارات. وما نستطيع أنْ نفعل هو أن نذهب غداً صباحاً بالسيارة إلى ماساتشوستس وفرمونت، وكل تلك النواحي. الحياة جميلة جداً هناك. هي كذلك حقاً».

كان حماسي يتزايد باطّراد، كلّما أمعنتُ التفكير في الأمر، واقتربت منها وأمسكت بيد العزيزة اللعينة. كم كنتُ *أحمقَ* لعيناً. قلت «أنا لا أمزح. أنا معي مِئة وثمانون دولاراً في المصرف. أستطيع أنْ أستلمها حالما يفتح أبوابه في الصباح، ومن ثم أستطيع أنْ أذهب وأجلب سيارة ذلك الشخص. أنا جادّ. سوف نمكث في كبائن المخيمات وأشياء كهذه إلى أن ينفد المال. ثمّ، عندنا ينفد المال، أستطيع أنْ أحصل على عمل في مكان ما ونستطيع أنْ نتزوج أو ما شابه. يمكنني أنْ أقطع أخشاباً في فصل الشتاء وكل شيء. وحقّ الله، يمكننا أنْ نقضي وقتاً رائعاً! ما رأيك؟ هيا! ما رأيك؟ هل تذهبين معي؟ أرجوك!»

قالت العزيزة سالي «لا يمكنك أنْ *تنفّذ* شيئاً كهذا ببساطة». بدت شديدة الانزعاج.

«ولِم لا؟ لِمَ بحق الجحيم؟»

قالت «كُفّ عن الصراخ في وجهي، أرجوك». وهذا الكلام هراء، لأني لم أكن أصرخ في وجهها.

«لِمَ لا تستطيعين؟ لِمَ؟»

«لأنكَ لا تستطيع، هذا كل ما في الأمر. أولاً، نحن الاثنان عملياً *أطفال*. ثم هل خطر لك مرةً أنْ تتوقف وتفكّر ماذا ستفعل إذا *لم* تحصل على عمل بعد أنْ تنفد النقود؟ سوف نموت من *الجوع*. الأمر كله يبدو خيالياً جداً، إنه حتى ليس –»

«إنه ليس خيالياً. سوف أحصل على عمل. لا تقلقي بهذا الشأن. لستِ مضطرة للقلق حول هذا. ما الأمر؟ ألا تريدين أنْ تذهبي معي؟ *صارحيني*، إذا كنتِ لا ترغبين»

قالت سالي العزيزة «الأمر ليس *كذلك*. ليس كذلك على الإطلاق». كنتُ قد بدأتُ أكرهها، بصورة ما. سوف يتوفر لدينا الكثير من الوقت لتحقيق هذه الأشياء – كل هذه الأشياء. أعني بعد أنْ تلتحق بالجامعة وكل هذا، وإذا كان لابد أنْ نتزوج وكل هذا. سوف تكون هناك أماكن كثيرة رائعة نذهب إليها. أنت فقط –»

قلت «كلا، لن يتوفر لنا ذلك. لن يتوفر لنا الكثير من الأماكن لنزورها على الإطلاق. سوف يكون الوضع مختلفاً كلياً». كان الإحباط قد بدأ يُعادوني بقوة من جديد.

قالت «ماذا؟ لا أستطيع سماعك. في لحظة تصرخ في وجهي، وفي اللحظة التالية –»

«قلتُ كلا، لن تكون هناك أماكن رائعة لنزورها بعد أنْ ألتحق بالجامعة وكل ذلك. افتحي أذنيك. سوف أكون قد تغيَّرت تماماً. سوف نضطر إلى الهبوط إلى الطوابق السفلى بالمصاعد حاملين حقائب السفر وما شابه. سوف نضطر إلى الاتصال هاتفياً بكل شخص لكي نودّعه ونرسل إليه بطاقات بريدية من الفنادق وما إلى ذلك. وسوف أعمل في أحد المكاتب، وأجني الكثير من المال، وأذهب إلى العمل بسيارات أجرة وحافلات جادة ماديسون، وأقرأ الصحف، وألعب البريدج طوال الوقت، وأشاهد السينما والكثير من الأفلام القصيرة الحمقاء والعروض القادمة الجذّابة ونشرات الأخبار. نشرات الأخبار. يا مسيح العظيم. وهناك دائماً سباق خيل أبله، وسيدة تكسر زجاجة على سفينة، وتشمبانزي يمتطي دراجة لعينة مرتدياً بنطلوناً. لن يكون الوضع نفسه. أنتِ لا تفهمين أبداً ما أعني»

قالت العزيزة سالي «لعلي لا أفهم! ولعلك *أنتَ* أيضاً لا تفهم». في تلك اللحظة أصبح كلٌ منا يكره الآخر كرهاً شديداً. كان جلياً أنه لا فائدة من محاولة إجراء حديث عقلاني. وندمتُ لأني بدأتُ الأمر.

قلت «هيا، فلنخرج من هنا. لقد سبَّبتِ لي إزعاجاً شديداً، إذا أردتِ أنْ تعرفي الحقيقة»

يا إلهي، استشاطت غضباً عندما قلتُ ذلك. أعلمُ أنه ما كان ينبغي أنْ أقوله، وربما ما كنتُ فعلتُ في الحالة العادية، لكنها كانت توصلني إلى حالة قُصوى من الإحباط. وفي المعتاد لا أنطقُ بأشياء فظّة كهذه مع الفتيات. يا إلهي، استشاطت غضباً. ورحت أعتذر كالمجنون، لكنها لم تقبل اعتذاري. بل راحت تبكي. فانتابني شيء من الخوف، لأني خشيتُ قليلاً أنْ تذهب إلى المنزل وتُخبر والدها بأني وصفتها بأنها مزعجة جداً. وقد كان والدها أحد

أولئك أولاد الحرام الضِخام الصامتين، وعلى أي حال لم يكن مولعاً بي كثيراً. وذات مرة قال لسالي إني صخّاب لعين.

ورحتُ أردِّد على مسمعها «بلا مزاح. أنا آسف»

قالت «أنت آسف. أنت آسف. هذا مضحك جداً». كانت لا تزال تبكي تقريباً، وفجأةً بدأتُ أشعر *فعلاً* بالأسف لأني قلت ذلك.

«هيا، سأصطحبك إلى المنزل. بلا مزاح»

«أستطيع أنْ أذهب إلى المنزل وحدي، شكراً لك. وإذا ظننتَ أني سأسمح *لك* باصطحابي إلى المنزل، فأنت مجنون. لا أحد سبقَ أنْ قال لي مثل هذا في حياتي كلها»

الأمر كله بدا مضحكاً، بصورة ما، إذا فكَّرتَ فيه، وفجأةً فعلتُ شيئاً ما كان ينبغي أنْ أفعله. لقد ضحكت. ولديّ واحدة من تلك الضحكات العالية جداً والحمقاء. أعني لو أني كنتُ أجلسُ خلف نفسي في دارٍ للسينما أو ما شابه، فلعلني كنتُ انحنيتُ إلى الأمام وقلتُ لنفسي اخرس من فضلك. وجُنَّ جنون العزيزة سالي أكثر من ذي قبل.

مكثتُ في مكاني بعض الوقت، وأنا أعتذر وأحاول أنْ أستجدي عذرها، لكنها رفضت. وبقيَتْ تأمرني بأنْ أبعد عنها وأدعها وشأنها. وأخيراً فعلتُ. انتقلتُ إلى الداخل وجلبتُ حذائي وأغراضي، وغادرتُ وحدي. ما كان ينبغي أنْ أفعل، لكني كنتُ قد مللتُ الأمرَ بشكلٍ لعين حينئذٍ.

إذا أردتَ الحقيقة، فأنا لا أعرف حتى لماذا بدأتُ ذلك كله معها. أعني فيما يخصّ الذهاب إلى مكانٍ ما، إلى ماساتشوستس وفرمونت وكل ذلك. ولعلي ما كنتُ أخذتها معي حتى لو أرادت أنْ ترافقني. لم تكن شخصاً يمكنك أن تطلبه ليرافقك. ولكن الجزء الأسوأ هو أني كنتُ *جاداً* عندما طلبتُ منها ذلك. هذا هو الجزء الأسوأ. أُقسِمُ بالله أنّي مجنون.

الفصل الثامن عشر

بعد أنْ غادرت حلبة التزحلق شعرتُ بالجوع، فلجأتُ إلى إحدى الصيدليات واشتريت شطيرة من الجبن السويسري والحليب المملّت، ومن ثم لجأتُ إلى حجيرة هاتف. وفكّرت في الاتصال بجين العزيزة مرة أخرى لأرى إنْ كانت قد عادت إلى المنزل. أعني أني كنتُ حراً طوال الأمسية، وفكّرتُ في الاتّصال بها، فإذا كانت قد وصلت إلى المنزل أصطحبها للرقص أو ما شابه في مكان ما. فطوال معرفتي بها لم أرقص معها قط. لكني شاهدتها ترقص مرة. بدت راقصة جيدة جداً. حدث ذلك في حفل الرقص في النادي في الرابع من شهر تموز. حينئذٍ لم أكن أعرفها جيداً، ورأيتُ أنه ينبغي ألاّ أتدخّل بينها وبين صاحبها. فقد كانت تواعد شاباً فظيعاً، اسمه آل بايك، كان يتردَّد على التشوت. لم أكن أعرفه معرفة جيدة، لكنه كان دائماً يتسكّع حول بركة السباحة. مُرتدياً زي السباحة من اللاستكس الأبيض، وكان دائماً يمارس القفز العالي. وطوال النهار يقوم بالغطس المتشقلب المريع. وهو نوع الغطس الوحيد الذي يُحسِنه، لكنه كان يعتقد أنه شخصية هامة. كله عضلات وبدون عقل. على أي حال، هذا هو الذي كانت جين تواعده في تلك الليلة. ولم أفهم. أُقسِمُ على أني لم أفهم. وبعد أنْ بدأنا نخرج معاً، سألتها كيف حدث وصارت تخرج مع ابن حرام يستعرض جسمه مثل آل بايك. فقالت جين إنه لا يستعرض جسمه. قالت إنه يُعاني من عقدة نقص. وتصرّفتْ كأنها ترثي لحاله أو ما شابه، ولم تكن تدّعي. كانت صادقة. الفتيات غريبات الأطوار، فكلما أتيتَ على ذِكر شاب ابن حرام صِرف –حقير جداً، أو شديد الغرور وكل ذلك– أمام فتاة، تقول لك إنه مُصاب بعقدة نقص. ولعله يكون كذلك **فعلاً**، ولكن مع ذلك فهذا لا

يُعفيه من كونه ابن حرام، في رأيي. ما أغرب أطوار الفتيات. إنك لا تعرف أبداً بما يُفكِّرن. ذات يوم دبّرتُ لرفيقة روبرتا والش في الغرفة موعداً مع صديقٍ لي. اسمه بوب روبنسن وكان مُصاباً **فعلاً** بعقدة نقص. كان جلياً أنه يشعر بالخجل من والديه وكل شيء، لأنهما يقولان «**he don't**» و«**she don't**» وما شابه، ولم يكونا فاحشَي الثراء. ولكنه لم يكن ابن حرام أو ما شابه، بل كان شاباً لطيفاً جداً. لكنَّ رفيقة روبرتا والش في الغرفة لم تحبه على الإطلاق. وقالت لروبرتا إنه شديد الغرور - وسبب اعتقادها أنّه مغرور هو أنه تصادفَ أنْ ذكَرَ لها أنه كان رئيس فريق مناظَرة. بسبب شيء ضئيل كهذا اعتقدتْ أنه مغرور! إنَّ مشكلة الفتيات هي أنهنَّ إذا أُعجبنَ بفتى، مهما كان ابن حرام كبيراً، قلنَ عنه أنه مُصاب بعقدة نقص، وإذا لم يُحبينه، مهما كانَ لطيفاً، أو مهما بلغت ضخامة العقدة المُصاب بها، قلنَ إنه مغرور. حتى الفتيات الذكيات يفعلن ذلك.

على أي حال، عاودت الاتصال بجين، لكنَّ هاتفها لم يردّ، لذلك أعدت السماعة مكانها. ثم فتشتُ في دفتر عناويني لأرى مَنْ يمكن بحق الجحيم أنْ يكون متوفراً لقضاء الأمسية معه. لكنَّ المشكلة هي أنَّ دفتر عناويني لم يكن يحتوي إلا عناوين ثلاثة أشخاص فقط. جين، وهذا الرجل، والسيد أنطوليني، الذي كان أستاذي في مدرسة إلكتن هيلز، ورقم مكتب والدي. إنني دائماً أنسى أنْ أدوّن أسماء الناس فيه. وأخيراً، اتصلتُ بصديقي كارل ليوس. كان قد تخرَّجَ من مدرسة ووتن بعد أنْ غادرتها. كان يكبرني بنحو ثلاث سنوات، ولم أكن أحبه كثيراً، لكنه كان شديد الذكاء -وقد حصل على أعلى حاصل ذكاء في ووتن- واعتقدتُ أنه ربما يرغب في أنْ يُشاركني وجبة عشاء في مكانٍ ما ونتبادل حديثاً على قدر من الذكاء. كان بصورة ما مُستنيراً جداً. فاتّصلتُ به. كان قد التحقَ بجامعة كولومبيا، لكنه يعيش في الشارع الخامس والستين وكل شيء، وكنتُ متأكداً من أنه سيكون في المنزل. عندما حضر إلى الهاتف قال إنه لا يستطيع أنْ يوافيني على العشاء ولكنه سيقابلني لتناول شراب عند الساعة العاشرة في حانة ويكر، في الشارع الرابع والخمسين. أعتقد أنه فوجئ كثيراً عندما سمع صوتي. وذات يوم نعتّه بالزائف صاحب الطيز الكبيرة.

كان لدي الكثير من الوقت لأبدّده حتى حلول الساعة العاشرة، فذهبت لأشاهد فيلماً سينمائياً في راديو سيتي. لعله كان أسوأ عمل قمتُ به، لكنّ دار السينما كانت قريبة، ولم يخطر في بالي أي شيء آخر أفعله.

عندما دخلتُ كان هناك عرضٌ مسرحيّ لعين قد بدأ. كان أفراد فرقة الروكيت يرقصون بكل حماس، كما يفعلون عندما يقفون في صفٍ واحد ويضع كلّ منهم يده على خصر الآخر. وصفّق المشاهدون كالمجانين، وأخذ أحد الجالسين خلفي يقول لزوجته «أتعرفين ما هذه؟ هذه دقّة». لقد قتلني. ثم، بعد فرقة الروكيت، ظهر رجل يرتدي سترة سهرة وينتعل متزحلقة، وبدأ يتزحلق تحت عدد من الطاولات الصغيرة، ويُلقي نكات أثناء فعله ذلك. كان متزحلقاً جيداً جداً وكل شيء، لكني لم أستمتع بها كثيراً لأني لم أتوقف عن تصوّره وهو *يتدرّب* ليُصبح متزحلقاً على خشبة المسرح. بدا ذلك غاية في الحمق. أعتقد أني لم أكن في المزاج المناسب. ثم، بعده، قدّموا ذلك العرض الخاص بعيد الميلاد الذي يُقدمونه في كل عام. كل تلك الملائكة التي تخرج من الصناديق ومن كل مكان، ورجال يحملون صِلباناً وأشياء منتشرون في كل مكان، وكلهم -يعدّون *بالآلاف*- يرتّلون «تعالوا أيها المؤمنون!» كالمجانين. شيء ضخم. من المفترض أنْ يكون ذا صِبغة دينية كالجحيم، أعلم، وجميل جداً وكل ذلك، لكنّي لا أرى أيّ شيءٍ دينيّ أو جميل، إكراماً لله، في حفنة من الممثلين يحملون صلباناً في كل أرجاء خشبة المسرح. وبعد أنْ ينتهي كل شيء ويبدؤون بالخروج من الصناديق من جديد كنتَ تراهم بوضوح يشتاقون لإشعال سيجارة أو ما شابه. كنتُ قد شاهدتُ العرضَ من قبل ذلك بعام مع العزيزة سالي هيز، وظلت تُكرر كم كان عرضاً جميلاً، بالأزياء وكل شيء. فقلت إنه ربما كان جديراً بالعجوز يسوع أنْ يتقيّأ لو شاهده - بكل تلك الأزياء الخيالية وما إلى ذلك. فقالت سالي إني مُلحد مُدنّس. لعلي كذلك. لكنّ الشيء الذي كان سيروق يسوع فعلًا هو ذلك الشخص الذي يقرع على الطبول ضمن الفرقة الموسيقية. لقد راقبت ذلك الشخص منذ أنْ كنتُ في الثامنة من العمر. كنتُ أنا وأخي آلي، ونحن بصُحبة والدينا، نحرّك مقعدينا ونقترب من حيث يمكننا أنْ نراقبه. إنه أفضل قارع على الطبل رأيته. وخلال مقطوعة كاملة لم تكن تتاح له إلّا فرصة واحدة

للقرع عليها مرات قليلة، لكنه لم يبدُ قط ضجراً عندما لم يكن يقرع آلته. وكان قرعه جميلاً وعذباً، مع ذلك التعبير المرتسم على وجهه. وذات مرة عندما ذهبنا مع والدي إلى واشنطن، أرسل آلي إليه بطاقة بريدية، لكني أراهن على أنه لم يستلمها. فلم نكن متأكدين تماماً كيف نتعامل مع الوضع.

بعد انتهاء عرض عيد الميلاد، بدأ عرض الفيلم اللعين. كان من السوء بحيث لم أقوَ على إبعاد عينيّ عنه. كان يدور حول شاب إنكليزي، اسمه أليك أو شيءٌ ما، كان يُقاتل في الحرب ثم يفقد ذاكرته في المستشفى وكل ذلك، ويخرج من المستشفى متكئاً على عصا ويعرج في كل مكان، في أرجاء لندن كلها، لا يعرف مَنْ يكون. في الحقيقة هو دوق، لكنه لا يعرف. ثم يُقابل فتاةً صادقة، أليفة ولطيفة وهي تستقل حافلة. فتطير قبعتها اللعينة ويُمسكها، ومن ثم يصعدان إلى الطابق العلوي ويجلسان ويبدآن بالتحدث عن تشارلز ديكنز، كاتبهما المفضَّل وما إلى ذلك. وهو يحمل نسخة من «*أوليفر تويست*» وكذلك هي. كان يمكن أنْ أتقيّأ. على أي حال، تربط بينهما علاقة حب في الحال، على أساس أنَّ كليهما مجنون بتشارلز ديكنز وكل ذلك، وهو يُساعدها في إدارة دار النشر التي تملكها. هي ناشرة، أي الفتاة. لكنَّ عملها لا يجري كما ينبغي، لأنَّ أخاها سكّير ويُبدِّد نقودها. وهو فتى ينطوي على مرارة شديدة، أي الأخ، لأنه كان طبيباً في الحرب والآن لم يعُد يستطيع أنْ يُجري أي عمليةٍ جراحيّة لأنَّ أعصابه تالفة، لذلك فهو يسكر طوال الوقت، لكنه شديد الذكاء وكل شيء. على أي حال، إنَّ العجوز أليك يؤلّفُ كتاباً، والفتاة تنشره له، وهما معاً يجنيان الكثير من النقود منه. ويوشكان أنْ يتزوجا، وإذا بالعجوز مارسيا تظهر. ومارسيا كانت خطيبة أليك قبل أنْ يفقد ذاكرته، وتلاحظه وهو في ذلك المحل يوقّع على كتبه. فتقول للعجوز أليك إنه دوق حقيقي وما إلى ذلك، لكنه لا يُصدّقها ولا يرغب في الذهاب معها ليزور أمه وكل ذلك. وأمه عمياء كخفّاش. لكنَّ الفتاة الأخرى، العزيزة، تدفعه إلى الذهاب. فهي شديدة النبل وكل شيء. فيذهب. لكنه مع ذلك لا يستعيد ذاكرته، حتى عندما يقفز كلبه غريت دين حوله وتتحسَّس أمه وجهه بأصابعها كلها وتجلب له دمية الدب التي كان يحبها عندما كان طفلاً صغيراً. ومن ثم، ذات يوم، بينما بعض الأولاد يلعبون الكريكيت على المرج

يتلقّى ضربة من كرة الكريكيت. وعلى الفور يستعيد ذاكرته ويذهب ليغمر جبين أمه بالقبلات وكل شيء. ثم يعود ليكون دوقاً كالمعتاد، وينسى كل شيء عن الفتاة الأليفة صاحبة دار النشر. كنتُ أودُّ أنْ أخبرك باقي القصة، لكني قد أتقيأ إنْ فعلت. وهذا لا يعني أني *سأُفسِد* الأمر عليك أو أي شيء. فليس هناك ما يمكن *إفساده*، وحق لله. على أي حال، ينتهي الأمر بزواج أليك من الفتاة الأليفة، والأخ الذي كان سكيراً يستعيد رباطة جأشه ويُجري لأم أليك عملية جراحية وتستعيد بصرها المفقود، ومن ثم يهيمُ الأخ السكّير ومارسيا كلٌ بحبّ الآخر. وينتهي الفيلم بجلوس الجميع حول مائدة العشاء يضحكون حتى الموت لأنَّ الكلب غريت دين يدخل عليهم مع عصبة من الجراء. وكان الجميع يعتقدون أنه ذَكَر، حسب ظنّي، أو شيئاً من هذا القبيل اللعين. إنَّ ما أستطيع أنْ أقوله هو إياك أنْ تشاهده إذا لم تكن لديك رغبة في التقيّؤ في كل أرجاء المكان.

الجزء الذي أثارني هو أنه كانت هناك سيدة تجلس إلى جواري ظلت تبكي طوال فترة عرض الفيلم اللعين. وكلما ازدادت الأحداث زيفاً اشتدَّ بكاؤها. قد تعتقد أنها فعلت ذلك لأنها صاحبة قلب عطوف كالجحيم، لكني كنتُ جالساً إلى جوارها، وأنا أقول إنها لم تكن كذلك. فقد كان برفقتها ذلك الطفل الصغير الذي أُصيبَ بضجرٍ قاتل وكان بحاجة إلى الذهاب إلى المرحاض، لكنها رفضت أنْ تصطحبه. وراحت تأمره بأنْ يتأدَّب. لقد كانت صاحبة قلب عطوف كأي ذئب لعين. إنَّ كل شخص يذرف دموعاً سخيّة سخيّة على أحداث زائفة في الأفلام السينمائية، سوف يتّضح بعد التدقيق أنه بنسبة تسع مرّات ضمن عشرة مجرد ابن حرام حقير في قلبه. أنا لا أمزح.

بعد انتهاء الفيلم، انطلقتُ سيراً على قدميّ إلى حانة ويكر، حيث كان من المفترض أنْ أقابلِ العجوز كارل لوس، وبينما أنا أمشي رحتُ أفكّر في الحرب وكل ذلك. إنَّ أفلام الحرب تلك دائماً تدفعني إلى ذلك. لا أعتقد أنَّ في استطاعتي أنْ أتحمل هذا إذا كنتُ مضطراً إلى الذهاب إلى الحرب. حقاً لا أستطيع. ولن يكون الأمر سيئاً جداً إذا أخرجوك وأطلقوا النار عليك أو ما شابه، ولكن عليك أنْ تمكث في صفوف *الجيش* مدة طويلة لعينة. هذه هي المشكلة برمّتها. وقد بقيَ أخي د.ب في الجيش على مدى سنوات

طويلة لعينة. واشتركَ في الحرب، أيضاً -ونزل إلى الشاطئ في يوم الهجوم الأكبر وكل شيء- ولكني أعتقد حقاً أنه كره الجيش أكثر من كرهه للحرب. في ذلك الوقت كنتُ لا أزال عملياً طفلاً، لكني أتذكّر عندما كان يعود إلى المنزل في الإجازة وكل ذلك، وكان كل ما يفعله أنْ يستلقي على السرير، حرفياً. كان نادراً ما يخرج إلى غرفة الجلوس. ولاحقاً، عندما رحل إلى ما وراء البحار واشترك في الحرب وكل شيء، لم يُصَبْ بأي جُرح أو أي شيء ولم يُضطر إلى قتل أحد. كل ما كان عليه أنْ يفعله هو أنْ ينقل أحد القادة الكاوبوي في أرجاء المكان في سيارة القيادة. وقد أخبرنا أنا وآلي ذات مرة أنّه لو اضطر إلى إطلاق النار لما عرِفَ في أي اتّجاه يُطلق النار. قال إنَّ الجيش كان مملوءاً بأولاد الحرام كما كان الحال في الجيش النازي. وأذكُر أنَّ آلي سأله ذات مرة أليس جيداً أنه اشترك في الحرب لأنه كان كاتباً وقد توفرت لديه بذلك مادة للكتابة وما إلى ذلك. وطلب من آلي أنْ يذهب ويُحضِر له قفّاز البيسبول ثم سأله مَنْ هو أفضل شاعر حرب، روبرت بروكس أم إميلي ديكنسن. فقال آلي إنها إميلي ديكنسن. أنا لا أعرف الكثير عن ذلك، لأني لا أقرأ الكثير من الشِعر، لكني أعلم أني سأصاب بالجنون إذا اضطررتُ إلى الالتحاق بالجيش والانضمام إلى عصبة من أمثال أكلي وسترادليتر والعجوز موريس طوال الوقت، أمشي معهم وكل شيء. لقد كنتُ كشّافاً ذات يوم، مدة أسبوع تقريباً، ولم أحتمل حتى النظر إلى قفا عنق الفتى الواقف أمامي. وكانوا دائماً يأمرونك بأن تنظر إلى قفا عنق الشخص الواقف أمامك. وأُقسِم على أنه إذا ما نشبت حربٌ، فإني سأفضِّل أنْ أقف أمام كتيبة الإعدام. لن أعترض. لكن ما أغضبني في د.ب هو أنه كره الحرب بشدّة، ومع ذلك دفعني إلى قراءة قصة «*وداعاً للسلاح*» في الصيف الفائت. قال إنها رائعة. وهذا ما لا أفهمه. فهي تحكي عن الملازم هنري الذي من المفترض أنه لطيف وكل شيء. لا أفهم كيف كره د.ب الجيش والحرب كل ذلك القدر ومع ذلك أحبَّ كتاباً زائفاً مثل ذاك. أعني أني لا أفهم، مثلاً، كيف أحبَّ كتاباً زائفاً مثله وأحبَّ أيضاً ذلك الكتاب الذي ألّفه رينغ لاردنر، أو ذلك الكتاب الآخر الذي يحبه حتى الجنون «*غاتسبي العظيم*». وثار غضب د.ب عندما قلت هذا، وقال إني أصغر سناً من أنْ أتذوّقه، ولكن لا أعتقد ذلك.

قلت له إني أحب رينغ لاردنر و«*غاتسبي العظيم*» وكل شيء. وهذا صحيح. لقد كنتُ مولعاً برواية «*غاتسبي العظيم*». غاتسبي العزيز. العزيز الحبيب. هذا أثار جنوني. على أي حال، أنا سعيد لأنهم اخترعوا القنبلة الذرية. وإذا نشبت حرب أخرى، فسوف أمشي في مقدّمتها اللعينة. سوف أتطوّع فيها، أُقسِمُ بالله سأفعل.

الفصل التاسع عشر

إذا كنتَ لا تقيم في نيويورك، فاعلمْ أنَّ حانة ويكر تقع في فندقٍ أنيق، فندق سيتون. كنتُ أتردَّد إلى هناك كثيراً، لكني لم أعد أفعل. انقطعتُ عنها تدريجياً. إنها أحد تلك الأماكن التي من المفترض أنْ تكون راقية جداً وما إلى ذلك، والمزيّفون يأتون في المقدّمة. وكان عندهم فتاتان فرنسيتان، تينا وجانين، تعزفان على البيانو وتغنيان حوالي ثلاث مرات كل ليلة. واحدة تعزف على البيانو -ورديئة إلى أقصى مدى- والأخرى تغني، وغالبية الأغاني إما شديدة الفحش أو بالفرنسية. التي تغني، العجوز جانين، كانت دائماً تهمس في فم المايكروفون اللعين قبل أنْ تغني. وتقول «والآن نودّ أنْ نقدِّم لكم نسختنا من أغنية «فولي فو فرانسي[1]»، وتحكي عن فتاة فرنسية صغيرة تأتي إلى مدينة كبيرة، تشبه نيويورك، وتقع في حب فتى صغير من بروكلن. نأمل أنْ تنال إعجابكم». ثم، بعد أنْ انتهت الفتاة من الهمس وإظهار ظرفها الشنيع، غنّت أغنية مبتذلة، بمزيجٍ من الإنكليزية والفرنسية، وجن جنون المزيّفين في المكان من فرط الاستمتاع. وإذا أطلتَ الجلوس هناك مدة كافية وسمعتَ كل المزيفين وهم يُهللون وكل ذلك، فلابد أنْ تكره كل إنسان في العالم، أُقسم أنكَ ستفعل. والساقي في البار كان رديئاً أيضاً. كان متعجرفاً ضخماً. لم يكن يُخاطبكَ قط إلا إذا كنتَ ذا شأن أو شخصية مشهورة أو ما شابه. فإذا كنتَ ذا شأن أو شخصية مشهورة أو ما شابه، يُصبح عندئذٍ أشد إثارة للاشمئزاز. سوف يقترب منك ويقول، مع تلك الابتسامة الواسعة والفاتنة، وكأنه شخص رائع، ويقول، «حسن، كيف حال

1- لفظتها «Vooly Voo Fransay».

كونكتيكَتْ؟» أو «كيف حال فلوريدا؟». لقد كان مكاناً فظيعاً، أنا لا أمزح. ثم انقطعتُ عن التردُّد عليه تماماً، بالتدريج.

كان الوقت لا يزال مُبكّراً عندما وصلتُ إلى هناك. جلستُ على البار -كان المكان مزدحماً جداً- وطلبتُ كأساً مزدوجة من الويسكي والصودا حتى قبل أنْ يظهر العزيز لوس. ونهضتُ واقفاً وأنا أطلب المشروب لكي يروا كم أنا طويل القامة وما إلى ذلك ولا يعتقدون أنني قاصر لعين. ثم راقبت المزيفين بعض الوقت. والشاب الجالس إلى جواري كان يُغرِق فتاته بالكلام المعسول. ظل يقول لها إنَّ لها يدين أرستقراطيتين. كم أزعجني هذا. والجانب الآخر من البار كان يعجُّ بالشاذّين. لم يكن يبدو عليهم الشذوذ كثيراً -أعني أنَّ شعرهم لم يكن طويلاً جداً أو أي شيء- ولكن كان يمكن أنْ تعرف أنهم شاذون في كل الأحوال. وأخيراً ظهر العزيز لوس.

العزيز لوس. يا له من شاب. كان من المفترض أنْ يكون مُستشاري كطالب ونحن في مدرسة ووتن. لكنَّ الشيء الوحيد الذي فعله هو إدارة أحاديث عن الجنس وما شابه، في ساعة متأخرة من الليل حين كان يجمع ثلة من الشبان في غرفته. كانت لديه معلومات كثيرة عن الجنس، خاصة عن المنحرفين وما شابه. وكان دائماً يحكي لنا عن الكثير من الأشخاص المُخيفين الذين يُقيمون علاقات جنسية مع الخراف، وأشخاص يتجولون وهم يعتمرون قبعات مُبطّنة بملابس الفتيات الداخلية وكل ذلك، عن الشاذين والسحاقيات. كان العزيز لوس يعرف كل شاذ وسحاقية في الولايات المتحدة. كل ما عليك أنْ تفعله هو أنْ تذكر أمامه اسم شخص -*أي شخص*- ليُخبرك العزيز لوس إنْ كان شاذاً أم لا. أحياناً كان من الصعب تصديق أنَّ الناس الذين قال إنهم شاذون وسحاقيات وكل ذلك، هم من مُمثّلي السينما وما شابه. وبعض الذين قال إنهم شاذون كانوا حتى متزوجين، وحق الله. وترى نفسك تقول له «تعني أنَّ جو بلو شاذ؟» جو *بلو*؟ ذلك الرجل الخشن، الضخم، الذي يلعب أدوار رجال العصابات ورعاة البقر طوال الوقت؟ فيقول العزيز لوس، «حتماً». كان دائماً يقول «حتماً». وقال إنه لا يهم إنْ كان المرء متزوجاً أم لا. وقال إنَّ نصف المتزوجين في العالم شاذون ولا يعرفون ذلك. قال إنه يمكن للرجل أن يُصبح شاذاً بين ليلة

وضحاها، إذا كان يحمل السمات اللازمة. كان يُخيفنا. وانتظرتُ أنْ أتحوّل إلى شاذ أو ما شابه. والغريب في العزيز لوس أني كنتُ أعتقد أنه هو نفسه شاذ، بصورة ما. كان دائماً يقول «استخدموا هذا لزيادة حجمه»، ثم يتحرَّش بك كثيراً أثناء سيرك على طول الرواق. وكلما لجأ إلى المرحاض كان دائماً يترك الباب اللعين مفتوحاً *ويتحدث* معك بينما أنت تنظف أسنانك. هذا التصرُّف هو نوع من الشذوذ. هو كذلك فعلاً. وقد تعرّفتُ على عدد من الشواذ الحقيقيين، في المدرسة وكل شيء، وكانوا دائماً يفعلون أشياء كهذه، ولهذا السبب كانت لديّ دائماً شكوكي حول لوس العجوز. لكنّه كان ذكياً جداً. كان كذلك حقاً.

لم يكن يقول مرحباً أو أي شيء عندما يقابلك. وأول ما يقوله بعد أنْ يجلس هو أنه لا يستطيع أنْ يمكث أكثر من دقيقتين. يقول إنَّ لديه موعداً. ثم يطلب مارتيني صِرفاً. ويطلب من الساقي أن يجعل الشراب مرّاً قويّاً، وبلا زيتون.

قلت له «هيه، أحضرتُ لك شخصاً شاذاً. إنه في آخر البار. لا تنظر إليه الآن. احتفظتُ به لك»

قال «ظريف جداً. لم تتغيَّر يا كولفيلد. متى ستنضج؟»

كنتُ أثير ضجره كثيراً. حقاً. لكنه كان يُسلّيني. كان أحد أولئك الذين يُسلونني كثيراً.

سألته «كيف حال حياتك الجنسية؟». وكان يكره كل مَنْ يسأله مثل هذه الأسئلة.

قال «اهدأ. استرخِ واهدأ، حباً بالمسيح»

قلت «أنا هادئ. كيف حال جامعة كولومبيا؟ أتحبها؟»

قال «طبعاً أحبها. لو لم أكن أحبها لما التحقتُ بها». هو نفسه يمكن أنْ يُصبح أحياناً مملاً جداً.

سألته «ما هو تخصّصك فيها؟ المنحرفون؟». كنتُ فقط أعبث.

«ماذا تحاول أنْ تكون – ظريفاً؟»

قلت «كلا. أنا فقط أمزح. اسمع، هيه، لوس. أنت أحد الأذكياء. وأنا بحاجة إلى نصيحتك. أنا في حالة رهيبة من –»

وزمجر بقوة في وجهي «اسمع، كولفيلد. إذا أردتَ أنْ تجلس هنا وتتناول مشروباً هادئاً، ومُسالماً وتشارك في حديث هادئ ومُسالِم –»

قلت «حسنٌ، حسنٌ. اهدأ». كان واضحاً أنه لم تكن لديه رغبة في مناقشة أي موضوع جادّ معي. هذه هي مشكلة المفكرين. إنهم لا يريدون أنْ يُناقشوا أي شيء جادّ إلا إذا رغبوا هم في ذلك. لهذا السبب كل ما فعلته هو أني باشــــرت في مناقشـــة مواضيع عامة معه. سألته «بلا مُزاح، كيف هي حياتك الجنســـية؟ أما زلت تعاشــــر الفتـــاة نفسها التي عرفتها في مدرسة ووتن؟ ذات الـ –»

قال «يا إلهي، كلا»

«كيف ذاك؟ ماذا حدث لها؟»

«ليس لديّ *أدنى* فكرة. ولا يهمني، ما دمتَ قد سألت، لعلها أضحت الآن عاهرة نيو هامبشر»

«هذا ليس كلاماً لطيفاً. إذا كانت محترمة إلى درجة أنْ تدعكَ تمارس جنسك معها، فعلى الأقلّ ينبغي ألا تتحدث عنها هكذا»

قال العزيز لوس «أوه، يا إلهي! هل سيتحول هذا الحديث إلى حديث كولفيلد النموذجي؟ أريد أنْ أعرف الآن»

قلت «كلا، ولكن هذا ليس لطيفاً. إذا كانت محترمة بما يكفي لتتركك –»

«*أ*يجب أنْ نسير في هذا الاتجاه الفظيع من التفكير؟»

لم أقُل أي شيء. خشيتُ أنْ ينهض ويُغادر ويتركني إذا لم أسكت. لذلك كل ما فعلته هو أني طلبتُ مشروباً آخر. شعرتُ برغبة في بلوغ حالة السُكر المُفرط.

سألته «مع مَنْ تخرج هذه الأيام؟ ألا ترغب في إخباري؟»

«لا أحد تعرفه»

«نعم، ولكن مَنْ؟ لعلّي أعرفها؟»

«فتاة تعيش في القرية. نحّاتة. إذا أردتَ أنْ تعرف»

«أحقاً؟ أتمزح؟ كم عمرها؟»

«لم أسألها، كفى إكراماً لله»

«يعني، كم تقريباً؟»

قال العزيز لوس «أتصوَّر أنها في نهاية الثلاثينات»

سألته «في نهاية *ثلاثينات* عمرها؟ أحقاً؟ وتعجبك؟ أتحبّهن وهن في مثل هذه السن؟». كان سبب طرح أسئلتي تلك يعود إلى معرفته الواسعة بأمور الجنس وما إلى ذلك. كان أحد القلائل الذين أعرفهم في هذا المجال. وفَقَدَ عُذريّته ولم يتجاوز الرابعة عشرة من العمر، في نانتكت. فعلَ حقاً.

«أنا أحب الناضجات، إنْ كان هذا ما تعنيه. حتماً»

«أحقاً؟ لماذا؟ بلا مزاح، أهنّ أفضل في أمور الجنس وكل ذلك؟»

«اسمع. دعنا نوضّح شيئاً واحداً. أنا أرفض أنْ أُجيب عن أية أسئلة على طريقة كولفيلد النمطيّة هذه الليلة. متى بحق *الجحيم* تنوي أنْ تنضج؟»

لم أقُلْ أيّ شيء بعض الوقت. تركتُ كلامه من دون ردّ قليلاً. ثم طلب العزيز لوس كأس مارتيني آخر وأمر الساقي أنْ يجعله صِرفاً أكثر.

«اسمع. منذ متى وأنتَ ترافقها، تلك الفتاة النحّاتة؟». كنتُ مُهتماً بالأمر حقاً. «هل عرفتها عندما كنتَ في مدرسة ووتن؟»

«*أبداً*. لقد وصلتُ إلى هذا البلد قبل بضعة أشهر فقط»

«أحقاً؟ من أين هي؟»

«تصادفَ أنْ كانت من شانغهاي»

«بلا مزاح! صينيّة، حقاً؟»

«طبعاً»

«بلا مزاح! أتحب ذلك؟ أي كونها صينية؟»

«طبعاً»

«لماذا؟ يهمّني أنْ أعرف – حقاً»

«ببساطة لقد وجدتُ الفلسفة الشرقية أكثر إشباعاً من الفلسفة الغربية. ما دُمتَ *تسأل*»

«أحقاً؟ ماذا تعني بـ «فلسفة»؟ تعني الجنس وما إلى ذلك؟ تعني أنه أفضل في الصين؟ أهذا ما تعني؟»

«ليس بالضرورة في *الصين*، إكراماً لله. أنا قلت، *الشرق*. أيجب أنْ نواصل هذا الحديث التافه؟»

قلت «اسمع، أنا جادّ. بلا مزاح. لماذا الأمر أفضل في الشرق؟»

قال العزيز لوس «إنه موضوع شديد التعقيد، إكراماً لله. إنهم يعتبرون الجنس تجربة جسدية وروحيّة. وإذا ظننتَ أني-»

«وكذلك أنا! أنا أيضاً أعتبره كما سمّيته - تجربة جسدية وروحيّة وكل ذلك. حقاً. لكنَّ الأمر يعتمد على مَنْ أفعل ذلك معه. إذا كنتُ أفعله مع شخص لا -»

«لا ترفع صوتك، حباً بالله، كولفيلد. إذا كنتَ لا تستطيع أنْ تُخفِض صوتك، فلنغلق الموضوع كله -»

قلت «حسن، ولكن اسمع»، لقد تصاعد حماسي، وكنتُ فعلاً أتكلّم بصوتٍ مرتفع قليلاً. أحياناً يعلو صوتي قليلاً عندما يزداد حماسي. قلت «هذا ما أعني. أعلمُ أنه من المفترَض أنْ يكون جسدياً وروحياً، وفنياً وكل شيء. ولكن ما أعني هو أنكَ لا يمكن أنْ تفعله مع *اي شخص* -أي فتاة تعانقها وما إلى ذلك- وتمارسه بتلك الطريقة. أليس كذلك؟»

قال العزيز لوس «فلنُقفل الموضوع، ممكن؟»

«لا بأس، ولكن اسمع. أنت وهذه الفتاة الصينية. ما الذي يُميِّز علاقتكما؟»

«قلتُ لك *انتهينا*»

كنتُ أجعل الموضوع شخصياً باطراد. أُدركُ ذلك. ولكن هذا أحد الأشياء المزعجة في لوس. وعندما كنا في ووتن كان يقدّم لك وصفاً لأشدّ أمورك خصوصيّة، ولكن ما إنْ تبدأ بطرح أسئلة عنه **هو** حتى يثور غضبه. هؤلاء المفكّرون لا يحبون أنْ يخوضوا في أحاديث فكرية معك إلا إذا كان زمام الحديث كله في أيديهم. إنهم دائماً يُريدون منك أنْ تسكت عندما يسكتون هم، وتعود إلى غرفتك عندما يعودون هم إلى غرفهم. وعندما كنتُ في ووتن كان العزيز لوس يكره -بكل بوضوح- أنْ نجتمع معاً ، بعد أنْ

يفرَغ من حديث حول الجنس أمام حفنة منا في غرفته، ونُثرثر فيما بيننا بعض الوقت. أعني باقي الشبان وأنا. في غرفة شخص آخر. كان العزيز لوس يكره ذلك. كان دائماً يريد أنْ يعود كلٌ إلى غرفته الخاصة وأنْ يسكت بعد أنْ ينتهي هو من لعب دور الشخصية الهامة. وما كان يخشاه هو أنْ يقول أحدهم شيئاً ينمُّ عن ذكاء يفوق *ذكاءه*. لقد كان حقاً يُسليني.

قلت «قد أذهب إلى الصين. إنَّ حياتي الجنسية بائسة»

«طبعاً. لأنَّ عقلك غير ناضج»

قلت «هذا صحيح. صحيح حقاً. أعلمُ هذا. أتعرف ما مشكلتي؟ هي أنَّ شهيتي الجنسية لا تتفتَّح حقاً -أعني *حقاً* تتفتَّح- مع فتاة لا تعجبني كثيراً. أعني يجب أنْ *تعجبني* كثيراً. وإذا لم يحصل، أفقد رغبتي اللعينة فيها وكل شيء. يا إلهي، إنَّ هذا يُفسِد حياتي الجنسية بشكل فظيع. إنَّ حياتي الجنسية بائسة»

«طبعاً بائسة، بلا شك. لقد قلت لكَ في آخر مرة رأيتك فيها ماذا يلزمك»

قلت «تعني أنْ ألجأ إلى مُحلل نفسي وكل ذلك؟». هذا ما كان قد نصحني بفعله. فقد كان والده مُحللاً نفسياً وكل شيء.

«الأمر راجع إليك، طبعاً. ليس من شأني اللعين ما تفعله بحياتك»

صمتُّ قليلاً. كنتُ أفكّر.

قلت «لنفرض أني ذهبتُ إلى والدك وتركته يُحللني نفسياً وما إلى ذلك، فماذا سيفعل لي؟ أعني ماذا سيفعل لي حقاً؟»

«لن يفعل لك أي شيء لعين. سوف يتحدث معك ببساطة، وأنت ستتحدث معه، لا أكثر. لسبب واحد هو مُساعدتكَ على التعرُّف على خريطة تفكيرك»

«على ماذا؟»

«على خريطة تفكيرك. التي يسير عقلك وفقها – اسمع. أنا لا أعطيك دورة ابتدائية في التحليل النفسي. إذا كان هذا يهمّك، اتّصل به وحدِّد موعداً. وإلا، فلا تفعل. الأمر لا يهمني، بصراحة»

وضعتُ يدي على كتفه. يا إلهي، كم أمتعني. قلت له «أنت ابن حرام ودود حقاً. أتعلم هذا؟»

نظر في ساعة يده. قال «يجب أنْ أذهب»، ونهضَ واقفاً، «سرّتني رؤيتك»، وذهب إلى الساقي وأمره أنْ يُحضر له الفاتورة.

قلت، قُبيل رحيله، «هيه، هل سبق لوالدكَ أنْ حلَّلكَ نفسياً؟»

«أنا؟ لِمَ تسأل؟»

«بلا سبب. ولكن، هل فعل؟ أفعل؟»

«ليس بالضبط. لقد ساعدني على *التكيُّف* إلى درجة معيَّنة، ولكن لم أكنْ في حاجة إلى تحليل شامل. لمَ تسأل؟»

«بلا سبب. كنتُ فقط أتساءل»

قال «حسن. هوِّنْ عليك». كان يترك إكراميته وما إلى ذلك ويهمّ بالرحيل.

قلت له «اشرب كأساً أخرى فقط. أرجوك. أشعر بوحدة لا تُطاق. بلا مزاح»

لكنه قال إنه لا يستطيع أنْ يفعل. قال إنّه قد تأخّر، ثم غادر.

يا للعجوز لوس. لقد كان مزعجاً بكل معنى الكلمة، ولكنَّ مفرداته اللغوية جيدة. كان لديه أكبر مخزون من المفردات في مدرسة ووتن ونحن هناك. لقد أجروا لنا اختباراً.

الفصل العشرون

بقيتُ جالساً هناك أسكر وأنتظر مجيء العجوزين تينا وجانين لتقوما بواجبهما، لكنهما لم تكونا موجودتين. وظهر شاب يبدو عليه الشذوذ بشعرٍ متموِّج وأخذ يعزف على البيانو، ثم ظهرت تلك الفتاة الجميلة الجديدة، فالينسيا، وغنَّتْ. لم تكن جيدة على الإطلاق، لكنها كانت أفضل من العجوزين تينا وجانين، وعلى الأقلّ غنَّت أغنيات جيدة. وكانت آلة البيانو بجوار البار حيث جلست وكل شيء، ووقفتْ العجوز فالينسيا واقفة بالضبط إلى يميني، فرحتُ أرمقها، لكنّها تظاهرت بأنها حتى لا تراني. وربما ما كنتُ فعلتُ ذلك، لولا أني بدأتُ أُبالغ في السُكر. وبعد أنْ انتهتْ، خرجَتْ من المكان بسرعةٍ كبيرة حتى إنه لم تُتح لي الفرصة لأدعوها للانضمام إليّ لشرب كأس، فاستدعيتُ النادل الأكبر. أمرته أنْ يسأل العجوز فالينسيا إنْ كانتْ ترغب في الانضمام إليّ لشرب كأس. قال إنه سيفعل، ولكن لعله لم يوصِل إليها رسالتي. الناس لا يوصلون رسائلك إلى أي شخص.

يا إلهي، لقد جلستُ على ذلك البار اللعين حتى الساعة الواحدة أو نحوها، أسكر كابن حرام. كنتُ بالكاد أرى أمامي. لكنَّ الشيء الوحيد الذي فعلته هو أني كنتُ شديد الحرص على ألا أغدو صاخباً أو أي شيء. لم أرغب في أنْ يُلاحظ أحد وجودي أو أي شيء أو أنْ يسألني عن عمري. ولكن، يا إلهي، لم أكد أستطيع أنْ أرى أمامي. وعندما أصبحتُ *حقاً* سكران، ومن جديد بدأتُ ذلك التفكير الأحمق في تلك الرصاصة التي في أحشائي. كنتُ الوحيد على البار الذي يحمل رصاصة في أحشائه. بقيتُ واضعاً يدي تحت سترتي، على بطني وكل شيء، لكي أمنع الدم من النزف في كل أرجاء المكان. لم أرِدْ لأي شخص أنْ يعرف حتى أني أحمل جرحاً. كنتُ أُخفي

حقيقة أني ابن حرام جريح. وأخيراً ما رغبتُ في فعله هو أنْ أتصل بالعجوز جين لأرى إنْ كانت قد وصلت إلى المنزل. فدفعت قيمة الفاتورة وكل شيء. ثم غادرتُ البار وخرجتُ إلى حيث جهاز الهاتف. أبقيتُ يدي تحت سترتي لأمنع الدم من النزف على الأرض. يا إلهي، كم كنتُ سكران.

ولكن عندما ولجت حجيرة الهاتف، لم أعد في المزاج المناسب للاتصال بجين. أعتقد أني كنتُ شديد السُكر. فماذا فعلتُ، اتصلتُ العزيزة سالي.

كان عليّ أنْ أدير حوالي عشرين رقماً قبل أنْ أحصل على الرقم الصحيح. يا إلهي، كم كنتُ أعمى.

عندما أجابَ أحدهم على الهاتف قلتُ، بشبه صُراخ، «ألو»، لأنني كنتُ شديد السُكر.

قال صوت سيدة، شديد البرودة، «مَن المتكلِّم؟»

«هذا أنا. هولدن كولفيلد. دعيني أكلِّم سالي، من فضلك»

«سالي *نائمة*. أنا جدَّة سالي. لماذا تتصل في مثل هذا الوقت، يا هولدن؟ أتعرف كم الساعة الآن؟»

«نعم. أريد أنْ أكلِّم سالي. الأمر هامّ. صِليني بها»

«سالي *نائمة*، أيها الشاب. اتصل بها غداً. تصبح على خير»

«أيقظيها! أيقظيها، هيه. لا بأس»

ثم سمعَ صوت مختلف. كان صوت العزيزة سالي «هولدن، هذه أنا. ما هو الأمر الهامّ؟»

«سالي؟ أهذه أنت؟»

«نعم – كُفّ عن الصراخ. أأنتَ سكران؟»

«نعم. اسمعي، اسمعي، هيه. سأزورك في ليلة عيد الميلاد. أوكيه؟ لكي أزيّن شجرة الميلاد لأجلك. أوكيه؟ أوكيه، هيه، سالي؟»

«نعم. أنت سكران. اذهب إلى النوم الآن. أين أنت؟ مَنْ معك؟»

«سالي؟ سوف آتي لكي أزيّن لك شجرة الميلاد، أوكيه؟ أوكيه، هيه؟»

«نعم. اذهب إلى النوم الآن. أين أنت؟ مَنْ معك؟»

«لا أحد. أنا وحدي». يا إلهي، كم كنتُ سكران! وكنتُ لا أزال أمسك ببطني. «لقد نالوا مني. رعاع روكي نالوا مني. أتعلمين هذا؟ سالي، أتعلمين هذا؟»

«لا أستطيع سـماعك. اذهب إلى النوم الآن. يجب أنْ أذهب. اتصل بي غداً»

«هيه، سالي! ألا تريدين مني أنْ أزيِّن لك شجرتك؟ ألا تريدين؟ هاه؟»

«نعم. تصبح على خير. اذهب إلى البيت ونمْ»

ووضعت السماعة.

قلت «تصبحين على خير. تصبحين على خير. حبيبتي سالي. سالي العزيزة والحبيبة». أتستطيع أنْ تتخيَّل كم كنت سكران؟ عندئذٍ وضعتُ السماعة أنا أيضاً. تصوّرتُ أنها ربما عادت تواً إلى المنزل من موعد. وتخيّلتها خارجة برفقة آل لنت وكل ذلك إلى مكان ما، وذلك الأحمق أندوفر. وكلهم يسبحون في إبريق لعين من الشاي ويتبادلون كلاماً معقّداً ويتصرفون بشكل ساحر وزائف. وتمنّيت لو أني لم أتصل بها. إنني عندما أسكر، أصبحُ مجنوناً.

مكثتُ في حجيرة الهاتف اللعينة فترة طويلة من الوقت، مُتشبثاً بسمّاعة الهاتف، بصورة ما، لكي لا يُغمى عليّ. لم أكن أشعر أني على أحسن ما يُرام، والحقيقة تُقال. ولكن أخيراً، خرجتُ وذهبتُ إلى المرحاض، مترنّحاً كأبله، وملأتُ أحد أحواض المغاسل بالماء البارد. ثم غمستُ رأسي فيه، حتى الأذنين. ولم أزعج نفسي حتى بتجفيفه أو أي شيء، وتركت ابن الحرام يقطر. ثم مشيتُ إلى ذلك المِشعاع الموجود بجوار النافذة وجلستُ عليه. كان شعوراً ممتعاً ودافئاً ومريحاً لأني كنتُ أرتعشُ كابن حرام. والغريب أني دائماً أرتعش بشدّة عندما أسكر.

لم يكن أمامي شيء آخر أفعله، لذلك بقيتُ جالساً على المِشعاع أعدُّ تلك المربعات الصغيرة البيضاء على الأرضية. كنتُ منقوعاً، ومقدار حوالي غالون من الماء يقطر على أسفل عنقي، ويُبلِّل ياقتي وربطة عنقي وكل شيء حولي، ولكني لم آبه. لم آبه لأنني كنتُ شديد السُكر. ثم، سرعان ما دخل

الرجل الذي عزف على البيانو لأجل فالينسيا، ذو الشعر المُجعّد، والمظهر الشاذ، لكي يمشّط خصلات شعره الذهبية. واندمجنا في حديث أثناء تمشيط شعره، لكني لم أكن شديد الودّ معه.

سألته «هيه. هل ستقابل الجميلة فالينسيا عندما تعود إلى البار؟»

قال «غالباً». ابن حرام ذكي. إنَّ كل الذين أقابلهم هم أبناء حرام أذكياء.

«اسمع. أبلغها تحياتي. اسألها إنْ كان ذلك النادل اللعين أعطاها رسالتي، ممكن؟»

«لِمَ لا تذهب إلى المنزل، يا صاح؟ بالمناسبة، كم عمرك؟»

«ست وثمانون. اسمع. أبلغها تحياتي. أوكيه؟»

«لِمَ لا تذهب إلى المنزل، يا صاح؟»

قلت له «لن أذهب. يا إلهي أنتَ تُحسِن العزف على ذلك البيانو اللعين». كنتُ فقط أمدحه. لقد كان عزفه رديئاً، إذا أردتَ الحقيقة. قلت «يجب أنْ تعزف للإذاعة. أنت شاب وسيم، مع كل تلك الخصلات الذهبية اللعينة. هل تحتاج إلى مدير أعمال؟»

«اذهب إلى البيت، يا صاح، وكن ولداً طيباً. اذهب إلى البيت ونَمْ»

«ليس لدي بيت أذهب إليه. بلا مزاح – هل تحتاج إلى مدير أعمال؟»

لم يُجبني. اكتفى بالخروج. كان منهمكاً بتمشيط شعره وترتيبه وكل ذلك، لذلك غادر، كما يفعل سترادليتر. إنَّ كل أولئك الوسيمين متشابهون. بعد أنْ ينتهوا من تمشيط شعرهم اللعين، يتركونني ويرحلون.

عندما نزلت أخيراً عن المِشعاع وخرجتُ إلى غرفة القبعات، كنتُ أبكي وكل شيء. لا أدري السبب، لكني بكيت. أعتقد أنه بسبب شعوري بالإحباط والوحدة. ثم، عندما ذهبتُ إلى غرفة الإيداع. لم أعثر على بطاقتي اللعينة. لكنَّ الفتاة المسؤولة عن الغرفة كانت لطيفة. وأعطتني معطفي في كل الأحوال. وأسطوانة «الصغيرة شيرلي بينز» -كنتُ لا أزال أحتفظ بها وكل شيء. أعطيتها دولاراً لأنها كانت شديدة اللطف، لكنها رفضت أنْ تأخذه. وظلت تقول لي أنْ أذهب إلى المنزل وأنام. وحاولت أنْ آخذ منها موعداً

بعد الانتهاء من العمل، لكنها رفضت. قالتْ إنها كبيرة كفاية بحيث تصلح أنْ تكون والدتي وكل ذلك. فأريتُها شعري الأشيبَ اللعين وقلت لها إنني في الثانية والأربعين– كنتُ فقط أعبث، طبعاً. لكنها كانت لطيفة. وأريتها قبعة الصيد الحمراء اللعينة، فأعجبتها. وجعلتني أعتمرها قبل أنْ أغادر، لأنَّ شعري كان لا يزال رطباً جداً. كانت طيبة.

عندما خرجت لم أعُد أشعر بأني سكران كثيراً، لكنّ الجو عاد إلى برودته الشديدة، وبدأتْ أسناني تصطك كالجحيم. لم أتمكن من التحكُّم فيها. مشيتُ حتى جادة ماديسون وبدأتُ أنتظر وصول حافلة لأنه لم يعد معي ما يكفي من النقود وكان لابد لي من أنْ أبدأ بالاقتصاد على حساب سيارات الأجرة وما إلى ذلك. لكنني لم أرغب في ركوب الحافلة اللعينة. إلى جانب أني لم أكن أعلم إلى أين من المفترض أنْ أذهب. فماذا فعلت، انطلقتُ أمشي قاصداً الحديقة العامة. فكّرت في أنْ أمرّ بجوار تلك البحيرة الصغيرة وأرى ما الذي يفعله البط بحق الجحيم، لأرى إنْ كان لا يزال هناك أم لا. كنتُ لا أزال أجهل إنْ كان هناك أم لا. لم تكن المسافة حتى الحديقة العامة طويلة، ولم يكن لديّ مكان معيَّن ألجأ إليه –بل لم أكن أعلم بعد أين سأنام– لذلك ذهبت. لم أكن مُتعباً أو أي شيء. شعرتُ فقط بكآبة شديدة.

ثم حدث شيء رهيب حالما دخلتُ الحديقة العامة. أسقطتُ أسطوانة العزيزة فيبي. فانكسرتْ إلى حوالي خمسين قطعة. كانت داخل مغلّف كبير وكل شيء، لكنها مع ذلك انكسرتْ. وكدتُ أبكي، لقد جعلني ذلك أشعر بانزعاجٍ شديد، ولكن كل ما فعلته هو أني أخرجتُ القطع من المُغلّف ووضعتها في جيب معطفي. لم تعُد تنفع في أي شيء، لكنني لم أرغب في رميها. ثم دخلتُ الحديقة العامة. يا إلهي، كان الظلام حالكاً.

لقد عشتُ في نيويورك طوال حياتي، وأعرف السنترال بارك كظاهر يدي لأنني كنتُ أتزحلق هناك طوال الوقت وأمتطي دراجتي وأنا صغير، لكنني واجهتُ صعوبةً جمّة في العثور على البركة في تلك الليلة. كنتُ أعرف جيداً أين تقع –إنها بالقرب من سنترال بارك إلى الجنوب وكل شيء– ومع ذلك لم أعثر عليها. يبدو أني كنتُ أشدّ سُكراً مما اعتقدتُ. ورحتُ أمشي وأمشي، والظلام يزداد حلكة ويُصبحُ مُخيفاً باطّراد. لم أرَ شخصاً واحداً

طوال فترة مكوثي في الحديقة. وكان ذلك مصدر سروري. كان يمكن أنْ أقفز مسافة ميل لو شئت. وأخيراً، وجدتُ البركة. وماذا كانت، كانت متجمّدة جزئياً وجزئياً ليست كذلك. لكنني لم أر بطاً في أي مكان. رحتُ أتجول حول البحيرة اللعينة بأكملها -وعند نقطة ما كدتُ أقع، في الواقع- لكنني لم أر بطة واحدة. وفكّرتُ في أنّه ربما إنْ كان هناك عدد منه، فلعله نائم أو ما شابه بالقرب من حافة الماء، بالقرب من العشب وكل ذلك. هكذا كدتُ أقع. لكني لم أجد أياً منه.

أخيراً، جلستُ على أحد المقاعد، حيث الظلام لعين. يا إلهي، كنتُ لا أزال أرتعش بشدّة، وعلى الرغم من أنّي كنتُ أعتمر قبعتي، فإنّ شعري من الخلف كان يعجُّ بكتل صغيرة من الثلج. وهذا أقلقني. واعتقدتُ أني ربما أُصاب بذات الرئة وأموت. وبدأتُ أتخيَّل ملايين البلهاء يمشون في جنازتي وكل ذلك. جدي من ديترويت الذي لا يكفّ عن الهتاف بأرقام الشوارع ونحن نستقل حافلة لعينة، وعمّاتي -لديّ ما يُقارب الخمسين عمّة- وأقربائي القذرين كلهم. سيشكّلون حشداً من الرعاع. كلهم حضروا عندما توفي آلي، الجماعة الحمقاء اللعينة كلها. ولديّ عمّة حمقاء كريهة الأنفاس لم تتوقف عن قول كم يبدو *هادئاً* وهو مستلقٍ هناك، كما أخبرني د.ب. فأنا لم أكن موجوداً هناك. كنتُ لا أزال في المستشفى. فقد اضطررتُ إلى الذهاب إلى المستشفى وكل ذلك بعد أنْ تأذّتْ يدي. على أي حال، بقيتُ قلقاً من أنْ أُصاب بذات الرئة، بسبب وجود تلك الكتل من الثلج في شعري، ومن أنْ أموت. وشعرتُ بالأسى على أمي وأبي. خاصةً أمي، لأنها لم تكن قد تغلّبت على حزنها على أخي آلي بعد. وبقيتُ أتخيّلها لا تعرفُ ماذا تفعل بملابسي كلها ومعدّاتي الرياضية وكل ذلك. الشيء الجيد الوحيد هو أني كنتُ أعلم أنها لن تسمح للعزيزة فيبي بحضور جنازتي اللعينة لأنها مجرد طفلة صغيرة. هذا هو الجزء الجيد الوحيد. ثم فكّرتُ في العصابة كلها وهي تدفنني في المقبرة اللعينة وكل ذلك، واسمي منقوش على الشاهد وكل هذا. يُحيط بي الموتى. يا إلهي، عندما تموت، فإنهم حقاً يُعدّونك بشكلٍ لائق. أتمنى من كل قلبي عندما أموت فعلاً أنْ يقوم شخصٌ ما يتمتع بقدرٍ كافٍ من الحسّ السليم بإغراقي في النهر أو أي شيء. أي شيء ما عدا إقحامي في

المقبرة اللعينة. ثم يأتي الناس ويضعون حزمة من الأزهار على بطني في أيام الأحد، وكل ذلك الخراء. مَنْ يُريد أزهاراً بعد أنْ يموت؟ لا أحد.

عندما يكون الجو صحواً، يُكثِر والداي في الخروج من أجل أنْ يضعا حزمة من الأزهار على قبر العزيز آلي. وقد رافقتهما عدداً من المرات، لكني لم أعد أفعل. أولاً، لأنني حتماً لا أستمتع برؤيته في تلك المقبرة المُثيرة للجنون؛ مُحاطاً بالموتى وشواهد القبور وكل شيء. لم يكن الوضع سيئاً عندما تسطع الشمس، ولكن مرتين -*مرتين*- أمطرت الدنيا ونحن هناك. كان شيئاً بغيضاً. لقد أمطرتْ على شاهد قبره القذر، وأمطرت على العشب النامي على بطنه. أمطرتْ في كل مكان. وبدأ الزائرون الذين يزورون المقبرة يتراكضون مُهرولين ليلتجئوا إلى سياراتهم. وهذا ما كان يُثير جنوني. كل الزائرين كان في استطاعتهم أنْ يلجؤوا إلى سياراتهم ويديروا أجهزة الراديو وكل شيء ومن ثم يذهبون إلى مكانٍ ما لطيف ويتناولون طعام العشاء - كلهم ما عدا آلي. لم أستطع أنْ أحتمل ذلك. أعلمُ أنَّ ما تحتويه المقبرة هو مجرد جثّة وكل شيء، وأنَّ روحه هي في السماء وكل ذلك الخراء، ولكن مع ذلك لم أستطع أنْ أتحمل الأمر. لقد تمنيتُ فقط لو أنه لم يكن موجوداً هناك. أنتَ لم تعرفه. لو أنكَ عرفته، لأدركتَ ما أعني. لا يكون الوضع سيئاً جداً عندما تسطع الشمس، لكنَّ الشمس لا تسطع إلا عندما ترغبُ في ذلك.

بعد قليل، ولكي أُبعِد ذهني في التفكير في إصابتي بذات الرئة وكل ذلك، أخرجتُ نقودي وحاولتُ أنْ أحصيها تحت الضوء الخافت المنبعث من مصباح الشارع. كل ما تبقّى معي كان ثلاثة دولارات وخمسة أرباع ونكلة - يا إلهي، لقد أنفقتُ ثروةً منذ أنْ غادرت بنسي. فماذا فعلتُ، اقتربتُ من البركة وأطحتُ بالأرباع والنكلة إليها، حيث الجزء المتجمّد. لا أعلم لماذا فعلتُ ذلك، لكني فعلته. أعتقد أني ظننتُ أنَّ ذلك سيُبعِدُ ذهني عن التفكير في ذات الرئة وفي الموت. لكنه لم يفعل.

رحتُ أفكّر في شعور العزيزة فيبي عندما أُصاب بذات الرئة وأموت. كان تفكيراً صبيانياً، لكني لم أتمكن من منع نفسي. سوف تضطرب بقوة إذا ما وقع لي أمرٌ كهذا. إنها تحبني كثيراً. أعني أنها شديدة الولع بي. هي كذلك فعلاً. على أي حال، لم أتمكن من طرح ذلك التفكير من رأسي،

لذلك ماذا خطرَ لي أنْ أفعل أخيراً، خطرَ لي أنّه من الأفضل أنْ أتسلَّل إلى المنزل خلسة وأقابلها، في حال متُّ وكل شيء. كان مفتاح المنزل معي وكل شيء، وتصوّرتُ ماذا سأفعل، سوف أتسلّل خلسة إلى الشقة، بهدوءٍ تامّ وكل شيء، وأتكلّم معها قليلاً. الشيء الوحيد الذي أقلقني هو باب بيتنا الأمامي، إذْ كان يصدر صريرًا ابن حرام. هي شقّة قديمة، والمشرف على البناية ابن حرام كسول، وكلّ شيءٍ يصرّ ويصرصر. لكنني قرّرتُ أنْ أقوم بالمحاولة في كل الأحوال.

وهكذا خرجت من الحديقة العامة، وتوجّهتُ إلى المنزل. مشيتُ المسافة كلها. لم تكن طويلة جداً، ولم أكنْ مُتعباً أو حتى سكران. كل ما في الأمر أنَّ الجو كان شديد البرودة ولا ترى أحداً في أي مكان.

الفصل الواحد والعشرون

كانت أفضل عملية اقتحام قمت بها منذ سنوات، وذلك عندما وصلتُ إلى المنزل ولم يكن صبي المصعد الليلي، بيت، يحرس المصعد. كان هناك فتى جديد لا أعرفه يحرسه، فتصوّرتُ أنني إذا لم أصطدم بأبويّ مُصادفة وما إلى ذلك فسوف أتمكن من أنْ أسلّم على فيبي ومن ثم أهرب ولن يعرف أحد أني كنتُ في البيت. كانت حقاً عملية اقتحام رائعة. وما زاد من جودتها هو أنَّ صبي المصعد الجديد كان الطرف الأحمق. فقد طلبتُ منه، بذلك الصوت العادي جداً، أنْ يوصِلني إلى آل ديكستاين. وآل ديكستاين كانوا يشغلون الشقة المجاورة لشقتنا في الطابق نفسه. ثم خلعت قبعة الصيد، لكي لا أبدو مُريباً أو أي شيء، وولجت المصعد كما لو أنني في عجلةٍ من أمري.

أغلق باب المصعد وكل شيء، وهمَّ بالتحرُّك، لكنه استدار وقال «إنهم ليسوا في المنزل. إنهم في حفلة في الطابق الرابع عشر»

قلت «لا بأس، من المفترض أنْ أنتظرهم. أنا قريب لهم»

نظر إليّ تلك النظرة الحمقاء، المرتابة. قال «يُستحسن أنْ تنتظر في البهو، يا سيد»

قلت «كنتُ أودُّ ذلك – حقاً أودّ، ولكنَّ ساقي تؤلمني، ويجب أنْ أضعها في وضعٍ معيَّن. أعتقد أنَّ الأفضل أنْ أجلس على الكرسي خارج شقتهم»

لم يفهم عمّا أتكلَّم، لذلك كل ما قاله «أوه»، وصعد بي إلى أعلى. لا بأس بك، أيها الفتى. أمر غريب. كل ما عليكَ أنْ تفعله هو أنْ تقول شيئاً لا يفهمه أحد وسوف يفعلون بالضبط كل ما تريده منهم أنْ يفعلوا.

ترجّلت عند الطابق الذي نسكن فيه -وأنا أعرُجُ كابن حرام- وبدأتُ أمشي نحو منزل آل ديكستاين. وعندما سمعتُ باب المصعد يُغلَق، استدرتُ وانتقلت إلى منزلنا. كنتُ أبلي بلاءً حسناً. بل إني حتى لم أعد أشعر بأني سكران. ثم أخرجت مفتاح بابنا وفتحت الباب، بهدوء شديد. ثم ولجتُ إلى الداخل، بحرص شديد جداً وأغلقتُ الباب. كان يجب أنْ أصبح لصاً حقاً.

كان الظلام حالكاً في الردهة طبعاً، وطبعاً لم أستطع أنْ أدير مفتاح النور. كان يجب أنْ أحرص على ألا أرتطم بأي شيء أو أُحدِث جَلَبة. ولكن حتماً شعرتُ بأني في بيتي. كانت تنبعث من ردهتنا رائحة غريبة لا تشمّها في أي مكانٍ آخر. ولا أعلم ما هي بالضبط. إنها ليست رائحة قرنبيط وليست عِطراً -لا أعلم ما هي بالضبط- ولكنكَ دائماً تعرف أنكَ في بيتك. وبدأتُ أخلعُ معطفي لكي أعلّقه في خزانة الردهة، لكنَّ تلك الخزانة كانت مملوءة بالحمّالات التي تُقرقع بقوة عندما تفتح الباب، لذلك لم أخلعه. ثم بدأتُ أمشي ببطءٍ شديد عائداً إلى غرفة فيبي. كنتُ أعلم أنَّ الخادمة لن تسمعني لأنه ليس لديها غير طبلة أذنٍ واحدة. فقد كان أخوها قد خرقَ أذنها بقشّة عندما كان طفلاً صغيراً، هذا ما روته لي ذات مرة. كانت صمّاء تماماً. أمّا والديّ، وخاصّة أمي، فكان سمعهما قويّاً ككلاب صيد لعينة. لذلك تحرّكتُ بحذرٍ شديد وأنا أمرّ من أمام بابهما. بل إني حبستُ أنفاسي، وحقّ الله. يمكنكَ أنْ تضرب أبي على رأسه بكرسي ولا يستيقظ، أما أمي، فكل ما عليك أنْ تفعله هو أنْ تسعل في مكانٍ ما من سيبيريا وسوف تسمعك. إنها عصبيّة كالجحيم. في أغلب الأحيان تبقى ساهرة الليل كله تدخّن السجائر.

أخيراً، بعد مضيّ حوالي الساعة، وصلتُ إلى غرفة العزيزة فيبي. لكنها لم تكن هناك. لقد نسيتُ ذلك. نسيتُ أنها دائماً تنام في غرفة د.ب عندما يكون غائباً في هوليوود أو في مكان ما. كانت تحبها لأنها أكبر غرفة في المنزل. وأيضاً لأنها تحتوي طاولة الكتابة الكبيرة الجنونية تلك التي كان د.ب قد اشتراها من سيدة مدمنة كحول في فيلادلفيا، وذلك السرير الضخم، العملاق الذي عرضه عشرة أميال وطوله عشرة أميال. ولا أدري من أين اشترى ذلك السرير. على أي حال، إنَّ العزيزة فيبي تحب أنْ تنام في غرفة

د.ب أثناء غيابه، وهو يسمح لها. يجب أنْ تراها وهي تؤدي واجبها المدرسي أو شيئاً ما على طاولة الكتابة الجنونية تلك. إنها كبيرة بحجم سرير. وتكاد لا تراها وهي تؤدي عملها المدرسي. لكنَّ هذا ما كان يُعجبها. ولم تكن تحب غرفتها لأنها أصغر مما ينبغي، كما تقول. تقول إنها تحب أنْ تنتشر. وكان هذا يُثير جنوني. ماذا لدى العزيزة فيبي لكي تنتشر؟ لا شيء.

على أي حال، دخلتُ غرفة د.ب بهدوء شديد، وأضأت مصباح طاولة المكتب. ولم تستيقظ العزيزة فيبي. وعندما ساد الضوء وكل شيء، نظرتُ إليها قليلاً. كانت نائمة، ووجهها على جانب الوسادة. وكان فمها مفتوحاً. أمر غريب. فالراشدون مثلاً، يبدون شنيعين أثناء النوم وأفواههم مفتوحة، أما الأطفال فلا يبدون كذلك. الأطفال يبدون جميلين. بل يستطيعون أنْ يلوثوا الوسادة كلها بالبصاق ومع ذلك يبقى شكلهم جميلاً.

تجولت في أرجاء الغرفة، بهدوء شديد وما إلى ذلك، أتفحّص الأشياء قليلاً. شعرتُ بارتياح، من باب التغيير. بل لم أعد أشعر بأني سأُصاب بذات الرئة أو بأي شيء. ببساطة شعرت بارتياح، على سبيل التغيير. كانت ملابس العزيزة فيبي موضوعة على الكرسي المجاور للسرير. فهي شديدة الترتيب، بالنسبة إلى طفلة. أعني أنها لا ترمي أغراضها هكذا في كل مكان، كما يفعل بعض الأطفال. وليست مُشوّشة. كان لديها سترة تتلاءم مع البذلة السمراء الضاربة للصِفرة اشترتها أمي لها في كندا موضوعة على ظهر الكرسي. ثم كانت البلوزة وأشياء أخرى موضوعة على المقعد. حذاؤها وجواربها كانت على الأرض، تحت الكرسي مباشرةً، جنباً إلى جنب. أنا لم أرَ الحذاء قط. كان جديداً، بلون بني قاتم، يُشبه حذائي، ورائعاً يتماشى مع البذلة التي اشترتها لها أمي في كندا. إنَّ أمي تُحسِن إلباسها. حقاً. وأمي تتحلّى بذوق ممتاز في بعض الأشياء. وهي ليست جيدة في شراء مزلجات الثلج أو أي شيء من هذا القبيل، أما في الملابس، فلا يُعلى عليها. أعني أنَّ فيبي دائماً ترتدي ثوباً يفتنك. خُذ مثلاً باقي الأطفال، حتى وإنْ كان آباؤهم أثرياء وكل شيء، ترى أنَّ ملابسهم فظيعة. أتمنى لو ترى فيبي بتلك البذلة التي اشترتها لها أمي في كندا. لستُ أمزح.

جلستُ على طاولة كتابة العزيز د.ب ونظرتُ إلى الأغراض الموضوعة

عليها. كانت في غالبيتها أغراض فيبي المدرسية وما إلى ذلك. كتب في مُعظمها. والكتاب على قمتها عنوانه «*علم الحساب ممتع!*». فتحت الصفحة الأولى وألقيتُ نظرة عليها. وهذا ما كتبت العزيزة فيبي عليها:

فيبي ويذرفيلد كولفيلد

4ب - 1

هذا أثار جنوني. إنَّ اسمها الأوسط هو جوزفين، وحقّ الله، وليس ويذرفيلد. لكنها لا تحبه. وفي كل مرة أراها أجد أنها تتّخذ اسماً أوسط جديداً.

الكتاب الذي يقع تحت كتاب الحساب هو كتاب الجغرافيا، والذي تحته كتاب التهجّي. إنها جيدة جداً في التهجّي، وفي المواد كلها، ولكنها أفضل في التهجّي. وتحت كتاب التهجّي كان عدد من دفاتر الملاحظات. كان لديها عدداً هائلاً من دفاتر ملاحظات. لا يمكنك أنْ تقابل طفلاً لديه قدر ما عندها من دفاتر الملاحظات. فتحت الذي في الأعلى ونظرتُ في الصفحة الأولى. كان عليها:

برنيس تقابلني في العطلة لأنَّ لدي شيئاً
هاماً جداً أخبرها به.

هذا كل ما كتبته على تلك الصفحة. الصفحة التالية كتبت عليها:

لماذا في جنوب شرق ألاسكا الكثير من مصانع التعليب؟

لأنَّ هناك الكثير من سمك السلمون.

لماذا فيها غابات ثمينة؟

لأنها تتمتع بالمناخ المناسب.

ما الذي فعلته حكومتنا لتجعل
الحياة أيسر على أسكيمو ألاسكا؟

ابحثي عن ذلك غداً!!!

فيبي ويذرفيلد كولفيلد
فيبي ويذرفيلد كولفيلد
فيبي ويذرفيلد كولفيلد

فيبي و. كولفيلد

فيبي ويذرفيلد كولفيلد المحترمة

أرجوك انقلبها إلى شيرلي!!!

لقد قلتِ يا شيرلي إنكِ من برج القوس

لكنَّ ثوركِ الوحيد يجلب مزلجتيك

عندما تأتين إلى منزلي

جلست على طاولة د.ب وقرأتُ محتوى الدفتر كله. لم يستغرق ذلك مني طويلاً، وأنا أستطيع أنْ أقرأ مثل تلك الأشياء، محتويات دفتر ملاحظات طفلة، خاص بفيبي أو غيرها، طوال النهار وطوال الليل. إنَّ ملاحظات الأطفال تمتعني. ثم أشعلتُ سيجارة أخرى – كانت آخر ما لديّ. لابد أني دخّنتُ ثلاث علب في ذلك النهار. ثم، أخيراً، أيقظتها. أعني أني لم أستطع أنْ أبقى جالساً على تلك الطاولة طوال حياتي، ثم إني خشيت أنْ يدخل والداي عليّ فجأةً وأردتُ على الأقلّ أنْ أقول مرحباً لها قبل أنْ يدخلا. لذلك أيقظتها.

استيقظت بسهولة شديدة. أعني لستَ مضطراً إلى الصراخ فيها أو أي شيء. كل ما عليك أنْ تفعله، عملياً، هو أنْ تجلس على السرير وتقول «استيقظي، فيبي»، وفوراً، تستيقظ.

«*هولدن!*» قالت فوراً. أحاطت عنقي بذراعيها وكل شيء. إنها متدفقة العاطفة. أعني أنها عاطفية جداً، بالنسبة إلى طفلة. بل إنها أحياناً *تبالغ* في عاطفتها. قبّلتها، فقالت «متى عدتَ إلى المنزل؟». كانت سعيدة جداً لرؤيتي. كان واضحاً.

«لا ترفعي صوتك. الآن فقط. كيف حالك، على أي حال؟»

«أنا على ما يرام. هل وصلتكَ رسالتي؟ لقد كتبتُ لك خمس صفحات–»

«هيه – لا ترفعي صوتك كثيراً. شكراً»

كانت قد كتبت لي رسالة، ولكن لم تُتح لي فرصة الإجابة عنها. وكلها تدور عن تلك المسرحية التي اشتركت فيها في المدرسة. وطلبت مني ألا أرتبط بأي موعد في يوم الجمعة لكي أتمكن من مشاهدتها.

سألتها «كيف تسير المسرحية؟ ماذا قلتِ عنوانها؟»

«مهرجان عيد الميلاد للأميركيين». إنها رديئة، لكني أقوم بدور بينيدكت آرنولد»، ثم قالت «أنا أحظى عملياً بالدور الأكبر». يا إلهي، كم كانت يقظة. ازدادت حماستها وهي تقول ذلك. «تبدأ المسرحيّة بي وأنا أحتضر. وتأتي روح في ليلة الميلاد وتسألني إنْ كنتُ أشعر بالخزي وكل شيء، كما تعلم، لأني خنتُ بلدي وكل شيء. ألن تأتي لتشاهدها؟». كانت جالسة على السرير بكل هدوء وكل شيء. «هذا ما كتبتُ لك حوله. هل ستأتي؟»

«سآتي حتماً. سآتي حتماً»

قالت «أبي لا يستطيع أنْ يأتي. يجب أنْ يطير إلى كاليفورنيا». يا إلهي، كم كانت يقظة. لم يستغرق منها الاستيقاظ أكثر من ثانيتين. كانت جالسة -شبه راكعة- على السرير، وتمسك بيدي. قالت «اسمع. قالتْ أمي إنك ستعود إلى المنزل في يوم *الأربعاء*. قالت يوم *الأربعاء*»

«لقد خرجت باكراً - لا ترفعي صوتك هكذا. سوف توقظين الجميع»

قالت العزيزة فيبي «كم الساعة؟ لن يعودا إلى المنزل حتى وقت متأخّر، كما قالت أمي. لقد ذهبا إلى حفلٍ في نورفوك، كونكتيكت. خمِّنْ ماذا فعلتُ بعد ظهر هذا اليوم! خمِّن ما هو الفيلم الذي شاهدته!»

«لا أدري - اسمعي. ألم يقولا في أي وقت سـ-»

قالت العزيزة فيبي «فيلم *الطبيب*، إنه فيلم خاص عرضوه في مؤسسة ليستر. عرضوه ليوم واحد - اليوم كان اليوم الوحيد. كان كله يدور حول ذلك الطبيب في كنتكي وكل شيء الذي يشدّ الملاءة على وجه تلك الطفلة المقعَدة والعاجزة عن المشي ويخنقها. ثم يرسلونه إلى السجن وكل شيء. كان رائعاً»

«انتظري لحظة. ألم يقولا متى سـ-»

«ويشعر الطبيب بالرثاء. لهذا يشدّ الملاءة على وجهها وكل شيء ويخنقها. ثم يزجّون به في السجن مدى الحياة، لكنَّ تلك الفتاة التي شدَّ الملاءة على وجهها تقوم بزيارته باستمرار وتشكره على ما فعل. لقد كان قتلاً رحيماً. لكنه يعرف أنه يستحق السجن لأنه يعلم أنّ الطبيب ليس من المفترض أن يتولّى

العمل بدلاً عن الله. وقد رافقتنا والدة إحدى فتيات الصف، اسمها أليس هولمبورغ. إنها أفضل صديقة لدي. الفتاة الوحيدة في كل-»

قلت «انتظري لحظة، ممكن؟ أنا أسألكِ سؤالاً. هل قالا متى سيعودان، أم لم يقولا؟»

«كلا، ولكنهما لن يعودا قبل وقتٍ متأخر جداً. وأخذ والدي السيارة وكل شيء لكي لا يقلقوا بشأن القطارات. لقد وضعنا فيها جهاز راديو الآن! لكنَّ أمي قالت ممنوع على أحد أنْ يُديرها وسط حركة المرور»

بدأتُ أسترخي، قليلاً. أعني أني أخيراً كففتُ عن القلق بشأنْ ما إذا كانا سيكتشفان أمر وجودي في المنزل أم لا. وقلت اللعنة، إذا عرفا، فقد عرفا.

كان يجب أنْ تشاهد العزيزة فيبي. كانت ترتدي تلك المنامة الزرقاء التي رُسِمتْ على ياقتها صورٌ لفيلةٍ حمراء. كانت شديدة الولوع بالفيلة.

قلت «إذن كان فيلماً جيداً، هه؟»

«بل رائعاً، لكنَّ أليس أُصيبَتْ بالبرد، وظلت أمها تسألها طوال الوقت إذا كانت قد أُصيبت بالرشح. في منتصف الفيلم. كانت دائماً أمها تميل عليّ وكل شيء في منتصف أمر هامّ وتسأل أليس إنْ كانت تشعر بأنها مُصابة بالرشح. لقد حطَّمت أعصابي»

ثم أخبرتها عن الأسطوانة. قلت «اسمعي، لقد اشتريتُ لكِ أغنيتك المفضّلة. ولكنني كسرتها في طريقي إلى المنزل»، وأخرجتُ القطع من جيب معطفي وعرضتها عليها. قلت «كنتُ سكران»

قالت «أعطني القطع. سأحتفظ بها»، وأخذتها من يدي ووضعتها في درج الطاولة الليلية. إنها تُدهشني.

سألتها «ألن يأتي د.ب لقضاء عطلة عيد الميلاد؟»

«قد يأتي وقد لا يأتي، كما قالت أمي. حسب الظروف. قد يُضطر إلى البقاء في هوليوود ليكتب قصة فيلم يدور حول أنّابوليس».

«أنّابوليس، يا إلهي!»

«إنها قصة حب وكل شيء. وخمِّن مَنْ سيمثّل فيه! أي نجم سينمائي؟ خمِّن!»

قلت «لا يهمني. آنابوليس، يا إلهي. ماذا يعرف د.ب عن آنابوليس، بحقّ الله؟ ما دخل هذا في نوع القصص التي يؤلفها؟». يا إلهي، هذا الشيء يدفعني إلى الجنون. ذلك التعامُل مع هوليوود. سألتها «ماذا فعلتِ لذراعك؟». لاحظتُ تلك القطعة الكبيرة من الشريط اللاصق على مرفق ذراعها. والسبب في ملاحظتي له هو أنَّ منامتها كانت بلا كُمّين.

قالت «لقد دفعني تلميذ في صفي، اسمه كرتيس واينتروب، أثناء هبوطي الدرج في الحديقة العامة. أتريد أنْ تراه؟»، وبدأتْ بنزع الشريط الجنوني الضخم عن ذراعها.

«دعيه وشأنه. لماذا دفعكِ على الدَرَج؟»

قالت العزيزة فيبي «لا أدري. أعتقد أنه يكرهني. وقد قمتُ مع فتاةٍ أخرى، اسمها سلما أتربري، بتلويث سترته الجلديّة بالحبر وبأشياء أخرى»

«هذا تصرف غير لائق. أأنتِ –طفلة– أعوذ بالله؟»

«كلا، ولكن في كل مرة أذهب إلى الحديقة العامة، يتبعني في كل مكان. إنه دائماً يتبعني. يُكاد يُحطّم أعصابي»

«لعله مُعجَب بك. وهذا لا يستدعي أنْ تلوثي بالحبر كل–»

قالت «لا أريد منه أنْ يُعجب بي»، ثم أخذت تنظر إليّ بشكلٍ غريب. قالت «هولدن، كيف حدث أنكَ لم تصل إلى المنزل في يوم *الأربعاء*؟»

«ماذا؟»

يا إلهي، يجب أنْ تراقبها في كل دقيقة. وإذا لم تعتقد أنها ذكية، فأنت مجنون.

سألتني «كيف حصل أنك لم تصل إلى المنزل في يوم *الأربعاء*؟ لم يطردوك من المدرسة أو ما شابه، أليس كذلك؟»

«لقد أخبرتك. لقد سمحوا لنا بالخروج باكراً. سمحوا لكل–»

قالت العزيزة فيبي «بل *طردوك! طردوك!*»، ثم ضربتني على ساقي بقبضة يدها. إنها تميل إلى استخدام قبضتيها كثيراً عندما ترغب في ذلك. «*طردوك!* أوه، *هولدن!*»، ووضعتْ كفّها على فمها وكل شيء. إنها تنفعل كثيراً، أُقسِمُ بالله.

«مَنْ قال إني طُرِدتُ؟ لا أحد قال إني -»

قالت «*طردوك. طردوك*»، ثم عادت لتصفعني بقبضة يدها. إذا ظننتَ أنَّ ذلك لا يؤلم، فأنتَ مجنون. قالت «أبي سيقتلك!»، ثم تقلّبتْ على بطنها على السرير ووضعت الوسادة اللعينة على وجهها. إنها تفعل ذلك كثيراً. أحياناً تصبح مجنونة حقيقية.

قلت «كفى، الآن. لا أحد *سيقتلني*. لا أحد حتى سوف - هيا، فيب، أخرجي تلك الفكرة اللعينة من رأسك. لا أحد سيقتلني»

لكنها لم تُزله. لا يمكن دفعها إلى فعل ما لا تريد أنْ تفعله. وكل ما ظلت تُكرِّره هو «أبي سيقتلك»، ولم يكن ما تقول مفهوماً بسبب الوسادة التي تضعها على وجهها.

قلت «لا أحد سيقتلني. استخدمي عقلك. أولاً، أنا راحل. أما ما سأفعله، فقد أحصل على عمل في مزرعة أو شيء ما فترة من الوقت. أعرف شخصاً اشترى له جده مزرعة في كولورادو. قد أحصل على عمل هناك. سوف أبقى على اتّصال بكِ وكل شيء بعد أنْ أذهب، إذا حصل. هيا. أخرجي هذه الفكرة من رأسك. هيا، هيه، فيب. أرجوك. أرجوك، ممكن؟»

لكنها رفضت أنْ تزيله عن وجهها. حاولت أنْ أزيله عنها، لكنها قوية كالجحيم. وسوف تتعب وأنت تتصارع معها. يا إلهي، إذا صمَّمَتْ على أنْ تُبقي الوسادة على وجهها، فسوف *تُبقيها*. وظللت أكرر «فيبي، أرجوكِ. اخرجي من هناك. هيا، هيه... هيه، ويذرفيلد. اخرجي»

لكنها رفضَتْ أنْ تخرج. أحياناً تعجز عن التفاهُم معها. وأخيراً، نهضتُ وخرجتُ إلى غرفة الجلوس وجلبت بعض السجائر من الصندوق الموضوع على الطاولة وأقحمتُ بعضها في جيبي. كنتُ قد استنفدتُ كلّ سجائري.

الفصل الثاني والعشرون

عندما رجعت، كانت قد أزالت الوسادة عن وجهها -كنتُ أعلم أنها ستفعل- لكنها رفضت أنْ تنظر إليّ، على الرغم من أنها كانت مستلقية على ظهرها وكل شيء. وعندما اقتربتُ من جانب السرير وجلستُ من جديد، أدارت وجهها المجنون إلى الجهة الأخرى. كانت تنبذني نبذاً تاماً. تماماً كما فعل فريق المبارزة بالسيوف في مدرسة بنسي عندما تركتُ كل السيوف اللعينة في القطار النفقي.

قلت «كيف حال العزيزة هيزل ويذرفيلد؟ ألم تكتبي مزيداً من القصص حولها؟ إنني أحتفظ بتلك التي أرسلتها إليّ في حقيبتي. إنها في المحطة. وهي جيدة جداً»

«أبي *سيقتلك*»

يا إلهي، عندما تُدخل شيئاً في رأسها فإنها لا تتخلّى عنه.

«كلا، لن يفعل. إنَّ أسوأ ما سيفعله أنه سيغضب إلى حدّ الجنون من جديد، ومن ثم سيُرسلني إلى تلك المدرسة العسكرية اللعينة. هذا أقصى ما سيفعله معي. وفي كل الأحوال، لن أكون حاضراً. سأكون قد رحلت. سأكون – لعلي سأعمل في تلك المزرعة في كولورادو»

«لا تدعني أضحك. إنكَ حتى لا تستطيع أنْ تركب جواداً»

قلت «ومَنْ لا يستطيع؟ طبعاً أستطيع. حتماً أستطيع. يمكنهم أنْ يعلموكِ في غضون دقيقتين. كفاكِ عبثاً بهذا». كانت تعبث بالشريط اللاصق على ذراعها. سألتها «مَنْ قصَّ لك شعرك هكذا؟». كنتُ قد لاحظتُ تواً قصّة شعرها البلهاء. كان شديد القِصَر.

قالت «هذا ليس شأنك». أحياناً تستطيع أنْ تكون مُزعجة جداً. تستطيع أنْ تكون مزعجة تماماً. قالت «أعتقد أنكَ رسبتَ في المواد كلها من جديد» - كم هي مزعجة، لكنها مضحكة أيضاً، بصورة ما. أحياناً تبدو أشبه بمُعلّمة مدرسة لعينة، على الرغم من صِغر سنّها.

قلت «كلا، لم أرسب. نجحتُ باللغة الإنكليزية»، ثم، ومن دون أي سبب، قرصتها في مؤخرتها. كانت بارزة جداً، وهي مستلقية كما فعلت على جنبها. لم تكن لها أية مؤخرة تقريباً. لم أقرصها بقوة، لكنها حاولتْ أنْ تضرب يدي لتُبعدها، لكنها أخطأتها.

وفجأةً قالت «أوه، لِمَ *فعلتَ* هذا؟»، كانت تعني لماذا طُرِدتُ من جديد. الطريقة التي قالتها بها جعلتني أشعر بالحزن.

قلت «أوه، يا الله، فيبي، لا تسألي. لقد مللتُ كثرة ما سُئلتُ هذا السؤال. هناك مليون سبب. لقد كانت من أسوأ المدارس التي انتسبتُ إليها، تغصّ بالمزيّفين. وبالحقيرين. لا يمكن أنْ تقابلي كل ذلك القدر من الحقيرين في حياتك. فمثلاً، إذا كانت هناك جلسة نقاش سرّية في غرفة أحدهم، وأراد شخص أنْ يدخل، لا يُسمح له إذا كان أحد المُغفّلين، الممتلئين بالبثور. كان الجميع يوصدون أبوابهم في وجه كل مَنْ يرغبَ في الانضمام إليهم. وكانوا يُشكلون تلك الأخويّة السرّية اللعينة التي كنتُ من فرط الجبن بحيث أرفض الانضمام إليها. وأراد ذلك المُمل، القذر، روبرت أكلي، أنْ ينضم إلينا. وظل يُكرر محاولة الانضمام، لكنهم لم يسمحوا له. لمجرّد أنه ممل وقذر. إنني حتى لا أشعر برغبة في التحدث عن هذا. لقد كانت مدرسة عفنة. صدّقيني»

لم تعلّق فيبي بأي شيء، لكنها أصغت. لاحظتُ من قفا عنقها أنها كانت تُصغي. إنها دائماً تصغي عندما تخبرها شيئاً. والغريب في الأمر أنها تفهم، أحياناً، ما تقول. تفهم حقاً.

بقيتُ أتكلّم عن مدرسة بنسي العزيزة، لأنني شعرتُ برغبة في ذلك.

قلت «حتى الأساتذة القلائل الطيبون في الكليّة كانوا أيضاً مزيّفين. كان هناك ذاك الذي اسمه السيد سبنسر، الذي كانت زوجته دائماً تقدّم لكِ شراب

الشوكولاتة الساخن وما إلى ذلك، وكانا حقاً لطيفَين. ولكن يجب أنْ تريه عندما يدخل المدير، العجوز ثورمر، خلال درس التاريخ ويجلس في آخر الغرفة. كان دائماً يأتي ويجلس في آخر الغرفة مدة حوالي نصف ساعة. كان من المفترض أنْ يكون مُستتراً أو ما شابه. وبعد قليل، يجلس هناك في الخلف ومن ثم يبدأ بمقاطعة العجوز سبنسر لكي يُلقي العديد من النكات المبتذلة. ويضحك العجوز سبنسر حتى يكاد يقتل نفسه عملياً ويبتسم وكل شيء، وكأنَّ ثورمر *أمير* لعين أو ما شابه.

«كفاكَ سبّاً»

قلت «كان يمكن أنْ يدفعكِ إلى التقيُّؤ، أُقسِم على ذلك. ثم، في يوم المحاربين القدامى. لديهم ذلك اليوم الذي يُسمّونه يوم المحاربين القدامى، حين يعود كل الحمقى الذين تخرّجوا في بنسي منذ عام 1776 ويتجولون في أرجاء المكان، مع زوجاتهم وأطفالهم والجميع. يجب أنْ تري ذلك العجوز الذي يبلغ حوالي الخمسين. ماذا فعل، لقد جاء إلى غرفتنا وقرع الباب وطلب السماح له باستخدام الحمّام. وكانت غرفة الحمّام تقع في نهاية الرواق - لا أدري لماذا أخذ الإذن منا. أتعلمين ماذا قال؟ قال إنه يُريد أنْ يرى إنْ كانت أحرف اسمه الأولى لا تزال محفورة على باب أحد المراحيض. ماذا فعل، كان قد حفر أحرف اسمه العجوز الحزين والأحمق واللعين على أحد أبواب المراحيض قبل نحو تسعين عاماً، وأراد أنْ يعرف إنْ كانت لا تزال موجودة هناك. وهكذا مشينا معه أنا ورفيقي في الغرفة إلى الحمّام وكل ذلك، واضطررنا إلى الوقوف هناك أثناء تفقّده أحرف اسمه الأولى على أبواب المراحيض كلها. وظلّ يكلّمنا طوال الوقت، يُخبرنا كيف أنه عندما كان في بنسي أمضى أسعد أيام حياته، وينفحنا بالكثير من النصائح من أجل المستقبل وكل ذلك. يا إلهي، كم أشاع في نفسي اليأس! لا أعني أنه كان إنساناً سيئاً - لم يكن كذلك. ولكن ليس من الضروري أنْ يكون سيئاً لكي يبثَّ اليأسَ في النفس - يمكنك أنْ تكوني *صالحة* وتفعلي ذلك. كل ما عليك أنْ تفعلي لكي تُشيعي القنوط في نفس أحد هو أنْ تغرقيه بالكثير من النصائح الزائفة أثناء بحثك عن الأحرف الأولى من اسمك على أحد أبواب المراحيض - هذا كل ما عليك أنْ تفعلي. لا أدري. ربما ما كان الأمر وصل

إلى ذلك السوء لو لم يكن مقطوع الأنفاس. لقد انقطعت أنفاسه من مجرد ارتقاء الدرج، وطوال فترة بحثه عن الأحرف الأولى من اسمه، كان يتنفّس بصعوبة، وأصبح شكل منخريه غريباً ويبعث على الحزن، وهو يقول لنا أنا وسترادليتر أنْ نحصّل قدر ما نستطيع من بنسي. يا إلهي، فيبي! لا أستطيع أنْ أشرح لكِ. أنا ببساطة لم أحب أي شيء مما حصل في بنسي. لا أستطيع أنْ أشرح»

عندئذٍ قالت العزيزة فيبي شيئاً، لكني لم أسمعه. كان جانب فمها مدفوناً في الوسادة، ولم أتمكن من سماعها.

قلت «ماذا؟ أبعدي فمك. لا أستطيع سماعك وفمك مدفون في الوسادة هكذا»

«أنت لا تحب *أي شيء* مما يحدث»

عندما قالت هذا ازداد يأسي.

«نعم، أحب. نعم، أحب. طبعاً أحب. لا تقولي هذا. لماذا تقولين هذا بحق الجحيم؟»

«لأنك لا تحب. أنت لا تحب أي مدرسة. لا تحب مليون شيء. لا *تحب*»

قلت «بل أحب! هنا تُخطئين – هنا بالضبط تخطئين! لماذا بحق الجحيم تقولين هذا؟». يا إلهي، كم كانت تبثّ فيَّ اليأس.

قالت «لأنك لا تحب. سمِّ لي شيئاً واحداً»

قلت «شيء واحد؟ شيء واحد أحبه؟ حسن»

المشكلة هي أني لم أتمكن من التركيز بقوة. أحياناً يصعبُ التركيز.

سألتها «تعنين، شيئاً واحداً يُعجبني كثيراً؟»

لكنها لم تُجبني. كانت في وضع منحرف على حافة السرير الأخرى. كانت على بُعد ألف ميل. قلت «هيا، أجيبيني. شيء واحد أحبه كثيراً، أم فقط يعجبني؟»

«تحبه كثيراً»

قلت «حسن». لكنَّ المشكلة هي أني لم أتمكن من التركيز. كل ما استطعت التفكير فيه هما الراهبتان اللتان كانتا تجمعان التبرعات في تلك السِلال القديمة والمتهرِّئة. خاصة صاحبة النظارات ذات الإطار المعدني. وذلك الفتى الذي عرفته في مدرسة إلكتن هيلز. كان هناك فتى في إلكتن هيلز، اسمه جيمس كاسل، لا يتراجع عن كلامٍ قاله عن ذلك الفتى الشديد الغرور، فيل ستيبال. كان جيمس كاسل ينعته بالفتى الشديد الغرور، وذهب أحد أصدقاء ستيبال الحقيرين وأفشى سرّ ستيبال له. وهكذا توجه ستيبال مع ستة من أبناء الحرام الحقيرين الآخرين إلى غرفة جيمس كاسل ودخلوا وأوصدوا الباب وحاولوا أنْ يُجبروه على التراجع عمّا قاله، لكنه رفض. فانقضّوا عليه. ولا داعي لأقول لكِ ماذا فعلوا له -كان شيئاً فظيعاً جداً- ولكنه مع ذلك لم يتراجع، العزيز جيمس كاسل. كان يجب أنْ تريه. كان نحيلاً ويبدو عليه الضعف قليلاً، ورسغاه أشبه بقلمَيّ رصاص. وأخيراً، ماذا فعل، بدل أنْ يتراجع عمّا قاله، قفز من النافذة. أنا كنتُ آخذ دشاً وكل ذلك، ومع ذلك استطعتُ أن أسمعه وهو يرتطم في الخارج. لكني اعتقدتُ أنَّ شيئاً وقع من النافذة، جهاز راديو أو طاولة كتابة أو ما شابه، وليس فتى أو أي شيء. ثم سمعتُ أحدهم يركض على طول الرواق ثم يهبط الدَرَج، فلبستُ رداء الحمّام وهرعت أهبط الدَرَج أيضاً، فوجدتُ العزيز جيمس كاسل مُمدداً عند أسفل الدَرَج الحجري وكل شيء. كان ميتاً، وأسنانه، ودماؤه منتثرة في كل أرجاء المكان، ولم يجرؤ أحد حتى على الاقتراب منه. كان يرتدي السترة الصوفية ذات الياقة الضيقة التي أعرته إياها. كل ما فعلوه بالشبان الذين كانوا في الغرفة معه أنهم فصلوهم. إنهم حتى لم يودَعوا السجن.

لكنَّ هذا كل ما أتذكّره. الراهبتان اللتان رأيتهما على مائدة الإفطار وذلك الفتى جيمس كاسل الذي عرفته في إلكتن هيلز. والغريب في الأمر هو أني لم أكد أعرف جيمس كاسل، إذا أردتِ الحقيقة. كان أحد أولئك الفتية الهادئين جداً. كان يدرس في صف الرياضيات، لكنه كان يجلس في مكان قصيّ من الغرفة، ولم يكن ينهض لكي يتلو الدرس أو يذهب إلى السبورة أو أي شيء. بعض الفتية في المدرسة لا ينهضون أبداً أو يتلون شيئاً أو يذهبون إلى السبورة. أعتقد أنَّ المرة الوحيدة التي فتحت فيها حديثاً معه كانت حين

سألني إنْ كان يستطيع أنْ يستعير سترتي الصوفية ذات العنق الضيق. كدتُ أقع ميتاً حين فعل ذلك، وأصابتني دهشة شديدة وكل شيء. وأذكر أني كنتُ أنظّف أسناني، في المراحيض، عندما طلب مني ذلك. قال إنَّ قريبه سيأتي ليصطحبه في جولة بالسيارة وكل شيء. ولم أكن حتى أعلم أنه يعرف أنَّ لديّ سترة صوفيه بياقة ضيّقة. كل ما عرفته عنه هو أنَّ اسمه يقع أمامي في ترتيب التفقُّد. كيبل ر، كيبل و، كاسل، كولفيلد – لا أزال أذكر ذلك. وإذا أردتِ الحقيقة، كدتُ لا أعيره سترتي، فقط لأني لم أكن أعرفه معرفة جيدة.

قلت للعزيزة فيبي «ماذا؟». كانت قد قالت شيئاً لي ولم أسمعه.

«إنكَ حتى لا تستطيع أنْ تذكر شيئاً واحداً»

«نعم، أستطيع. نعم، أستطيع»

«حسن، قُلْ إذن»

قلت «أحب آلي، وأحب أنْ أفعــــل ما أفعله الآن بجلوسي هنا معك، نتحــــدث، ونفكّـــــر في أشياء، و –»

«آلي ميت. أنت دائماً تقول هذا! إنْ كان شخصٌ ميتاً وكل شيء، وفي *السماء*، فإنه في الواقع ليس –»

«أعلم أنه ميت! ألا تعتقدين أني أعلم؟ ولا زلت أحبه رغم ذلك، ألا أستطيع؟ وكون الشخص ميتاً لا يعني أنك تكفّين عن حبه، إكراماً لله – خاصةً إذا كان ألطف ألف مرة من أناسٍ *أحياء* تعرفينهم وكل ذلك»

لم تقل العزيزة فيبي أي شيء. وعندما لا تجد ما تُجيبُ به، فإنها لا تنطق بكلمة لعينة واحدة.

قلت «على أي حال، أحب هذا الآن. أعني في هذه اللحــــظة. جلوسي هنا معـــــك والثرثرة والعبث –»

«هذا غير هام *حقاً!*»

«بل غاية في الأهمية *حقاً*! هو كذلك حتماً! ولِمَ لا يكون كذلك؟ الناس لا يعتقدون أنَّ أي شيء على أي قدر من الأهمية *حقاً*. بدأتُ أضجر من هذا الأمر اللعين»

«كفاكَ سبّاً. حسن، سمِّ شيئاً آخر. سمِّ شيئاً تحب أنْ تكونه. عالِماً مثلاً. أو مُحامٍ أو شيئاً ما»

«لا أستطيع أنْ أصبح عالِماً؛ أنا ضعيف في مادة العلوم»

«حسن، فلتكن مُحامٍ – كأبي وكل شيء»

قلت «المحامون جيدون، أعتقد – لكنَّ هذا لا يستهويني. أعني أنهم جيدون إذا أنقذوا حياة الأبرياء طوال الوقت، وأحبوا عملهم، ولكن المرء لا *يفعل* مثل هذه الأشياء إذا كان مُحامٍ. كل ما يفعله هو أنْ يجمع المال ويلعب الغولف والبريدج ويشتري السيارات ويشرب المارتيني ويبدو كشخصية مشهورة. إلى جانب ذلك، حتى وإنْ كان يُنقذ حياة الناس وكل ذلك، كيف يعرف إنْ كان يُنقذ الناس لأنه حقاً *يريد* أنْ يُنقذ الناس، أم أنّه يفعل ذلك لأنَّ ما يُريده *حقاً* هو أنْ يُصبح مُحامٍ بارع، يربتُ الجميع على ظهره تحبُّباً ويُهنئونه في مقر المحكمة بعد انتهاء المحاكمة اللعينة، والمراسلون الصحفيون وكل شخص، كما يحدث في الأفلام الرديئة؟ كيف يعرف أنه ليس مزيّفاً؟ المشكلة هي أنه *لن يعرف*»

لستُ متأكداً مما إذا كانت فيبي قد فهمت عمّا أتحدث. أعني أنها مجرد طفلة وكل شيء. لكنها كانت تصغي، على الأقلّ. إذا أصغى المرء على الأقلّ، فهذا ليس بالأمر السيئ.

قالت «أبي سيقتلك. سوف *يقتلك*»

لكني لم أكن أصغي؛ كنتُ أفكّر في شيء آخر – في شيءٍ جنوني. قلت «أتعرفين ماذا أودّ أنْ أكون؟ أتعرفين ماذا أريد أنْ أكون؟ أعني لو كان الخيار اللعين لي؟»

«ماذا؟ كفى سبّاً»

«هل تعرفين أغنية «إذا أمسك جسد بجسد قادم عبر حقل الجودار»؟ أودّ أنْ–»

قالت العزيزة فيبي «بل عنوانها: «إذا قابل جسدٌ جسداً قادماً عبر حقل الجودار»! وهي قصيدة. لروبرت *برنز*»

«*أعرفُ* أنها قصيدة من تأليف روبرت برنز»

لكنها كانت على صواب. كانت كذلك فعلاً «إذا قابلَ جسدٌ جسداً قادماً عبر حقل الجودار». لكني لم أكن أعلم حينئذٍ.

قلت «حسبتُ أنها «إذا أمسك جسدٌ جسداً». على أي حال، إنَّ صورة كل أولئك الأطفال الصغار وهم يلعبون لعبة في حقلٍ واسع من نبات الجودار وكل ذلك. آلاف من الأطفال الصِغار، ولا أحد في الجوار –أعني، لا أحد من الكبار– ما عداي. أنا واقف على حافة جُرف جنوني. ماذا عليّ أنْ أفعله، عليَّ أنْ أمسك بكل مَنْ يقترب من الانزلاق عبر الجرف – أعني إذا كانوا يركضون من دون أنْ ينظروا في أي اتجاهٍ يذهبون فيجب أنْ أخرج من مكان ما *وأمسكهم*. هذا كل ما سأفعل طوال اليوم. أنا مجرّد المُمسِك في أرض الجودار وكل هذا. أعلمُ أنها فكرة مجنونة، ولكنه الشيء الوحيد الذي أرغب حقاً في القيام به. أعلم أنه شيء مجنون»

مرت فترة طويلة من الوقت لم تنطق خلالها العزيزة فيبي بأي كلمة؟ ثم، عندما قالت شيئاً، كل ما قالته هو «أبي سيقتلك»

قلت «لا يهمني إذا فعل». عندئذٍ نهضتُ عن السرير، لأنَّ ما أردتُ أنْ أفعله هو أنْ أتصل بالهاتف بالشخص الذي كان أستاذي في مادة اللغة الإنكليزية في مدرسة إلكتن هيلز، السيد أنطوليني. كان يعيش في نيويورك آنذاك. وترك إلكتن هيلز. وقبلَ وظيفة مدرّس للّغة الإنجليزية في جامعة نيويورك. قلت لفيبي «يجب أنْ أجري اتّصالاً هاتفياً. سأعود فوراً. لا تنامي». لم أرغب في أنْ تنام بينما أنا في غرفة الجلوس. كنتُ أعلم أنها لن تنام، لكني قلت هذا مع ذلك، لكي أتأكّد.

بينما أنا أتوجه نحو الباب، قالت العزيزة فيبي «هولدن!» فاستدرت.

كانت جالسة باعتدال على السرير. بدت غاية في الجمال. قالت «إنني أتلقّى دروساً في التجشؤ من الفتاة فيليس مارغوليس. اسمع»

أصغيت، وسمعتُ شيئاً، لكنه ليس بالكثير. قلت «عظيم»، ثم خرجتُ إلى غرفة الجلوس واتصلتُ بذلك الأستاذ الذي كان يُعلّمني، السيد أنطوليني.

الفصل الثالث والعشرون

توجّهتُ نحو الهاتف بسرعة خشية أنْ يدخل والداي ويرياني وسط ذلك. لكنهما لم يفعلا. كان السيد أنطوليني لطيفاً جداً. قال إنَّ في وسعي أنْ أذهب إليه فوراً إذا أردت. أعتقد أني أيقظته وزوجته، لأنه استغرق ردّهما على الهاتف وقتاً طويلاً. أول شيء سألني عنه هو إنْ كان هناك خطب، فقلت كلا. لكنني قلتُ إنني طُرِدتُ من بنسي. وجدتُ أنه لا بأس في أنْ أخبره بذلك. قال «يا إلهي» عندما أخبرته بذلك. كان صاحب حس فكه وكل شيء. فطلبَ مني أنْ أحضر إليه إذا رغبت.

كان تقريباً أفضل أستاذ عرفته، أي السيد أنطوليني. كان صغيراً جداً، لا يكبر أخي د.ب بكثير، ويمكنك أنْ تلهو معه من دون أنْ تفقد احترامك له. كان هو الذي عمد أخيراً إلى رفع ذلك الفتى الذي قفز من النافذة الذي حكيتُ لك عنه، جيمس كاسل، ثم جسَّ العزيز السيد أنطوليني نبضه وكل شيء، وخلعَ معطفه ووضعه على جيمس كاسل وحمله كل المسافة حتى المشفى. ولم يهتم بتلوُّث معطفه بالدماء.

عندما رجعتُ إلى غرفة د.ب كانت العزيزة فيبي قد أدارت مفتاح الراديو، وموسيقى الرقص تنساب منه. لكنها أخفضَت الصوت لكي لا تسمعه الخادمة. كان يجب أنْ تراها. كانت جالسة في وسط السرير، خارج الأغطية، وساقاها معقودتان كالذين يُمارسون اليوغا، تصغي إلى الموسيقى. إنها تثير تعجّبي.

قلت «هيا، ألا ترغبين في الرقص؟». كنتُ قد علّمتها الرقص وما إلى ذلك وهي طفلة صغيرة. كانت راقصة جيدة جداً. أعني أني لم أعلّمها إلا أشياء قليلة. في الأساس تعلّمت وحدها. إذ لا يمكن تعليم المرء كيف يرقص *حقاً*.

قالت «ما زلتَ تنتعل حذاءك»

«سأخلعه. كفاك إلحاحاً»

قفزتْ خارج السرير، ثم انتظرتْ برهة ريثما أخلع حذائي، ورقصتُ معها قليلاً. كانت حقاً جيدة. أنا لا أحب الذين يرقصون مع الأطفال الصغار، لأنَّ المنظر يبدو في الغالب شنيعاً. أعني إذا كنتَ في مطعم في مكانٍ ما ورأيتَ رجلاً عجوزاً يرقص مع ابنته الصغيرة في الحلبة، أولاً تراه طوال الوقت يشدّ الطفلة إلى الأعلى من ظهرها خطأً، والطفلة تعجز عن الرقص بشكل جيد على أي حال، ويبدو الأمر شنيعاً، لكني لا أفعل ذلك علناً مع فيبي أو أي شيء. نحن فقط نلهو في المنزل. الأمر مختلف معها على أي حال، لأنها تُحسِن *الرقص*، وتستطيع أنْ تُتابع كل ما تفعله. أعني إذا أمسكتَ بها وقرّبتها منكَ كثيراً بحيث لا يعود يهمّ إذا كانت ساقاك أطول من ساقيها بكثير، تبقى معك. يمكنك أنْ تتنقَّل، أو أنْ تقوم بانحناءات مبتذلة، أو حتى بحركة بهلوانية صغيرة، وسوف تجاريك. بل يمكنك أنْ ترقص *التانغو*.

رقصنا أربع جولات. وبين تلك الجولات أصبحتْ مضحكة جداً. كانت تبقى في مكانها، لا تتكلّم ولا تفعل أي شيء. ونضطر نحن الاثنان إلى البقاء في تلك الوضعية في انتظار الفرقة الموسيقية ريثما تعاود العزف. وهذا يُضجرني. وليس من المفترض أنْ نضحك أو أي شيء.

على أي حال، رقصنا حوالي أربع جولات، ومن ثم أغلقتُ الراديو. وقفزت فيبي عائدة إلى السرير واندسّت تحت الأغطية. سألتني «أنا أتحسّن، أليس كذلك؟»

قلت «وفي الأسلوب». عدتُ إلى الجلوس بجوارها على السرير. كنت شبه مقطوع الأنفاس. كنتُ أُكثر من التدخين. وبالكاد أسترد أنفاسي. أما هي فلم تكن حتى مقطوعة الأنفاس.

فجأةً قالت «تحسّس جبيني»

«لماذا؟»

«تحسّسه. فقط تحسّسه مرة»

تحسّسته. لكني لم أشعر بأي شيء.

قالت «هل حرارتي مرتفعة؟»

«كلا. أمِنَ المفترض أنْ تكون كذلك؟»

«نعم – أنا أجعلها كذلك. تحسّسه مرة أخرى»

تحسّسته من جديد، لكني أيضاً لم أشعر بأي شيء، لكني قلت، «أعتقد أنها بدأتْ ترتفع، الآن». لم أرد لها أنْ تُصاب بعقدة النقص اللعينة.

هزّت رأسها إيجاباً «يمكنني أنْ أجعلها ترتفع إلى أعلى الترمونيتر»

«اسمه *الترموميتر*. مَنْ قال هذا؟»

«أليس هومبرغ بيَّنت لي الطريقة. تضع ساقاً فوق ساق وتحبس أنفاسك وتفكّر في شيء حار جداً، جداً. في مِشعاع أو ما شابه. فترتفع حرارة جبينك كله كثيراً بحيث يمكن أن يحرق يد أحدهم»

هذا الكلام أفزعني. أبعدتُ يدي عن جبينها، وكأني أتعرَّض لخطر شديد. قلت «شكراً لك لأنكِ أخبرتني»

«أوه، لا يمكن أنْ أدع يدك تُحرَق. لقد توقفتُ قبل أنْ ترتفع كثيراً – هسسس!» ثم، وبسرعة البرق، عادت إلى الاعتدال في جلستها على السرير.

أرعبتني أيّما رعب عندما فعلت ذلك. قلت «ما الأمر؟»

قالت بذلك الهمس العالي النبرة «باب المنزل! لقد جاء!»

قفزتُ بسرعة واقفاً وركضت وأطفأتُ المصباح الذي على طاولة المكتب. ثم سحقتُ السيجارة على حذائي ووضعتها في جيبي. ثم رحت أهوّي الجو لكي أطرد الدخان – إذ ليس من المفترض حتى أنْ أُدخّن، يا لله. وقبضتُ على حذائي وولجتُ الخزانة وأغلقتُ الباب. يا إلهي، لقد كان قلبي يخفق كابن حرام.

سمعتُ أمي تلج الغرفة.

قالت «فيبي؟ كفّي عن هذا الآن. لقد رأيت الضوء، أيتها الشابة»

سمعتُ العزيزة فيبي تقول «مرحباً! لم أتمكن من النوم. هل أمضيتما وقتاً ممتعاً؟»

قالت أمي «بل رائع»، ولكن كان يمكن استشفاف أنها لم تكن تعني ما قالت. إنها لا تستمتع بوقتها كثيراً عندما تخرج من المنزل. «لماذا أنت مستيقظة، هل لي أنْ أعرف؟ هل أنت دافئة بقدرٍ كافٍ؟»

«كنتُ دافئة بقدر كافٍ، لكني لم أتمكن من النوم»

«فيبي، هل كنتِ تدخّنين سيجارة هنا؟ قولي الحقيقة، أرجوكِ، أيتها الشابة»

قالت العزيزة فيبي «ماذا؟»

«سمعتني»

«أنا فقط أشعلتُ واحدة لحظة. أخذتُ منها فقط ***شفطة واحدة***. ثم رميتُها من النافذة»

«*لماذا*، هل لي أنْ أعرف؟»

«جافاني النوم»

قالت أمي «لا يُعجبني هذا، يا فيبي. لا يُعجبني هذا على الإطلاق. هل تريدين غطاءً آخر؟»

قالت العزيزة فيبي «كلا، شكراً. تصبحين على خير!». كانت تحاولُ أنْ تتخلَّص منها، كما بدا واضحاً.

قالت أمي «كيف كان الفيلم؟»

«ممتاز. لولا ما فعلت أمُّ أليس. لقد ظلَّتْ تميل على ابنتها لتسألها إنْ كانت مُصابة بالرشح طوال عرض الفيلم كله. وفي طريق العودة ركبنا سيارة أجرة»

«دعيني أتحسَّس جبينك»

«لم أُصَبْ بأي شيء. لم تكن مُصابة بأي شيء. هذه فقط عادة أمّها»

«حسن، نامي الآن. كيف كان عشاؤك؟»

قالت فيبي «كان عفناً»

«لقد سمعتِ ما قاله والدك عن استخدام هذه الكلمة. ما هو العفن فيه؟ لقد حصلتِ على شريحة لحم غنم لذيذة. لقد بحثتُ في أرجاء جادة لكسنغتن كلها فقط لكي –»

«شريحة لحم الغنم جيدة، لكنَّ شارلين دائماً *تبخُّ* أنفاسها فيها كلما وضعَتْ شيئاً أمامي. إنها تبخُّ فوق الطعام وكل شيء. إنها تبخّ على كل شيء»

«حسن. نامي. أعطي الماما قبلة. هل تلوتِ صلواتك؟»

«تلوتها في الحمّام. تصبحين على خير!»

قالت أمي «تصبحين على خير. نامي فوراً الآن. إنني مُصابة بصداعٍ شديد». إنها تُصاب بالصداع باستمرار. حقاً.

قالت العزيزة فيبي «تناولي بضعة أقراص من الأسبرين. سوف يعود هولدن إلى المنزل في يوم الأربعاء، أليس كذلك؟»

«حسب عِلمي. تدثّري جيداً الآن. بشكلٍ كامل»

سمعتُ أمي تخرج وتغلق الباب. انتظرتُ دقيقتين. ثم خرجتُ من الخزانة، وارتطمتُ بقوّة بفيبي في أثناء خروجي، لأنَّ المكان كان شديد الظلمة وكانت قد خرجتْ من السرير وأقبلتْ لكي تطلب مني الخروج. قلت «هل آذيتك؟». كان ينبغي عندئذٍ أنْ نتكلّم همساً، لأنَّ الاثنين عادا إلى المنزل. قلت «يجب أنْ أرحل». عثرت على حافة السرير في الظلام وجلستُ عليها وباشرت في انتعال حذائي. كنتُ شديد التوتر. أعترف بهذا.

همستْ فيبي «لا ترحل الآن. انتظر ريثما ينامان!»

قلت «كلا. بل الآن. الآن هو الوقت الأنسب. سوف تكون في الحمّام وأبي سوف يستمع إلى الأخبار أو ما شابه. الآن هو الوقت الأنسب». لم أتمكن من شد رباط حذائي؛ كنتُ شديد التوتر. هذا لا يعني أنهما قد يقتلانني أو أي شيء إذا ما عثرا عليَّ في المنزل، ولكن سيكون شيئاً مزعجاً وكل شيء. قلت لفيبي العزيزة «أين أنتِ بحق الجحيم؟». كان الظلام شديد الحلكة، ولم أتمكّن من رؤيتها.

«هنا». كانت واقفة بجواري مباشرةً. ولم أرها.

قلت «لقد تركتُ أمتعتي اللعينة في المحطة. اسمعي فيبي، هل معكِ نقود؟ إنني مفلس تماماً»

«في جوزتي فقط نقود عيد الميلاد. من أجل الهدايا وما إلى ذلك. لم أشترِ أي شيء بعد»

«أوه». لم أرد أنْ آخذ نقودها الخاصة بعيد الميلاد.

قالت «أتريد بعضها؟»

«لا أريد أنْ آخذ نقودك الخاصة بعيد الميلاد»

قالت «أستطيع أنْ أقرضك بعضها»، ثم سمعتها تنتقل إلى طاولة كتابة د.ب، وتفتح مليون درج وتتحسَّس داخلها بيدها. كانَ الظلام داخل الغرفة

دامساً. قالت «إذا رحلت، لن تراني أمثّل في المسرحية». بدا صوتها غريباً عندما قالت ذلك.

قلت «نعم، سأشاهدها. لن أرحل قبل أنْ أشاهدها. أتعتقدين أنَّ المسرحية تفوتني؟ وما سأفعل هو أني قد أمكث في منزل السيد أنطوليني حتى ربما مساء يوم الثلاثاء. ثم آتي إلى المنزل. وإذا أُتيحت لي الفرصة، سوف أتصل بك هاتفياً»

قالت العزيزة فيبي «خُذ». كانت تحاول أنْ تعطيني النقود، لكنها لم تتمكن من العثور على يدي.

«أين؟»

وضعَتِ النقود في يدي.

قلت «هيه، لستُ بحاجة إلى كل هذا. أعطني فقط دولارين. أنا جادّ – خذي». حاولتُ أنْ أعيدها إليها، لكنها رفضت أنْ تأخذها.

«تستطيع أنْ تأخذها كلها. يمكنك أنْ تُسددها لي لاحقاً. أحضرها إلى المسرحية»

«كم المبلغ، بحقّ الله؟»

«ثمانية دولارات وخمسة وثمانون سنتاً. بل خمسة وستون سنتاً. لقد أنفقتُ بعضه»

وفجأةً، بدأتُ أبكي. لم أقوَ على منع نفسي. فعلت ذلك بحيث لا يسمعني أحد، لكني فعلتها. وانتاب فيبي رعبٌ شديد عندما باشرتُ البكاء، فتقدَّمتْ وحاولتْ أنْ تُسكتني، ولكن ما إنْ يبدأ المرء لا يستطيع أنْ يكفّ. كنتُ لا أزال جالساً على حافة السرير عندما بدأتُ، وأحاطت عنقي بذراعها العزيزة، وأحطتُها بدوري بذراعي، ولكن مع ذلك بقيتُ أبكي مدة طويلة. ظننتُ أني سأختنق وأموت أو ما شابه. يا إلهي، كم أخفتُ المسكينة العزيزة فيبي. وكانت النافذة مفتوحة وكل شيء، وشعرتُ بأنها ترتعش وكل شيء، لأنَّ كل ما كانت ترتديه هو منامتها. حاولتُ أنْ أُعيدها إلى السرير، لكنها رفضتْ أنْ تعود. وأخيراً سكتُّ، ولكن بعد فترة طويلة، طويلة، بلا شك. ثم أنهيتُ تثبيت أزرار معطفي وكل شيء. قلتُ لها إني سأبقى على اتّصالٍ بها.

قالت لي إنني أستطيع أنْ أنام معها إذا أردت، لكني رفضتُ، وقلتُ إنه من الأفضل لي أنْ أرحل، وإنّ السيد أنطوليني ينتظرني وكل شيء. ثم أخرجتُ قبعة الصيد من جيب معطفي وأعطيتها لها. كانت تحب تلك القبعات الجنونية. لم ترغب في أخذها، لكني أصررتُ على ذلك. وأراهن على أنها نامت وهي تعتمرها. إنها تحب حقاً ذلك النوع من القبعات. ثم قلتُ لها من جديد إني سأتصل بها هاتفياً إذا ما أُتيحت لي الفرصة، ثم غادرت.

كان الخروج من المنزل أسهل بكثير من ولوجه، لسببٍ ما. وهو أنّه لم يعُد يهمّني إنْ رآني. حقا لم يعُد يهمني. تصوّرت أنه إذا أمسكاني، فقد حدث المحظور. بل لقد تمنّيتُ أنْ يفعلا، بصورة ما.

هبطتُ الدَرَج كله، بدل أنْ أستقل المصعد. لجأتُ إلى الدَرَج الخلفي، وكدتُ أكسر عنقي وأقع على عدد هائل من أكوام القمامة، لكنني نجوت بحمد الله. حتى صبي المصعد لم يرني. لعله كان لا يزال يعتقد أني أقوم بزيارة آل ديكستاين.

الفصل الرابع والعشرون

كان السيد والسيدة أنطوليني يملكان شقة شديدة الأناقة في سَتون بليس، ولكي تصل إلى غرفة الجلوس والبار وكل شيء فيها عليك أنْ تهبط درجتين. وكنتُ قد ذهبتُ إلى هناك عدداً من المرات، لأنَّ السيد أنطوليني كان يزورنا كثيراً في المنزل، بعد أنْ تركتُ مدرسة إلكتن هيلز، لكي يُشاركنا تناول وجبة العشاء ويتفقّد سير أحوالي. حينئذٍ لم يكن قد تزوج. ثم، بعد أنْ تزوج، صرتُ ألعب كرة المضرب معه ومع السيدة أنطوليني كثيراً، في نادي ويست سايد لكرة المضرب في فوريست، لونغ أيلند. حيث نشأتْ السيدة أنطونيللي. كانت فاحشة الثراء. وأكبر منه بستين عاماً، ولكن بدا أنهما متفاهمان على أحسن وجه. لسببٍ واحد هو أنهما كانا معاً عقلانيين، خاصة السيد أنطوليني، ما عدا أنك تجده ظريفاً أكثر منه عقلانياً عندما تجالسه، كان يُشبه د.ب. بينما كانت السيدة أنطوليني في الغالب جدّية. ومُصابة بحالة سيئة من الربو. وقد قرآآ معاً قصص د.ب كلها –والسيدة أنطوليني أيضاً– وعندما قرر د.ب الانتقال إلى هوليوود، اتصلتْ به السيدة أنطوليني هاتفياً وطلبت منه ألا يرحل. لكنه رحل، مع أنَّ السيد أنطوليني قال إنَّ كل مَنْ يكتب مثل د.ب لا فرصة له في هوليوود. وهذا بالضبط ما قلته أنا له حرفيّاً.

كنتُ ذاهباً إلى منزلهما لأنني لم أرغب في إنفاق نقود فيبي التي خصّصتها لعيد الميلاد هدراً، ولكن انتابني شعور غريب عندما أصبحتُ في الخارج يشبه الدوار. فاستقللت سيارة أجرة، لم أرغب في ذلك، لكنني فعلت. وأمضيتُ وقتاً طويلاً في *العثور* على سيارة أجرة.

فتح الصديق السيد أنطوليني الباب لي عندما قرعت الجرس – بعد أنْ

أوصلني صبي المصعد أخيراً، ابن الحرام ذاك. كان يرتدي مبذل الحمّام وينتعل خِفّاً، ويحمل كأساً من الشراب بإحدى يديه. كان رجلاً عالي الثقافة، ومدمناً على الشرب. قال «هولدن، صديقي. يا إلهي! لقد كبرَ عشرين بوصة أخرى. أنا سعيد لرؤيتك»

«كيف حالك، سيد أنطوليني؟ وكيف حال السيدة أنطوليني؟»

«كلانا في أحسن حال. دعنا نأخذ عنك هذا المعطف»، أخذ عني معطفي وعلّقه. «توقعتُ أنْ أرى بين ذراعيك طفلاً عمره يوم واحد. ومرتبكاً. ورقائق الثلج على رموش عينيك». أحياناً يُبدي ذكاءً وقّاداً. تلفَّتَ حوله وهتفَ باتجاه المطبخ. «ليليان! ماذا حصل للقهوة؟». ليليان هو اسم السيدة أنطوليني الأول.

ردّت هاتفة «إنها جاهزة. أهو هولدن؟ مرحباً، هولدن!»

«مرحباً، سيدة أنطوليني!»

معهما يحدث كل شيء هتافاً. وذلك لأنهما لا يجتمعان أبداً في غرفةٍ واحدة في وقتٍ واحد. كان أمراً غريباً.

قال السيد أنطوليني «اجلس، هولدن». كان واضحاً أنّه ثمِل قليلاً. بدا كأنما أُقيمت للتو حفلة في الغرفة. ثمة كؤوس في كل مكان، وأطباق فيها بقايا فول سوداني. قال «لا تؤاخذنا على مظهر المكان. كان في ضيافتنا بعض أصدقاء السيدة أنطوليني من الجواميس...إنهم حقاً جواميس»

ضحكتُ، وهتفت السيدة أنطوليني بشيء لي من المطبخ، لكني لم أسمعها. سألت السيد أنطوليني «ماذا قالتْ؟»

«تطلب منك ألاّ تنظر إليها وهي قادمة. لقد أفاقت للتو من السُكر. خُذ سيجارة. هل تدخن الآن؟»

قلت «شكراً». أخذتُ سيجارة من صندوقٍ قدَّمه لي. «فقط مرةً كل حين. أنا مُدخّن معتدل»

قال «أكيد». قدّمَ لي شعلة من قدّاحة كبيرة كانت على الطاولة. «إذن، أنتَ ومدرسة بنسي لم تعودا على وِفاق». كان دائماً يتكلَّم بهذه الطريقة. وأحياناً كان ذلك يُسليني كثيراً وأحياناً أخرى لا يفعل. كان يُبالغ في اللجوء إلى تلك

الطريقة. لا أعني بذلك أنه يفتقر إلى الظرف أو أي شيء -بل كان ظريفاً- ولكن أحياناً تتوتّر أعصابك عندما يُكرر أحدهم شيئاً مثل «إذن أنتَ ومدرسة بنسي لم تعودا على وِفاق». إنَّ د.ب يُبالغ في اللجوء إلى تلك الطريقة أيضاً.

سألني السيد أنطوليني «ماذا كانت المشكلة؟ كيف حالك في مادة اللغة الإنكليزية؟ سأريك الطريق المختصرة إذا رسبتَ في الإنكليزيّة، أيها الكاتب الصغير»

قلت «أوه، لقد نجحتُ بالإنكليزيّة. ولكن كانت في معظمها نصوصاً أدبيّة. لم أكتب أكثر من موضوعي إنشاء خلال الفصل الدراسي كله. لكني رسبت في الامتحان الشفوي. كان هناك امتحان إجباري في الإنشاء الشفوي. *وهذا* ما جعلني أرسب»

«لماذا؟»

«أوه، لا أعلم». لم أرغبْ في الخوض في هذه النقطة. كنتُ لا أزال أشعر بما يُشبه الدوار أو شيء ما، وأصابني فجأة صداع. حقاً. ولكن كان جلياً أنه مهتم بالموضوع، لذلك أخبرته المزيد عنه. «إنها الدورة التي على كل طالب خلالها أنْ ينهض في الصف ويُلقي خطبة عفويّة، كما تعلم. عفوية وما إلى ذلك. فإذا استطرد الطالب وما إلى ذلك، يجب أنْ تهتف له «استطراد!» بأسرع ما في استطاعتك. وكاد ذلك يدفعني إلى الجنون. وقد حصلت على علامة متدنية فيه.

«لماذا؟»

«أوه، لا أعلم. لقد وتّر موضوع الاستطراد أعصابي. لا أعلم. مشكلتي هي أني أحب الاستطراد. أجده أكثر إثارة للاهتمام»

«ألا يهمّك أنْ يلتزم المرء بالموضوع نفسه عندما يحكي شيئاً؟»

«أوه، طبعاً! أحبّ أنْ يلتزم المرء بالموضوع نفسه وكل ذلك. ولكن لا أحب أنْ يُغالي في الالتزام به طوال الوقت. الطلاب الذين حصلوا على أفضل العلامات في الإنشاء الشفوي كانوا من الذين التزموا بالموضوع نفسه طوال الوقت -أعترفُ بذلك. ولكن كان هناك طالب واحد، اسمه ريتشارد كينسيلا، لم يلتزم بالموضوع نفسه كثيراً، وكانوا يهتفون في وجهه «استطراد!». كان

شيئاً فظيعاً، لأنه في المقام الأول كان فتى شديد التوتُّر– أعني أنه كان شديد التوتر – وكانت شفتاه ترتعشان كلما حان وقته ليُلقي خطبته، ولم يكن صوته مسموعاً خاصة للجالسين في آخر غرفة الصف. ولكن عندما كانت شفتاه تكفّان عن الارتعاش قليلاً، كنتُ أحبُ خطبته أكثر من أي طالب آخر. وطبعاً رسب في المادة أيضاً. وحصل على علامة متدنية لأنهم ظلوا يهتفون له «استطراد!» طوال الوقت. مثلاً، ألقى تلك الخطبة عن المزرعة التي اشتراها والده في فرمونت. وظلوا يهتفون «استطراد!» في وجهه طوال وقت إلقائه لها، وذلك الأستاذ، السيد فنسون، أعطاه علامة متدنية لأنه لم يذكُر أنواع الحيوانات والخضروات والأشياء الموجودة في المزرعة وما إلى ذلك. فماذا فعل ريتشارد كينسيلر، كان يبدأ بالكلام عن شيء– وفجأةً إذا به ينتقل إلى الكلام عن تلك الرسالة التي تلقّتها أمه من خاله، وكيف أنَّ خاله أُصيبَ بشلل الأطفال وكل ذلك عندما كان في الثانية والأربعين من عمره، وكيف كان يرفض أنْ يزوره أحد في المستشفى لأنه لم يكن يريد أنْ يراه أحد وهو بالدعامات. ولم يكن لذلك صِلة وثيقة بقصة المزرعة –أعترفُ بذلك– لكنه كان شيئاً جميلاً. من الجميل أنْ يحكي لك شخص عن خاله. خاصة عندما يحكي لك أولاً عن مزرعة والده ومن ثم فجأةً يتّجه اهتمامه نحو خاله. أعني أنَّ من الوقاحة أنْ يهتفوا في وجهه «استطراد!» في حين أنَّ كلامه كله جميل ومُثير للاهتمام... لا أدري. من الصعب الشرح»، ولم تكن لدي رغبة في إعادة المُحاولة. لسبب واحد، وهو إصابتي بذلك الصداع الفجائي. وتمنيتُ من الله أنْ تدخل السيدة أنطوليني علينا مع القهوة. كم يزعجني هذا – أعني إذا *قال* أحدهم إنَّ القهوة جاهزة وهي ليست كذلك.

«هولدن... لدي سؤال واحد قصير، مملّ قليلاً وتربويّ. ألا تعتقد أنَّ هناك زماناً ومكاناً معيَّنين لكل شيء؟ ألا تعتقد أنه إذا ما بدأ شخص بحكاية شيء عن مزرعة والده، عليه أنْ يلتزم بموضوعه، ثم يلتفّ ليحكي عن دعامات خاله؟ أو، إذا افترضنا أنَّ موضوع دعامات خاله مُثير، أما كان ينبغي أنْ يختاره منذ البداية كموضوع رئيسي – *وليس* موضوع المزرعة؟»

لم أرغب في التفكير والإجابة وكل ذلك. وانتابني صداع مزعج. بل وأصِبتُ بما يُشبه المغص، إذا أردتَ الحقيقة.

«نعم – لا أدري. أعتقد أنه كان يجب أنْ يفعل. أعني أعتقد أنه كان ينبغي أنْ ينتقي موضوع خاله، بدل موضوع المزرعة إذا كان هو الذي يُثير اهتمامه أكثر. ولكن ما أعنيه هو أنَّ المرء لا يعرف في غالبية الأحيان ما الذي يُثير اهتمامه أكثر إلى أنْ يبدأ بالكلام عن شيء ما لا يُثير اهتمامه الأكبر. ولكن ما أعنيه هو أنك في أغلب الأحيان لا تعرف ما أشدّ ما يُثير اهتمامك إلى أنْ تبدأ بالكلام عن شيء لا يُثير اهتمامك كثيراً. أعني أنه أحياناً لا يسعك إلا أنْ تفعل هذا. وما أعتقده هو أنه من المفترض تركُ المتكلم على سجيته إنْ كان على الأقلّ مُهتماً ومتحمّساً كثيراً للموضوع. هذا شيء جميل. أنت لا تعرف هذا الأستاذ، السيد فنسون؛ كان يستطيع أنْ يدفعك إلى الجنون أحياناً، هو ودرسه اللعين. أعني كان لا يكفّ عن الطلب منك التمسُّك بالوحدة وبالبساطة طوال الوقت. وبعض الأشياء لا يمكن جعلها كذلك. أعني أنه لا يمكن أنْ تبسّط وتوحّد شيئاً فقط لأنَّ أحدهم *يُريد* ذلك. أنت لا تعرف هذا المدعو السيد فنسون. أعني أنه كان شديد الذكاء وكل شيء، ولكن من الواضح أنّه لم يكن يفهم»

قالت السيدة أنطوليني «القهوة، أيها السادة، أخيراً». دخلت حاملة صينية القهوة والكعك وأشياء أخرى. «هولدن، إياك أنْ تنظر إليّ؛ أنا في حالة مزرية»

قلت «مرحباً، سيدة أنطوليني». وهممتُ بالنهوض وكل شيء، لكنَّ السيدة أنطوليني أمسكت سترتي وأعادتني إلى الجلوس. كان شعر العجوز السيدة أنطوليني مملوءاً بتلك اللفائف المعدنية، ولم تكن تضع أي أحمر شِفاه أو أي شيء. لم تبدُ في أحسن حالاتها. بدتْ عجوزاً جداً وكل ذلك.

قالت «سوف أترك هذه هنا. هيا باشرا، أنتما الاثنان». وضعت الصينية على طاولة السجائر، وهي تدفع جانباً كل تلك الكؤوس. «كيف حال أمك، هولدن؟»

«هي بخير، شكراً لك. لم أرها مؤخراً، ولكن بالأ –»

قالت السيدة أنطوليني «عزيزي، إذا احتاج هولدن إلى أي شيء، أي شيء من خزانة البياضات. هو على الرف العلوي. أنا ذاهبة لأنام. إنني مرهقة»، وقد بدت كذلك فعلاً. «هل تستطيعان أيها الشابان أنْ تعِدّا السرير بنفسيكما؟»

قال السيد أنطوليني «سوف نغتني بكل شيء. اهرعي أنتِ إلى السرير».
وأرسلَ إلى السيدة أنطوليني قبلة وتمنّت هي لي نوماً هانئاً ثم دخلت غرفة النوم. كانا كثيراً ما يتبادلان القبل علناً.

شربتُ جزءاً من كوب القهوة وأكلتُ حوالي نصف كعكة صلبة كالصخر. لكنَّ كل ما تناوله العجوز السيد أنطوليني هو كأس أخرى. إنه يُعدّ مشروبات قوية جداً. وإذا لم ينتبه سوف يُصبحُ مدمن كحول.

فجأةً قال «لقد تناولتُ طعام العشاء مع والدك قبل نحو أسبوعَين. أكنتَ تعلم هذا؟»

«كلا، لم أكن أعلم»

«أنت تُدرك، طبعاً، أنه شديد القلق عليك»

قلت «أعلمُ هذا، أعلمُ أنه كذلك»

«من الواضح أنه قبل أنْ يتصل بي هاتفياً كان قد استلم رسالة مفزعة من مديرك الأخير، تفيد بأنكَ لا تبذل أي مجهود يستحق الذِكر، وتنقطع عن حضور الدروس، وتأتي غير مستعد لأي من الدروس. في العموم، أنت بشكلٍ تام –»

«أنا لم أنقطع عن أي درس. أنت لم تكن تسمح بانقطاع عن أي درس. هناك مادتان كنتُ أنقطع عن حضورهما بين حينٍ وآخر، كمادة التعبير الشفوي تلك التي حكيت لك عنها، لكني لم أقاطع أياً منها»

لم أرغب في مناقشة ذلك، القهوة ساعدت معدتي لتتحسّن قليلاً، لكنّ الصداع الفظيع لم يُبارحني.

أشعلَ السيد أنطوليني سيجارة أخرى. كان يُدخّن كعفريت. ثم قال «بصراحة، لا أعرفُ ماذا أقول لك، يا هولدن»

«أنا أعرف. إنَّ الكلام معي صَعب جداً. أدركُ هذا»

«لدي إحساسٌ بأنكَ مُقبلٌ على ما يُشبه الانهيار المريع جداً. ولكني بصدق لا أعلم من أي نوع... هل تصغي إليّ؟»

«نعم»

كان واضحاً أنه يُحاول أنْ يركّز وكل شيء.

«ربما أنت من النوع الذي يجلس، وأنت في سن الثلاثين، في إحدى الحانات كارهاً كل إنسان يدخل عليك ويبدو كأنّه كان قد لعب كرة القدم في الكلية. ولكن أيضاً، يمكن أنْ تحصّل قدراً كافياً من الثقافة تجعلك تكره الذين يقولون «إنه سرٌ بيني وبينه». أو ربما قد ينتهي بك الأمر في أحد مناصب الأعمال، إلى رمي مشابك الأوراق نحو أقرب كاتب اختزال. لا أعلم. ولكن هل تفهم ما أرمي إليه، ولو قليلاً؟»

قلت «نعم، طبعاً»، وقد فهمتُ حقاً. «ولكنك مخطئ بما يتعلّق بكراهيّة العمل. أعني فيما يخص لاعبي كرة القدم وما إلى ذلك. أنت مخطئ حقاً. أنا لا أكره الكثير من الأشخاص. إنَّ ما يمكن أنْ أفعله هو أني قد أكرههم فترة وجيزة، كذاك المدعو سترادليتر الذي أعرفه في مدرسة بنسي، وزميله الآخر، روبرت أكلي. لقد كرهتهما بعض الأحيان -أعترف بهذا- لكنَّ ذلك لم يستمر طويلاً، هذا ما أعني. فبعد فترة قصيرة، إذا لم أرهما، إذا لم يأتيا إلى الغرفة، أو إذا لم أشاهدهما في قاعة الطعام على مدى وجبتَين، أفتقدهما. أعني تقريباً أفتقدهما»

لم يقُل السيد أنطوليني أي شيء للوهلة الأولى. نهَض واقفاً وجلب قطعة أخرى من الثلج ووضعها في كأسه، ثم عاد إلى الجلوس. كان جلياً أنه يُفكّر. لكني بقيتُ أتمنى أنْ يتابع حديثه في الصباح، وليس الآن، لكنه كان متحمساً. الناس غالباً يتحمّسون للنقاش حين لا تكون أنتَ كذلك.

«حسن. أصغِ إليّ دقيقة الآن... قد لا أصوغ كلامي بشكل بارز كما أحب، ولكن سأكتب لكَ رسالة حول الموضوع خلال يوم أو يومين. حينئذٍ ستفهم كل شيء. ولكن اسمع الآن، على أي حال». وعاد إلى التركيز. ثم قال «ذلك الانهيار الذي أعتقد أنك مقبل عليه – هو نوع خاص من الانهيار، النوع الرهيب. والإنسان المنهار لا يُسمَح له أنْ يشعر أو يسمع نفسه وهو يرتطم بالقاع. إنه لا يكفّ عن السقوط والسقوط. إنَّ النظام برمّته صُمِّمَ للأشخاص الذين كانوا، في وقت ما من حياتهم، يفتشون عن شيء لم تتمكن بيئتهم الخاصة من تزويدهم به. أو اعتقدوا أنَّ بيئتهم الخاصة لم تتمكن من تزويدهم به. لذلك كفّوا عن البحث. استسلموا حتى قبل أنْ يبدؤوا. أتتابعني؟»

«نعم، يا سيدي»

«حقاً؟»

«نعم»

نهضَ واقفاً وصبَّ مزيداً من المشروب المُسكِر في كأسه. ثم عاد إلى الجلوس. لم يقُل شيئاً فترة طويلة.

ثم قال «لا أريد أنْ أخيفك، ولكن أستطيع أنْ أراك بوضوح تموت بنُبل، بطريقة أو بأخرى، لسبب ليس له أي أهمية». ورماني بنظرة غريبة. «إذا كتبتُ لك شيئاً، هل ستقرأه بعناية؟ وتحتفظ به؟»

قلت «نعم. طبعاً». وهذا صحيح، حقاً. ولا أزال أحتفظ بالورقة التي أعطانيها.

مشى إلى طاولة مكتبه على الجانب المقابل من الغرفة، وراح يكتب من دون أنْ يجلس شيئاً على قطعة من الورق. ثم عاد وجلس والورقة في يده. «الغريب في الأمر أنَّ هذا لم يكتبه شاعر متمرِّس، بل مُحلِّل نفسي اسمه فلهلم شتيكل. هذا ما – هل ما تزال تتابعني؟»

«نعم، طبعاً، أتابعك»

«إليك ما قال: «إنَّ علامة الرجل غير الناضج هي أنه يريد أنْ يموت بنُبل من أجل قضيةٍ ما، في حين أنَّ علامة الرجل الناضج هي أنه يريد أنْ يعيش بتواضع من أجل قضية ما»»

مال وسلّمني الورقة. قرأتها فوراً عندما أعطانيها، ومن ثم شكرته وكل شيء ووضعتها في جيبي. كان لطفاً منه أنْ يتحمّل كل ذلك العناء. حقاً. لكنَّ المشكلة هي أنني لم أشعر برغبة شديدة في التركيز. يا إلهي، كم شعرتُ فجأةً *بالتعب* اللعين.

كان واضحاً أنه غير مُتعب على الإطلاق. كان ثملاً جداً، قبل كل شيء. قال «أعتقد أنك في يوم من الأيام سوف تضطر إلى اكتشاف الوِجهة التي ستذهب إليها. ومن ثم سوف يتوجب عليك الانطلاق في ذلك الاتجاه. ولكن فوراً. لا يمكن أنْ تُضيِّع دقيقة واحدة. ليس أنت»

هززتُ رأسي إيجاباً، لأنه كان ينظر إليّ مباشرةً وكل شيء، لكنني لم أكن أفهم تماماً ما الذي يتحدث عنه. كنتُ متأكداً تماماً من أنني أعرف، ولكن ليس بصورة تامة في ذلك الحين. لقد كنتُ متعباً بشكلٍ لعين.

قال «وأكره أنْ أقول لك، ولكن أعتقد أنك حالما تعرف إلى أين تريد أنْ تذهب فإنَّ أول خطوة تتخذها سوف تكون هو أن تصبح جاداً في دراستك. يجب أنْ تفعل. أنت طالب – سواء أعجبتكَ الفكرة أم لا. أنت مغرم بالمعرفة. وأعتقد أنكَ ستجد، بعد أنْ تتجاوز كل أشباه السيد فينس وامتحاناتهم الشفوية–»

قلت «اسمه السيد فنسن». كان يعني كل أشباه السيد فنسن، وليس كل أشباه فنس. ولكن ما كان ينبغي أنْ أقاطعه.

«حسن –كل أشباه السيد فنسن. حالما تتجاوز أشباه السيد فنسن كلهم، سوف تبدأ بالاقتراب أكثر فأكثر– أي، إذا أردتَ ذلك، وإذا سعيتَ إليه وانتظرته –من المعلومات العزيزة جداً، جداً على قلبك. وسوف تجد، من بين ما تجد، أنكَ لستَ أول مَنْ اضطرب وخاف بل وسئم السلوك الإنساني. أنت لست بأي حالٍ من الأحوال وحدك في هذا الأمر، سوف تتحمس وتتحفّز للمعرفة. هناك الكثير جداً من الأشخاص الذين اضطربوا أخلاقياً وروحياً مثلك الآن. ولحسن الحظ، ترك بعضهم تسجيلاً لاضطراباتهم. سوف تتعلّم منهم– إذا أردت. كما أنَّ أحدهم سيتعلّم شيئاً منكَ، إذا ما تركتَ شيئاً وراءك. إنه نظام تبادل جميل. وليس ثقافة. إنه تاريخ. شِعر». ثم سكت وشرب جرعة كبيرة من كأسه. واستأنفَ من جديد. يا إلهي، كم كان متحمساً. كنتُ سعيداً لأني لم أقاطعه أو أي شيء. قال «أنا لا أحاول أنْ أقول لك إنَّ المثقفين والعلماء فقط قادرون على المساهمة بشيء ذي قيمة في العالم. ليس الأمر كذلك. لكنني أقول إنَّ المثقفين والعلماء، إذا كانوا لامعين وخلاّقين قبل أي شيء –وهذه، لسوء الحظ، حالة نادرة– يميلون إلى ترك سجلات لا تُقدَّر بثمن خلفهم أكثر ممّا يفعل الذين هم فقط لامعون وخلاّقون. إنهم يميلون إلى التعبير عن أنفسهم بصفاء أشدّ، وعادة لديهم شغف بتتبُّع أفكارهم حتى النهاية. والأمر الأكثر أهمية هو أنَّ تسعة من أصل عشرة منهم أشدّ تواضعاً من المفكّر غير العالِم. هل تتابعني وكل شيء؟»

«نعم، يا سيدي»

لم يقل شيئاً بعد ذلك ولفترة طويلة. لا أدري إنْ كنتَ فعلتَ ذلك من قبل، ولكنْ من الصعب الجلوس هكذا في انتظار شخص أنْ يقول شيئاً وهو

مستغرق في التفكير وكل هذا. إنه صعب حقاً. وكنتُ أحاول باستمرار ألا أتثاءب. وهذا لا يعني أني كنتُ ضجراً أو أي شيء -فلم أكن كذلك- لكني شعرتُ فجأةً بنعاسٍ لعين.

«ثمّة شيءٌ آخر سيمنحك إيّاه التعليم الأكاديمي. فإنْ سعيتَ فيه إلى حدٍ معقول، سيمنحك فكرةً عن حجم عقلك. عمّا يمكن أن يحتمله، وربّما ما لا يمكن أن يحتمله. وبعد فترةٍ ستعرف نوع الأفكار التي تناسب عقلك. فعلى الأقلّ، قد يوفّر عليك هذا قدراً كبيراً من الوقت الذي ستنفقه في تجريب أفكارٍ لا تناسبك، لا تليق بك. وهكذا ستبدأ في معرفة مقاساتك الحقيقية، وتُلبس عقلك على ما يناسبها»

وفجأةً، تثاءبتُ. يا لي من ابن حرام فظ، ولكن لم تكن في يدي حيلة!

لكنَّ السيد أنطوليني اكتفى بالضحك. ثم نهض وقال «هيا، سوف نُعِدُّ لك سريراً»

تبعته وانتقلَ هو إلى الخزانة وحاولَ أنْ يُخرِج بعض الأغطية والملاءات وغيرها من أشياء كانت موضوعة على الرف العلوي، لكنه لم يتمكن من فعل ذلك بسبب الكأس التي يحملها بيده. فشرب محتواها ومن ثمّ وضعها على الأرض وأخرج الأغراض. وساعدته في حملها إلى السرير. وأعددنا الأريكة معاً. لم يكن شديد الحماس في ذلك. فهو لم يدسّ كل شيء بشكلٍ مُحكَم. لكني لم آبه لذلك. كنتُ مستعداً للنوم واقفاً من فرط التعب.

«كيف حال نسائك كلهن؟»

«على ما يرام». كنتُ مُحدِّثاً رديئاً، لكني لم أشعر برغبة في الكلام.

«كيف حال سالي؟». كان يعرف سالي. كنتُ قد عرّفتها عليه ذات مرة.

«على ما يرام. كان لدي موعد معها بعد ظهيرة هذا اليوم». يا إلهي، يبدو كأنَّ ذلك وقع قبل عشرين عاماً مضى! «لم يعد بيننا الكثير من تاقواسم المشتركة»

«إنها فتاة جميلة جداً. ماذا عن الفتاة الأخرى؟ تلك التي حدّثتني عنها، في مين؟»

«أوه - جين غالاغر. إنها على ما يرام. قد أتصل بها هاتفياً غداً»

عندئذٍ كنا قد انتهينا من إعداد الأريكة. قال السيد أنطوليني «إنه لك وحدك. لا أدري ما الذي ستفعله بساقيك هاتين»

قلت «أنت على حق. أنا متعوّد على الأسرّة القصيرة. شكراً جزيلاً، يا سيدي. لقد أنقذتما أنت والسيدة أنطوليني حياتي هذه الليلة»

«أنت تعرف أين يقع الحمّام. إنْ كان هناك أي شيء تريده، نادني فقط. سوف أبقى في المطبخ بعض الوقت - هل يزعجك الضوء؟»

«كلا - يا إلهي، كلا. شكراً جزيلاً»

«حسن. تصبح على خير، أيها الوسيم»

«تصبح على خير، يا سيدي. شكراً جزيلاً»

خرج إلى المطبخ وذهبتُ أنا إلى غرفة الحمّام وخلعتُ ملابسي وكل ذلك. ولم أتمكّن من تنظيف أسناني لأنني لم أُحضِر معي فرشاة أسنان. ولم يكن معي منامة أيضاً ونسي السيد أنطوليني أنْ يُعيرني واحدة. لذلك عدتُ إلى غرفة الجلوس وأطفأتُ المصباح الصغير المجاور للسرير، ثم أويتُ إلى الفراش وأنا بالبنطلون القصير. كان شديد القِصَر بالنسبة إليّ، أعني السرير، ولكن كان في إمكاني أنْ أنامَ واقفاً من دون أنْ يغمض لي جفن. استلقيتُ يقظاً قليلاً وأنا أفكر في كل ما قاله السيد أنطوليني عن العثور على مقياس العقل وكل شيء. لقد كان شخصاً ذكياً جداً. لكني لم أتمكن من إبقاء عينيّ مفتوحتين، واستغرقتُ في النوم.

ثم حدث أمر. لا أرغب حتى في ذكرِه.

فجأةً استيقظت. لم أكن أعرف كم كانت الساعة أو أي شيء، لكني استيقظت. شعرتُ بشيء على رأسي، بيد أحدهم. يا إلهي، كم ارتعبت. ماذا كانت، كانت يد السيد أنطوليني. ماذا كان يفعل، كان جالساً على الأرض بجوار السرير مباشرة، في الظلام وكل شيء، وكان كأنّه يمسّد على رأسي اللعين. يا إلهي، أراهن على أني قفزت مقدار ألف قدم.

قلت «ماذا تفعل بحق الجحيم؟»

«لا شيء! كنتُ ببساطة جالساً هنا، أُبدي إعجابي بـ -»

قلت من جديد «ماذا تفعل، في كل الأحوال؟»، لم أدر ماذا أقول - أعني أني شعرت بحرج شديد.

«ما رأيك في أنْ تخفض صوتك؟ إنني ببساطة جالس هنا-»

قلت «يجب أنْ أرحل، على أي حال» - يا إلهي، كم كنتُ متوتراً! وبدأتُ أرتدي بنطلوني اللعين في الظلام. ولم أتمكن من ارتدائه بسبب شدة توتري. أنا أعرف عن المنحرفين، في المدرسة وكل شيء، يفوق ما يعرفه أي شخص، ودائماً يظهر انحرافهم حيثما حللت.

قال السيد أنطوليني «تذهب إلى *أين*؟». كان يحاولُ أنْ يتصرَّف بشكل لعين عادي وهادئ وكل شيء، لكنه لم يكن شديد الهدوء. صدّقني.

«لقد تركتُ أمتعتي وكل شيء في المحطة. أعتقد أنه يُستحسن أنْ أذهب وأحضرها. أغراضي كلها داخلها»

«ستكون هناك في الصباح. الآن، عُدْ إلى السرير. وأنا أيضاً سآوي إلى السرير. ماذا ألمَّ بك؟»

قلت «ليس بي شيء، كل ما في الأمر أنَّ نقودي كلها وأغراضي في إحدى الحقائب. سأعود فوراً. سأستقل سيارة أجرة وأعود مباشرة». يا إلهي، كنتُ أتعثَّر بنفسي في الظلام. «المشكلة هي أنَّ النقود ليست لي. إنها لأمي، وأنا-»

«لا تكن سخيفاً، هولدن. عُدْ إلى السرير. أنا سأعود إلى سريري. سوف تبقى النقود بأمان وسلام حتى الصبا-»

«كلا، أنا جادّ. يجب أنْ أرحل. يجب حقاً». كنتُ قد أكملتُ تقريباً ارتداء ملابسي، لكني لم أعثر على ربطة عنقي. لم أتذكَّر أين وضعتها. ارتديتُ سترتي وكل شيء إلا هي. كان العجوز السيد أنطوليني قد جلس على الكرسي الكبير على مسافة مني، يراقبني. كانت الدنيا ظلاماً وكل شيء ولم أكن أراه بوضوح، لكني عرفتُ أنه كان يراقبني بلا شك. وكان لا يزال سكران أيضاً. رأيتُ الكوب الزجاجي في يده.

«أنت صبي غريب جداً، جداً»

قلت «أعلم هذا». لم أفتش كثيراً حولي بحثاً عن ربطة العنق. وهكذا رحلت من دونها. قلت «وداعاً، سيدي. شكراً جزيلاً. بلا مزاح»

ظل يمشي خلفي عندما توجهت إلى الباب الأمامي، وعندما قرعت جرس المصعد بقيَ هو واقفاً عند باب المنزل. كل ما قاله هو شيء حول أني «ولد شديد الغرابة» من جديد. فلأكن غريباً. ثم انتظر في ممر الباب وكل

ذلك إلى أنْ وصلَ المصعد اللعين. لم أكن قد انتظرت مصعداً كل تلك المدة طوال حياتي اللعينة، أُقسم.

لم أدرِ عمّا نتحدث أثناء انتظار المصعد، وبقيَ هو واقفاً هناك، فقلت «سوف أبدأ بقراءة بعض الكتب الجيدة. سأفعل حقاً». أعني أنه كان لابد لي أنْ أقول شيئاً. كان الموقف مُحرجاً جداً.

«أحضِر أمتعتك وزلاّجتك وعُد إلى هنا. سأترك الباب غير مُقفل»

قلت «شكراً جزيلاً. وداعاً!». وصل المصعد أخيراً. ولجته وهبطتُ. يا إلهي، كنتُ أرتعش بقوة، وأتصبّب عرقاً، أيضاً. عندما يحدث تصرّف منحرف كذاك، أبدأ بالتعرُّق كابن حرام. ذلك النوع من الأشياء وقع لي حوالي عشرين مرة منذ أنْ كنتُ ولداً صغيراً. لا أستطيع تحمّله.



الفصل الخامس والعشرون

عندما أصبحت في الخارج، كان ضوء النهار قد بدأ ينبلج، واشتدَّ البرد أيضاً، لكني شعرت بتحسُّن لأني كنتُ أتعرَّقُ بغزارة.

لم أعرف إلى أين أذهب. لم أرغب في اللجوء إلى فندق آخر وإنفاق نقود فيبي. وأخيراً كل ما فعلته أني مشيتُ إلى لكسنغتن واستقللت القطار النفقي إلى غراند ستترال. كانت أمتعتي هناك وكل شيء، وفكّرتُ في النوم في قاعة الانتظار الجنونية تلك حيث توجد كل تلك المقاعد. فذلك ما فعلت حقاً. لم يكن ذلك بالأمر الشديد السوء لفترة من الوقت لأنه لم يكن هناك الكثير من الناس في المكان ولم أتمكن من رفع ساقَيَّ. لكني لا أشعر برغبة شديدة في مناقشة هذا الأمر. لم يكن شيئاً مريحاً. لا تجرّبه. أنا جادّ. سوف يُسبب لك الابتئاس.

نمتُ فقط حتى الساعة التاسعة لأنَّ مليون شخص بدؤوا بالتوافد إلى قاعة الانتظار واضطررتُ إلى إنزال قدمَيّ، إذْ لا أستطيع أنْ أستغرق في النوم وأنا أحتفظ بقدمَيّ على الأرض. لذلك نهضتُ. كان الصداع لا يزال ينتابني. بل ازداد سوءاً. وأعتقد أني أصبحت أشد ابتئاساً مما كنتُ في أي وقت من حياتي.

لم أرغب في ذلك، ولكني بدأتُ أفكر في العجوز السيد أنطوليني وتساءلتُ عمّا سيقوله للسيدة أنطوليني عندما ستجد أني لم أنم هناك أو أي شيء. لكنَّ ذلك الجزء لم يُقلقني كثيراً، لأني كنتُ أعلم أنَّ السيد أنطوليني شديد الذكاء وفي استطاعته أنْ يُلفِّق شيئاً يُخبرها إياه. يمكنه أنْ يقول لها إني ذهبتُ إلى المنزل أو ما شابه. ذلك الجزء لم يُقلقني كثيراً. أما ما أقلقني حقاً

فالجزء المتعلق بكيف استيقظتُ ووجدتُه يمسّد على رأسي وكل ذلك. أعني أني تساءلتُ أنه فقط ربما كنتُ مُخطئاً بشأن اعتقادي أنه كان يقوم بتصرُّف شاذ للتودُّد إليّ. تساءلتُ أنه ربما فقط كان يحب أنْ يُمسّد على رؤوس النائمين. أعني كيف يمكن أنْ تتأكّد من مثل هذا الأمر؟ لا تستطيع. بل لقد تساءلتُ إنْ كان عليَّ ربما أنْ أحصل على أمتعتي وأعود إلى منزله، كما كنتُ قد قلت إني سأفعل. أعني أني بدأتُ أفكِّر في أنه حتى وإنْ كان قد تصرَّفَ بشذوذ فإنه من دون شك كان لطيفاً معي. وتذكّرت كيف أنه لم يُمانع في الاتصال به في وقتٍ متأخر، وكيف طلب مني أنْ آتي إليه إذا رغبتُ في ذلك. وكيف أزعجَ نفسه بإسداء النصيحة لي بشأنْ معرفة حجم عقلي وكل ذلك، وكيف أنه كان الشخص الوحيد الذي *اقتربَ* من ذلك الفتى جيمس كاسل الذي حكيتُ لك عنه عندما مات. فكّرت في ذلك كله. وكلما فكّرتُ أكثر، ازداد إحساسي بالابتئاس. أعني أني بدأتُ أعتقد أنه ربما يجب أنْ أعود إلى منزله. ربما كان فقط يُداعب رأسي لمجرد المداعبة. ولكن كلما أمعنتُ في التفكير ازددتُ كآبة وانزعاجاً عن ذي قبل. وما زاد الطين بِلّة أنَّ عينيّ تقرّحتا بشدّة. تقرّحتا وكانتا تحرقانني من قلّة النوم. ثم إني بدأتُ أُصاب بما يُشبه الرشح، ولم يكن معي حتى منديل لعين. كان معي بعضها في حقيبتي، ولكنّي لم أرغب في إخراجها من العلبة الحديدية وفتْحها أمام الملأ وكل شيء.

كان على المقعد مجلة تركها أحدهم بجواري، فبدأتُ أقرأها، معتقداً أنها ستُلهي عقلي عن التفكير في السيد أنطوليني وفي مليون شيء آخر ولو قليلاً. لكنَّ تلك المقالة اللعينة التي باشرتُ في قراءتها جعلت وضعي أسوأ. كانت تدور كلها حول الهورمونات، وتصف كيف يجب أنْ يبدو وجهك وعيناك وما إلى ذلك، إذا كانت هورموناتك في وضعٍ جيد، وأنا لم أبدُ كذلك قط. بدوتُ بالضبط كشخصٍ صاحب هورمونات رديئة. لذلك بدأ القلق ينتابني بشأن هورموناتي. ثم قرأتُ مقالة أخرى عن كيف تعرف إنْ كنتَ مُصاباً بالسرطان أم لا. وتقول إنه إذا كنتَ مُصاباً بتقرّحات في فمك لم تشفَ بسرعة، فذلك دلالة ربما على أنك مُصاب بالسرطان. وكنتُ قد أُصِبتُ بتقرُّحٍ على جانب شفتي بقيَ مدة أسبوعَين. لذلك تخيَّلتُ عن فكرة كوني مُصاباً بالسرطان. تلك المجلة كانت ترفع المعنويات قليلاً. وأخيراً

تركتُ القراءة وخرجت لأتمشّى. تصورت أني سأموت في غضون شهرَين لأني مُصاب بالسرطان. تصوّرتُ هذا حقاً. وكنتُ متأكداً من ذلك. وهذا حتماً أزعجني كثيراً.

بدا كأنها ستُمطر، لكنني مع ذلك خرجتُ لأتمشّى. لسبب واحد وهو أني تصورت أنّي يجب على الأقلّ أنْ أتناول إفطاراً. لم أكن جائعاً مطلقاً، لكني رأيت أني يجب أنْ آكل شيئاً. أعني أنْ أتناول شيئاً يحتوي فيتامينات. لذلك بدأتُ أمشي باتجاه الشرق، حيث تقع المطاعم الرخيصة حقاً، لأنني لم أرغب في إنفاق الكثير من النقود.

بينما كنتُ أمشي، مررتُ بشخصين يُفرغان شجرة عيد ميلاد كبيرة عن سيارة شاحنة. وكان أحدهما يقول لصاحبه «ارفع بنت الحرام إلى *فوق!* ارفعها إلى *فوق* إكراماً لله!». لقد كانت حتماً طريقة عظيمة للتحدث عن شجرة الميلاد. لكنها كانت مُضحكة، بطريقة فظيعة، وبدأتُ أضحك. كان ذلك *أسوأ* ما يمكن أنْ أفعله، لأنه ما إنْ بدأتُ أضحك حتى شعرتُ بأني سأتقيّأ. حقاً. بل لقد باشرت في ذلك، لكنَّ الشعور زال. لا أدري لماذا. أعني أني لم أكن قد أكلتُ شيئاً غير صحي أو ما شابه وفي المعتاد أنا صاحب معدة قوية. على أي حال، تغلّبت عليه، ورأيتُ أني سأشعر بتحسُّن إذا ما أكلتُ شيئاً. فدخلت مطعماً يبدو رخيصاً جداً وطلبتُ فطيرة مُحلاة وقهوة. لكني لم آكل الفطيرة المُحلاة. لم أقوَ على ابتلاعها جيدًا؛ ما في الأمر هو أنه عندما تكون محبطاً بسبب شيء ما، فإن عملية الابتلاع تصبح جحيماً. لكن النادل كان شديد اللطف. فقد استعادها من دون أنْ يتقاضى ثمنها. واكتفيت بشرب القهوة. ثم غادرت وبدأتُ أمشي باتجاه الجادة الخامسة.

كان يوم إثنين وكل شيء، وعيد الميلاد يقترب، والمحلات التجارية كلها تفتح أبوابها. لذلك لم يكن السير في الجادة الخامسة بالأمر السيئ. كان جو عيد الميلاد سائداً؛ وكل الذين يرتدون زي سانتا كلوز يقفون عند منعطفات الشوارع يقرعون تلك الأجراس، وفتيات جيش الخلاص، اللائي لا يضعن أي أحمر شِفاه أو أي شيء، يقرعن الأجراس أيضاً. ورحت أتلفَّت حولي بحثاً عن الراهبتين اللتين قابلتهما على مائدة الإفطار قبلها بيوم، لكني لم أعثر عليهما. كنتُ أعلم أني لن أجدهما، لأنهما قالتا لي إنهما جاءتا إلى

نيويورك لتصبحا مدرّستين في مدرسة، لكني مع ذلك لم أكفّ عن البحث. على أي حال، أصبح الجو كله فجأةً جو عيد الميلاد. ومليون طفل كانوا في وسط المدينة مع أمهاتهم، يستقلون ويترجلون من الحافلات ويخرجون ويدخلون المحال التجارية. وتمنيت لو تكون فيبي معي. إنها لم تعد صغيرة إلى درجة التدلّه بقسم الدُمى، لكنها تستمتع باللهو والتفرُّج على الناس. وفي عيد الميلاد قبل السابق رافقتها إلى السوق لتتبضَّع معي. وأمضينا وقتاً ممتعاً جداً. أعتقد أننا زرنا محلات بلومنغديل. ولجنا قسم الأحذية وادّعينا أنها -أي العزيزة فيبي- تريد زوجاً من الأحذية من النوع الرائج جداً، الذي له حوالي مليون ثقب يجب عقدها برباط. وجعلنا البائع المسكين يخرج عن طوره. جرَّبتِ العزيزة فيبي ما يُقارب العشرين زوجاً، وفي كل مرة كان المسكين يضطر إلى عقد الأربطة كلها وحتى أعلى. كانت خدعة قذرة، لكنها أسعدت العزيزة فيبي كل السعادة. وأخيراً اشترينا زوجاً من حذاء خفيف ودفعنا ثمنه. وتصرَّفَ البائع بلطفٍ شديد في ذلك. أعتقد أنه كان يعلم أننا كنا نعبث، لأنَّ فيبي العزيزة كانت دائماً تبدأ بالقهقهة.

على أي حال، ظللتُ أمشي وأمشي على طول الجادة الخامسة، من دون أيّة ربطة عنق أو أي شيء. وفجأة بدا كأنَّ أمراً مُخيفاً يحدث. فكلّما وصلتُ إلى نهاية مبنى ونزلتُ عن حافّة الرصيف اللعينة ينتابني ذلك الإحساس بأني لن أصل إلى الطرف المقابل من الشارع. كنتُ أحسبُ أني سأهبط إلى أسفل، فأسفل، فأسفل، ولن يراني أحد بعد ذلك. يا إلهي، كم خفت. لا تستطيع أنْ تتصور. وبدأتُ أتصبب عرقاً غزيراً – وتبلّل قميصي كله وملابسي الداخلية وكل شيء. ثم بدأتُ أفعل شيئاً آخر؛ كلما وصلت إلى نهاية بناء أتصوَّر أني أتحدث مع أخي آلي، وأقول له «آلي، لا تدعني أختفي. آلي، لا تدعني أختفي. آلي، لا تدعني أختفي. أرجوك، يا آلي». ومن ثم، عندما أصل إلى الطرف المقابل من الشارع ولا أختفي، أشكره. ثم يبدأ الأمر كله من جديد حالما أنتقل إلى ناصية الشارع التالي. لكني تابعتُ طريقي وكل شيء. أعتقد أني كنتُ خائفاً قليلاً من أنْ أتوقّف- لا أتذكَّر، إذا أردتَ الحقيقة. ما أعرفه هو أني لم أتوقَّف إلى أن دخلت في الشارع رقم ستين، مروراً بحديقة الحيوان وكل شيء. ثم جلست على أحد

المقاعد. كنت بالكاد ألتقط أنفاسي، وكنتُ لا أزال أتصبب عرقاً غزيراً. أعتقد أني جلستُ هناك مدة ساعة تقريباً. وأخيراً، ماذا قررت أنْ أفعل، قررتُ أنْ أرحل. قررت أن لا أعود إلى المنزل من جديد وألا ألتحق بأيّة مدرسة أخرى بعد الآن. قررت أنْ أقابل العزيزة فيبي فقط وأودّعها وكل ذلك، وأُعيد إليها نقود عيد الميلاد، ومن ثم أعود إلى الانطلاق غرباً والسفر تطفّلاً. ما سأفعل، في اعتقادي، هو أني سأذهب إلى نفق هولاند وأستجدي انتقالاً بالسيارة، ومن ثم أستجدي انتقالاً آخر، ثم آخر، وفي غضون بضعة أيام سوف أصل إلى مكانٍ ما في الغرب يغمره الجمال وأشعة الشمس وحيث لا أحد يعرفني فيه وأحصل على عمل. وتصوّرتُ أني أستطيع أنْ أحصل على عمل في محطة وقود في مكان ما، لملء سيارات الناس بالغاز والوقود. ولكن لم يكن يهمني نوع العمل، ما دام الناس لا يعرفونني ولا أعرف أحداً. وتصورت أني سأتظاهر بأني أحد أولئك الصُم والبُكم. وبتلك الطريقة لن أضطر إلى إجراء أي حديث لعين أحمق عديم الفائدة مع أحد. وإذا أراد أحد أنْ يُخبرني شيئاً، فسوف يُضطر إلى كتابته على قطعة من الورق وإعطائي إياها. وبعد قليل سوف يملّون بشدّة التعاون معي بذلك الأسلوب، ومن ثم سوف أمتنع عن إجراء أي حديث حتى آخر حياتي. وسيعتقد الجميع أني مجرد ابن حرام أصمّ وأبكم مسكين وسوف يدعونني وشأني. سوف يدعونني أملأ سياراتهم بالغاز والوقود، وسوف يدفعون لي راتبي وكل ذلك، وسوف أبني مقصورة صغيرة في مكان ما بالنقود التي سأجمعها وأعيش هناك حتى آخر حياتي. سوف أبنيها بالقرب من الغابة، ولكن ليس داخلها، لأني سأرغب في أنْ أتعرَّض لأشعة الشمس طوال الوقت. سوف أعدُّ طعامي كله، ولاحقاً، إذا رغبت في الزواج أو ما شابه. سوف أقابل فتاة جميلة وهي أيضاً صمّاء وبكماء ونتزوج. سوف تأتي لتعيش معي في المقصورة، وإذا أرادت أنْ تقول لي أي شيء، سوف يتوجب عليها أنْ تكتبه على قطعة لعينة من الورق، كأي شخص آخر. وإذا رُزقنا بأطفال، سوف نخبئهم في مكانٍ ما. ويمكننا أنْ نشتري لهم الكثير من الكتب ونعلّمهم القراءة والكتابة بأنفسنا.

تحمّستُ بقوة وأنا أفكّر في ذلك. تحمّستُ حقاً. كنتُ أعلم أنَّ الجزء

المتعلّق بادّعاء الصمم والبكم أمر جنوني، ولكني مع ذلك أحببتُ التفكير في الأمر على تلك الصورة. ولكني قرّرت حقاً أنْ أتجه غرباً وكل ذلك. وكل ما أردتُ أنْ أفعل أولاً هو أنْ أودِّع العزيزة فيبي. وهكذا فجأةً، رحت أركض كالمجنون عبر الشارع -وكدتُ أُقتَل، إذا أردتَ الحقيقة- وولجتُ محلاً لبيع القرطاسية واشتريت مجموعة من أوراق الكتابة وقلم رصاص. ورأيتُ أنْ أكتب لها رسالة أبلغها فيها عن المكان الذي سنلتقي فيه لكي أودّعها وأعيد إليها نقود عيد الميلاد خاصتها، ومن ثم سآخذ الرسالة إلى مدرستها وأبلّغ أحدهم في مكتب المدير أنْ يُسلمها إياها. لكني اكتفيت بوضع الورق وقلم الرصاص في جيبي وانطلقتُ أمشي بسرعة قُصوى قاصداً مدرستها - كنتُ من فرط الحماس بحيث عجزت عن الكتابة في محل القرطاسية. ومشيتُ بسرعة لأني أردتها أنْ تستلم الرسالة قبل أنْ تعود إلى المنزل لتناول طعام الغداء، ولم يكن قد تبقّى لديّ الكثير من الوقت.

كنتُ أعرف مكان مدرستها، طبعاً، لأني ذهبتُ إلى هناك وأنا طفل صغير. وعندما وصلتُ انتابني شعور غريب. لستُ متأكّداً من أني أتذكّر شكل المكان في الداخل، لكني تذكّرت. كان بالضبط كما وجدته عندما زرتها أول مرة. كان لديهم ذلك الفناء الرحب نفسه الذي يعمّه الظلام دائماً، والأقفاص التي تُحيط بمصابيح النور لكي لا تنكسر إذا ما تلقّت ضربة من كرة. وكان لديهم الدوائر البيضاء نفسها المرسومة على الأرض، من أجل الألعاب وما شابه. وحلقات أهداف لعبة كرة السلة نفسها ولكن بلا شبكات - لم تكن هناك إلا اللوحات الخشبية والحلقات.

كان المكان خالياً تماماً، ربما لأنها لم تكن فترة استراحة، ولم يحن أيضاً وقت تناول طعام الغداء بعد. كل ما شاهدته كان طفلاً صغيراً، طفلاً داكن البشرة، في طريقه إلى المرحاض. وثمة بطاقة خشبية تبرز من جيبه الجانبي، كالتي كنا نحصل عليها، لنبيّن أنّنا حصلنا على الإذن وكل ذلك لنذهب إلى المرحاض.

كان العرق يُسربلني، ولكن ليس بشكل سيئ جداً. تقدَّمتُ من الدرَج وجلستُ على الدَرَجة الأولى وأخرجت مجموعة الأوراق وقلم الرصاص التي اشتريتها. وكان للدَرَج الرائحة نفسها التي شممتها في المرة الأولى.

وكأنَّ هناك مَن تبوَّلَ عليها تواً. ودَرَج المدرسة دائماً يفوح بمثل تلك الرائحة. على أي حال، جلستُ هناك وطفقتُ أكتب الرسالة:

عزيزتي فيبي،

لا أستطيع انتظار مجيء يوم الأربعاء أكثر من هذا، لذلك قد أتجه غرباً باستجداء وسيلة تنقل ابتداءً من بعد ظهيرة هذا اليوم. قابليني في متحف الفن بالقرب من الباب عند الساعة الثانية عشرة إلا ربعاً إنْ استطعتِ وسوف أُعيد إليك نقود عيد الميلاد. لم أُنفق منها الكثير.

مع حبي،
هولدن.

كانت مدرستها تقع مباشرة بالقرب من المتحف، وعلى أي حال لابد أنْ تمرَّ بها في طريق عودتها إلى المنزل لتناول وجبة الغداء، لذلك كنتُ أعلم أنَّ في استطاعتها أنْ تقابلني.

ثم بدأتُ أرتقي الدَرَج إلى مكتب المدير لكي أعطي الرسالة إلى أحدهم ليوصِلها إليها في غرفة الدرس. طويتها حوالي عشر مرات لكي لا يفتحها أحد. لا يمكن الوثوق بأحد في مدرسة لعينة. لكني كنتُ متأكداً من أنهم سوف يُسلِّمونها إيّاها بما أني أخوها وكل ذلك.

ولكن بينما كنتُ أرتقي الدَرَج انتابتني من جديد فجأة رغبة بالتقيّؤ. لكني لم أفعل. جلستُ برهة، ثم شعرت بتحسُّن. ولكن في أثناء جلوسي، رأيتُ شيئاً أثار جنوني. لقد كتب أحدهم عبارة «يا مَنْيَك» على الحائط. كدتُ أفقد عقلي. وفكّرت كيف أنَّ فيبي وباقي الأطفال الصِغار يمكن أنْ يروها، وكيف أنهم قد يتساءلون عن معناها، ومن ثم قد يُخبرهم أحد الأطفال القذرين -وكلهم مجانين بالفطرة- عن معناها، وكيف سيفكرون جميعاً فيها وقد ينتابهم *القلق* بشأنها بعض الوقت. وبقيتُ أرغب في قتل كاتبها. وتصورت أنه أحد المتسكّعين المنحرفين تسلل إلى المدرسة في وقتٍ متأخر من الليل ليتبوَّل أو ما شابه ومن ثم كتبها على الجدار. وظللتُ أتخيَّل نفسي ممسِكاً به، وأُحطِّم رأسه على الدَرَج الحجري إلى أنْ يموت ويتخبّط بالدماء. ولكن كنتُ أعلم أيضاً عِلم اليقين أنني لا أتحلّى بالشجاعة اللازمة لفعل

ذلك. كنتُ أعلم. وهذا ما جعلني أشدّ إحباطاً. بل لم تكن لديّ الشجاعة لأمسحها عن الجدار *بيدي*، إذا أردتَ الحقيقة. كنتُ أخشى أنْ يقبض عليَّ أحد الأساتذة متلبّساً ويعتقد أني *أنا* كاتبها. لكني مع ذلك مسحتها أخيراً. ثم ارتقيت إلى مكتب المدير.

بدا أنَّ المدير ليس في مكتبه، ولكن كانت هناك سيدة عجوز في نحو المِئة من العمر جالسة أمام آلة كاتبة. أخبرتها بأني أخو فيبي كولفيلد، تلميذة في 4 ب – 1، وطلبتُ منها أنْ تتفضّل وتسلّمها الرسالة. قلت إنه أمر غاية في الأهمية لأنَّ أمي مريضة ولم تُعد غداءً لفيبي وأنها يجب أنْ توافيني وتتناول طعام الغداء معي في متجر العقاقير. وقد عاملتني بلطفٍ ضافٍ في هذا الأمر، أعني السيدة العجوز. أخذت الرسالة مني ونادت على سيدةٍ أخرى من غرفة المكتب المجاور، وذهبت السيدة الأخرى لتعطيها لفيبي. ومن ثم ثرثرنا أنا والسيدة العجوز التي تبلغ حوالي مِئة عام من العمر لبعض الوقت. كانت لطيفة جداً، وأخبرتها كيف أني أنا أيضاً سألتحق بالمدرسة وكذلك إخوتي. فسألتني إلى أيّة مدرسة أنتسب الآن، فقلت لها بنسي، فقالت إنَّ بنسي مدرسة جيدة جداً. حتى لو أردتُ لما توفّرت لدي القوة لتعديل رأي المرأة. ثم، إذا اعتقدتْ أنَّ بنسي مدرسة جيدة جداً، فليكن. إنَّ المرء يكره أنْ ينقل معلومة *جديدة* لشخص يبلغ نحو المِئة عام من العمر، لأنه لن يرغب في سماعها. وبعد قليل، غادرت. كان حديثاً مضحكاً. وهتفَتْ لي «حظاً موفقاً!» كما فعل العجوز سبنسر عندما غادرت بنسي. يا الله، كم أكره مَنْ يهتف لي «حظاً موفّقاً!» لدى مغادرتي أي مكان. شيء مُحبط.

نزلت من درجٍ آخر، ورأيت عبارة «يا مَنْيَك» أخرى على الجدار. حاولتُ أنْ أمسحها بيدي من جديد، ولكن هذه العبارة كانت محفورة بسكين أو ما شابه. لم تزُل. لا فائدة على أي حال. حتى لو أمضيتَ مليون عام في مسحها، لما استطعت أنْ تمسح حتى نصف عبارات «يا مَنْيَك» التي في العالم أجمع. أمر مستحيل.

نظرت إلى ساعة الجدار في فناء الاستراحة، فوجدتها لم تتجاوز الثانية عشرة إلا ثلث، لذلك كان أمامي الكثير من الوقت لأبدِّده قبل أنْ أقابل فيبي. لكني تابعت طريقي إلى المتحف مع ذلك. لم يكن هناك أي مكان آخر

أذهب إليه. وفكّرت في أنْ أتوقف عند مقصورة هاتف وأتصل بالعزيزة جين غالاغر قبل أنْ أبدأ بالتسكّع باتجاه الغرب، لكني لم أكن في مزاج ملائم. لسبب وحيد هو أنني لم أكن متأكداً من أنها عادت إلى المنزل وبدأتْ عطلتها بعد. لذلك اتجهت نحو المتحف، لأتمشى هناك.

بينما كنتُ أنتظر وصول فيبي إلى المتحف، داخل المكان وفي أرجائه، اقتربَ مني طفلان صغيران وسألاني إنْ كنتُ أعرف أين هي المومياءات. الطفل الذي سأل كان بنطلونه مفتوحاً. فلفتُّ نظره إلى ذلك. فقام بتثبيت أزراره حيث كان واقفاً يُكلّمني - لم يُزعج نفسه حتى باللجوء خلف العمود أو أي شيء. وهذا ما أثار اشمئزازي. كان يمكن أنْ أضحك، لكني خفتُ أنْ أشعر برغبة في التقيّؤ من جديد، ولم أضحك. وسألني الطفل من جديد «أين المومياءات، يا صاح؟ أتعرف؟»

لهوتُ مع الطفلين قليلاً. سألتُ ذلك الطفل «أتسأل عن المومياءات؟ عن مكانها؟»

«أنت تعرفها. المومياءات - الأشخاص الموتى. المدفونون في الضرح وكل ذلك»

ضرح. كدت أضحك. كان يعني الأضرحة.

قلت «لماذا لستما أنتما الاثنان في المدرسة؟»

قال الطفل الذي تولى أمر الكلام كله «ما في مدرسة اليوم». كان ابن الحرام يكذب، كنتُ متأكداً تماماً. ولكن لم يكن لدي ما أفعله، حتى وصول فيبي، فساعدتهما على إيجاد مكان المومياءات. يا إلهي، كنتُ عادة أعرف مكانها بالضبط، لكني لم أزر ذلك المتحف منذ سنوات مضت.

قلت «هل أنتما مهتمان كثيراً بالمومياءات؟»

«نعم»

قلت «ألا يستطيع زميلك أنْ يتكلَّم؟»

«إنه ليس زميلي. إنه أخي»

«ألا يستطيع الكلام؟». نظرت إلى ذاك الذي لم ينطق بأي كلمة. سألته «ألا تستطيع أنْ تتكلّم أبداً؟»

قال «نعم، ولكن لا أرغب في ذلك»
أخيراً عثرنا على مكان المومياءات، ودخلنا.
سألت الطفل الذي يتكلّم «أتعرف كيف كان المصريون يدفنون موتاهم؟»
«كلا»

«حسن، يجب أنْ تعرف. الأمر مُثير جداً للاهتمام. إنهم يُدثرون وجوههم بقماشٍ مُعالَج بمادة كيميائية سرّية. وبتلك الطريقة استطاعوا أنْ يدفنوهم في أضرحتهم على مدى آلاف السنين من دون أنْ تتعفَّن وجوههم أو أي شيء. لا أحد غير المصريين يعرف كيف يفعلون ذلك. حتى بوجود العلم الحديث»

من أجل الوصول إلى مكان المومياءات كان يجب السير في ذلك الرواق الشديد الضيق الذي على طرفيه حجارة أُخِذَتْ من ضريح أحد الفراعنة وما إلى ذلك. كان شيئاً مُخيفاً حقاً، وكان واضحاً أنّ الشخصَين المرموقَين اللذين كنت برفقتهما لم يكونا يستمتعان كثيراً. التصقا بي بشدّة، والذي لم ينطق بأي كلمة كان قابضاً بلا مبالغة بكُمي. قال لأخيه «هيا نرجع. لقد رأيتهم من قبل. هيا، هيه». واستدار وفرَّ هارباً.

قال الطفل الآخر «إنّه شديد الجبن. وداعاً!»، وفرّ هارباً بدوره.

بقيتُ وحدي في الضريح. وأعجبني ذلك، بصورة ما. كان المكان جميلاً ويرين عليه السكون. ثم، فجأةً، لن تُخمّن ماذا رأيت على الحائط. عبارة «يا مَنْيَك» مكتوبة بالحبر الأحمر أو ما شابه، تحت الجزء الزجاجي مباشرة من الجدار، تحت الحجارة.

هذه هي المشكلة كلها. لا يمكنك أنْ تعثر على مكان جميل وهادئ، لأنه غير موجود. قد تعتقد أنه موجود، ولكن حالما تصل إلى هناك، وفي غفلة منك، يتسلَّل أحدهم ويكتب «يا مَنْيَك» تحت أنفك مباشرة. جرِّب ذلك مرة، بل أعتقد أني إذا متّ ودفنوني في القبر ووضعوا الشاهد عليّ وكل شيء مكتوب عليه «هولدن كولفيلد»، وتاريخ ميلادي وتاريخ وفاتي، فسوف يُكتَب تحت ذلك «يا مَنْيَك». أنا متأكّد، في الواقع.

بعد أنْ خرجتُ من مكان تواجد المومياءات، كان يجب أنْ أذهب إلى

المرحاض. كنتُ مُصاباً بما يُشبه الإسهال، إذا أردتَ الحقيقة. وليس الإسهال ما أثار قلقي الشديد، ولكن حدث أمر آخر. فلدى خروجي من المرحاض، وقبل أنْ أصل إلى الباب مباشرة، أغمي عليّ. لكنّي كنتُ محظوظاً. أعني أني لم أُقتَل عندما ارتطمتُ بالأرض، وما حدث هو أني استقررت على جنبي. لكنَّ الأمر كان غريباً، إذ شعرتُ بتحسُّن بعد أنْ أغمي عليّ. حقاً. صحيح أنَّ ذراعي آلمتني من السقطة، ولكن لم أعد أشعر بالدوار بعد ذلك.

كانت الساعة قد بلغت الثانية عشرة وعشر دقائق تقريباً، لذلك عدتُ ووقفتُ عند الباب وانتظرتُ العزيزة فيبي. فكّرتُ في كيف يمكن أنْ يكون آخر لقاء بيننا من جديد. أعني، هي أو أيّاً من أقربائي. تصوّرتُ أني ربما أراهم من جديد، ولكن ليس قبل مرور سنوات طويلة. أعتقد أني قد أعود إلى المنزل عندما أبلغ الخامسة والثلاثين، في حال مرضَ أحدهم ورغبَ في رؤيتي قبل أنْ يموت، ولكن سيكون ذلك السبب الوحيد الذي سيدفعني إلى مغادرة كوخي والعودة. كنتُ أعلم أنَّ أمي ستتوتّر كثيراً وتبدأ بالبكاء وتتوسل إليّ أنْ أبقى في البيت وألا أعود إلى كوخي، ولكني سأذهب في كل الأحوال. سأكون طبيعيّاً جداً. سوف أُهدِّئ من روعها، ومن ثم سأمشي إلى الطرف الآخر من غرفة الجلوس وأتناول علبة السجائر وأشعل منها سيجارة، بكل هدوء. سوف أطلب منهم جميعاً أنْ يقوموا بزيارتي أحياناً إذا رغبوا، ولكن لن ألحّ أو أي شيء. ماذا سأفعل، سوف أدعو العزيزة فيبي إلى المجيء لزيارتي خلال العطلة الصيفية وعطلة عيد الميلاد وعطلة عيد الفصح. وسوف أدَعُ د.ب يأتي لزيارتي فترة قصيرة إذا رغب في مكان جميل، وهادئ لكي يكتب، لكنه لن يستطيع أنْ يكتب أي فيلم في كوخي، سوف يؤِّلفُ فقط قصصاً وكُتُباً. وسوف أضع قاعدة مفادها لا يمكن لأحد أنْ يقوم بأي تصرُّف زائف أثناء زيارة أحد لي. وإذا حاولَ أحد أنْ يقوم بأي عمل زائف، فلن أسمح له بالبقاء.

فجأةً نظرت إلى ساعة الجدار في غرفة الإيداع فوجدتها الثانية عشرة وخمساً وثلاثين دقيقة. وبدأ الخوف يتسربُ إليّ من أنْ تكون السيدة العجوز في المدرسة قد أمرتْ تلك السيدة الأخرى ألا تسلِّم رسالتي إلى فيبي العزيزة. وبدأ الخوف يستولي عليّ من أنْ تكون ربما قد طلبت منها أنْ تحرقها أو ما شابه. أفزعني ذلك فزعاً شديداً حقاً. ورغبتُ في رؤية العزيزة

فيبي بشدة قبل أنْ أنطلق في طريقي. أعني أنه كانت في حوزتي نقودها الخاصة بعيد الميلاد وكل ذلك.

أخيراً، رأيتها. رأيتها من خلال الجزء الزجاجي من الباب. والسبب في رؤيتي لها أنها كانت تعتمر قبعة الصيد الجنونية - ويمكنك أنْ ترى تلك القبعة من على بُعد أميال.

خرجت من الباب وأخذتُ أهبط ذلك الدَرَج الحجري لكي أُقابلها. وما لم أفهمه هو أنها كانت تحمل حقيبتها الكبيرة. كانت قادمة عبر الجادة الخامسة، وتجرّ معها حقيبة السفر الضخمة اللعينة. كادت لا تقدر على جرّها. وعندما اقتربتُ منها، وجدتُ أنها حقيبة سفري القديمة، تلك التي كنتُ أستخدمها وأنا في مدرسة ووتن. ولم أفهم ماذا تفعله بها. عندما اقتربت مني قالت «هاي». كانت مقطوعة الأنفاس بسبب تلك الحقيبة اللعينة.

قلت «ظننتُ أنكِ لن تأتين. ماذا في تلك الحقيبة بحق الله؟ أنا لستُ في حاجةٍ إلى أي شيء. سوف أسافر كما أنا. لن آخذ حتى الحقيبتين اللتين تركتهما في المحطة. ماذا تضم؟»

وضعت الحقيبة على الأرض. قالت «فيها ملابسي. أنا ذاهبة معك. ألا أستطيع؟ أوكيه؟»

قلت «ماذا؟»، كدتُ أقع على الأرض عندما قالت ذلك. أقسم أني كدتُ أفعل. أصابني ما يُشبه الدوار وظننتُ أنه سيُغمى عليّ أو ما شابه من جديد.

«لقد أنزلتها من المصعد الخلفي لكي لا يراني تشارلي. ليست ثقيلة. كل ما وضعته فيها ثوبَان وحذاء الموكاسان وملابس داخلية وجورباً وبعض الأشياء الأخرى. احملها. إنها ليست ثقيلة. احملْها مرة واحدة... ألا أستطيع أنْ أرحل معك؟ هولدن؟ ألا أستطيع؟ *أرجوك*»

«كلا. اخرسي»

حسبتُ أنه سيُغمى عليّ تماماً. أعني لم أكنْ أقصد أنْ أقول اخرسي وكل ذلك، ولكني ظننتُ أنه سيُغمى عليّ مرة أخرى.

«لِمَ لا أستطيع؟ *أرجوك*، هولدن! لن أفعل شيئاً - أنا فقط سأرافقك، هذا كل شيء! لن آخذ معي حتى ملابسي إن لم تردني أن أفعل ذلك-سآخذ فقط-»

«لا يمكنكِ أنْ تأخذي أي شيء. لأنكِ لن تذهبي. أنا ذاهب وحدي. فاخرسي»

«أرجوك، هولدن. *أرجوك* دعني أذهب. سأكون عاقلة جداً، جداً، جداً -حتى إنكَ لن-»

قلت «لن *تذهبي*. والآن اخرسي! أعطني هذه الحقيبة»، وانتزعت الحقيبة منها. كنتُ على استعداد لضربها. وأعتقد أني خلال لحظة أو اثنتين أوشكتُ أنْ أصفعها. فعلاً.

بدأتْ تبكي.

قلت «اعتقدتُ أنه من المفترض أنْ تُشاركي في مسرحية تُعرَض في المدرسة وما إلى ذلك. اعتقدتُ أنه من المفترض أنْ تقومي بدور بنيديكت أرنولد في تلك المسرحية». قلتُ ذلك بحقارة شديدة. «ماذا تريدين أنْ تفعلي؟ لا تريدين أنْ تشتركي في المسرحية؟». هذا الكلام دفعها أكثر إلى البكاء. وكنتُ سعيداً. وفجأةً أردتُ لها أنْ تبكي حتى تنهار عيناها حرفياً. وكدتُ أكرهها. أعتقد أني كرهتها في المقام الأول لأنها لن تشترك في تلك المسرحية أبداً إذا رحلت معي.

قلت «هيا»، وباشرت في ارتقاء الدَرَج إلى المتحف من جديد. أعتقد أنَّ ما كنتُ سأفعله هو أنْ أودع الحقيبة التي جلبتها معها غرفة الإيداع، ومن ثم كان في استطاعتها أنْ تستعيدها في الساعة الثالثة، بعد انتهاء دوام المدرسة. كنتُ أعلم أنها لن تستطيع أنْ تصطحبها معها إلى المدرسة. قلت «هيا، الآن»

لكنها لم ترتق الدَرج معي. رفضتْ أنْ ترافقني. لكني ارتقيت مع ذلك، وأخذتُ الحقيبة إلى غرفة الإيداع ووضعتها هناك، ثم نزلتُ من جديد. كانت لا تزال واقفة هناك على الرصيف، لكنها أدارت ظهرها لي عندما اقتربتُ منها. تستطيع أنْ تفعل ذلك. تستطيع أنْ تدير ظهرها لي عندما ترغب في ذلك.

قلت «لن أرحل إلى أي مكان. لقد غيَّرتُ رأيي. فكُفّي عن البكاء واسكتي». الغريب في الأمر هو أنها لم تكن حتى تبكي عندما قلتُ ذلك. لكني قلته في كل الأحوال. «هيا، الآن. سأرافقك إلى المدرسة. هيا، الآن. ستتأخرين»

رفضت أنْ تردّ عليّ أو أي شيء. وحاولت أنْ أمسك بيدها العزيزة، لكنها رفضت أنْ تسمح بذلك. وبقيت تُشيح بوجهها عني.

سألتها «هل تناولت غداءك؟ ألم تتناولي غداءك بعد؟»

لم تُجب. كل ما فعلته أنها نزعت قبعة الصيد الحمراء -التي أعطيتها إياها- وكادت تضرب وجهي بها. ومن ثم عادت لتعطيني ظهرها. وكاد ذلك يقتلني، لكني لم أفه بأية كلمة. اكتفيتُ بالتقاطها ووضعتها في جيب معطفي.

قلت «هيا، هيه. سأرافقك إلى المدرسة»

«لن *أعود* إلى المدرسة»

لم أدرِ ماذا أقول عندما قالت ذلك. بقيتُ واقفاً هناك قليلاً.

«يجب أنْ تعودي إلى المدرسة. ألا تريدين أنْ تشتركي في تلك المسرحية؟ ألا تريدين أنْ تلعبي دور بنيديكت أرنولد؟»

«كلا»

قلت «طبعاً تريدين. حتماً تريدين. هيا، الآن، هيا بنا. أولاً، أنا لن أذهب إلى أي مكان، كما أخبرتك؛ أنا ذاهب إلى المنزل. سأعود إلى المنزل حالما تعودين إلى المدرسة. أولاً سأذهب إلى المحطة لأحضر حقيبتيّ، ومن ثم سأتوجه مباشرة إلى -»

قالت «قلتُ لن أعود إلى المدرسة. تستطيع أنْ تفعل ما تشاء، أما أنا فلن أعود إلى المدرسة. فاخرس». كانت تلك المرة الأولى التي تطلب مني فيها أنْ أخرس. بدت فظيعة. يا إلهي، كم بدت عبارة فظيعة. بل بدت أسوأ من السبّ. وظلّت ممتنعة عن النظر إليّ، وكلما حاولتُ أنْ أضع يدي على كتفها أو ما شابه، تنفر مني.

سألتها «اسمعي، هل ترغبين في التمشية؟ هل ترغبين في التمشية حتى حديقة الحيوان؟ إذا لم أجعلكِ تعودين إلى المدرسة بعد ظهر هذا اليوم ونتمشّى، فهل تكفّين عن هذا السلوك الجنوني؟»

لم تُجبني، فأعدتُ السؤال. «إذا تركتكِ تتغاضين عن الذهاب إلى المدرسة بعد ظهر هذا اليوم وذهبنا لنتمشّى قليلاً، فهل تكفّين عن هذا السلوك الجنوني؟ هل تعودين إلى المدرسة غداً كأي فتاة مؤدبة؟»

قالت «ربما نعم وربما لا». ثم انطلقت تركض بسرعة لتقطع الشارع، من دون حتى أنْ تنظر لترى إنْ كانت هناك سيارات قادمة. أحياناً تصبح مجنونة.

لكني لم ألحق بها. كنتُ أعلم أنها هي التي ستتبعني، لذلك مشيت في اتجاه وسط المدينة باتجاه حديقة الحيوان، على الجانب الذي تقع فيه الحديقة العامة من الشارع، فبدأتْ تسير في اتجاه وسط المدينة على الجانب اللعين *الآخر* من الشارع. ورفضت تماماً أنْ تنظر ناحيتي، ولكني فهمت أنه لعلها تراقبني من زاوية عينها المجنونة لترى في أي اتجاه أذهب وكل ذلك. على أي حال، بقينا نسير هكذا حتى وصلنا حديقة الحيوان. الشيء الوحيد الذي أزعجني هو عندما مرت إحدى الحافلات ذات الطابقين وذلك لأنني لم أعد أستطيع أنْ أرى عبر الشارع ولم أرَ أين أصبحت. ولكنْ عندما وصلنا حديقة الحيوان، هتفتُ لها «فيبي! أنا سأدخل حديقة الحيوان! هيا، الآن!». ولم تنظر إليّ، لكني فهمت أنها سمعتني، وعندما بدأتُ أهبط الدرج إلى الحديقة استدرتُ فرأيتها تعبر الشارع وتتبعني وكل شيء.

لم يكن هناك الكثير من الناس في حديقة الحيوان لأنه كان يوماً كاسداً، ولكن كان هناك عدد منهم حول بركةِ سباحةِ أسودِ البحر وكل ذلك. وبدأتُ أمرُّ بجوارها، لكنَّ العزيزة فيبي توقفت لكي تتفرَّج على أسود البحر وهي تأكل -كان هناك رجل يرمي لها سمكاً- فعدتُ أدراجي. ورأيتُ أنها فرصة جيدة للّحاق بها وكل ذلك. فتقدّمت ووقفتُ خلفها ووضعت يديّ على كتفيها، لكنها أحنت رُكبتيها وانزلقت مبتعدة عني - لقد قلتُ لكَ إنه يمكنها أنْ تكون مزعجة جداً إذا شاءت. وظلّت واقفة هناك بينما أسود البحر تأكل ووقفتُ أنا خلفها. لم أضع يديّ على كتفيها من جديد أو أي شيء، لأنني لو فعلتُ لفرّت هاربة مني. الأطفال أمرهم غريب. يجب أنْ تنتبه إلى تصرفاتك معهم.

لم تمشِ بجواري بعد أنْ تركنا أسود البحر، لكنها لم تبتعد عني كثيراً. مشت على أحد جانبيّ الرصيف ومشيتُ أنا على الجانب المقابل. لم يكن شيئاً جيداً جداً، لكنه كان أفضل من جعلها تمشي على بُعد ميلٍ مني، كما فعلت في السابق. وذهبنا لمشاهدة الدببة، فوق تلٍ صغير، لبعض الوقت، ولكن لم يكن هناك الكثير يستحق المشاهدة. لم يكن هناك غير دب واحد في الخارج، الدب القطبي. أما الآخر، البُني، فكان داخل كهفه اللعين ولم يخرج.

لم يبدُ منه غير مؤخرته. وكان هناك طفل صغير يقف إلى جواري، ويضع قبعة راعي بقر تغطي أذنيه تماماً، وكان يُكرر على مسمع والده «اجعله يخرج، بابا، اجعله يخرج». نظرتُ إلى فيبي العزيزة، لكنها لم تضحك. أنت تعرف عندما يكون الأطفال غاضبين منك. إنهم يرفضون أنْ يضحكوا أو أي شيء.

بعد أنْ تركنا الدببة، غادرنا حديقة الحيوان واجتزنا ذلك الشارع الصغير في الحديقة العامة، ثم اخترقنا أحد تلك الأنفاق الصغيرة التي دائماً تفوح برائحة البول. كانت الطريق المؤديّة إلى لعبة الدوامة. وظلّت فيبي ترفض أنْ تكلّمني أو أي شيء، لكنها أصبحت تمشي قريبة مني. وأمسكتُ الحزام من خلف معطفها، بدون أي سبب، لكنها لم تدعني أفعل. قالت «أبعد يدك عني، من فضلك». كانت لا تزال غاضبة مني. ولكن ليس بقدر ما كانت قبل ذلك. على أي حال، أخذنا نقترب أكثر فأكثر من الدوّامة وبدأنا نسمع تلك الموسيقى المجنونة التي يديرونها دائماً. كان عنوانها «أوه، ميري!». وكانت تلك الأغنية رائجة قبل نحو خمسين عاماً عندما كنتُ *أنا* لا أزال طفلاً صغيراً. هذا واحد من الأشياء الرائعة في الدوامات، فهم دائماً يبثّون الأغاني نفسها.

قالت العزيزة فيبي «حسبتُ أنَّ الدوّامة تكون مغلقة في أيام الشتاء». كانت تلك المرة الأولى التي تقول فيها عملياً أي شيء. لعلها نسيت أنه من المفترض أنها غاضبة مني.

قلت «ربما لأنَّ عيد الميلاد اقترب موعده»

عندما قلت هذا لم تجب بأي كلمة. لعلها تذكّرت أنه من المفترض أنها غاضبة مني.

قلت «أتحبين أنْ تقومي بجولة عليها؟». كنتُ أعلم أنها ربما قامت بها. عندما كانت طفلة صغيرة، وكنا آلي ود.ب وأنا نذهب إلى الحديقة العامة ونأخذها معنا، كانت تولع بركوب الدوامة. لم تكن ترغب في الترجُّل عن اللعبة اللعينة.

قالت «أنا أكبر من أنْ أركبها». حسبتُ أنها لن تُجيب، لكنها أجابتْ.

قلت «كلا، لستِ كذلك. هيا. سأنتظرك. هيا». كنا قد وصلنا إليها حينئذٍ. كان هناك بعض الأطفال الصِغار يمتطونها، غالباً من الأطفال الصغار جداً،

وكان بعض الآباء ينتظرون في الخارج، يجلسون على المقاعد وكل شيء. وما فعلته كان أني صعدتُ إلى شباك التذاكر واشتريتُ لفيبي العزيزة بطاقة. ثم أعطيتها إياها. كانت تقفُ إلى جواري مباشرةً. قلت «هاكِ. انتظري لحظة – خذي باقي نقودك أيضاً». وبدأتُ أعطيها باقي النقود التي أقرضتني إياها.

قالت «احتفظ بها. احتفظ بها لأجلي»، ثم قالت بعد ذلك مباشرة، «– أرجوك»

شيء مُحزن عندما يقول لك أحدهم «أرجوك». أعني سواء أكانت فيبي أم شخصاً آخر. حزنت حزناً شديداً. لكني أعدتُ النقود إلى جيبي.

سألتني «ألن تركبَ أنتَ أيضاً؟». كانت تنظر إليّ نظرة غريبة. تفهم منها أنها لم تعُد شديدة الغضب مني.

قلت «قد أفعل في المرة القادمة. سأكتفي بمراقبتك. هل معك بطاقتك؟»

«نعم»

«اذهبي إذن – سأجلس على هذا المقعد هنا. سأراقبك». وذهبتُ وجلست على المقعد، وانتقلت هي إلى الدوامة. أخذت تدور حولها. أعني أنها مشت مرة واحدة حولها. ثم جلست على الحصان العجوز الكبير، البُني، ذي المظهر المتهرّئ. وبدأت الدوامة بالدوران، ورحتُ أتابعها وهي تدور وتدور. كان هناك فقط خمسة أو ستة أطفال على متنها، وكانت الأغنية المُصاحبة للدوامة هي «الدخان يدخل في عينيك». كانت تؤدّى بأسلوب جاز واضح وغريب. وحاول الأطفال كلهم أنْ يقبضوا على الحلقة الذهبية، وكذا فعلت العزيزة فيبي، وكنتُ أخشى أنْ تقع عن الحصان اللعين، لكني لم أقُلْ أي شيء أو أفعل أي شيء. إنَّ مشكلة الأطفال هي أنهم إذا أرادوا أنْ يقبضوا على الحلقة الذهبية، فعليك أنْ تتركهم يفعلون ذلك، وألا تقول شيئاً. فإذا سقطوا، فقد سقطوا، ولكن من السوء أنْ تقول لهم أي شيء.

بعد انتهاء الجولة ترجّلت عن الحصان وجاءت إليّ. قالت «اركب أنتَ جولة أيضاً، هذه المرة»

قلت «كلا، سأكتفي بمراقبتك. أعتقد أني سأكتفي بالمراقبة». ومن جديد أعطيتها المزيد من نقودها. «هاكِ، احصلي على مزيد من البطاقات»

أخذت النقود مني. قالت «أنا لم أعد غاضبة منك»
«أعلم. أسرعي – ستبدأ الجولة الجديدة من جديد»
وفجأةً منحتني قبلة. ثم مدّت يدها، وقالت «إنها تُمطر. لقد بدأتْ تُمطر»
«أعلم»
ثم ماذا فعلتْ –وتأثرتُ بذلك – مدَّت يدها إلى جيب معطفي وأخرجت منها قبعة الصيد الحمراء ووضعتها على رأسي.
قلت «ألا تريدينها *لنفسك*؟»
«يمكنك أنْ تضعها قليلاً»
«أوكيه. ولكن عجّلي، الآن. سوف تفوتك الجولة. ولن تحصلي على حصانك أو أي شيء»
لكنها ظلّت تتلكأ.
سألتني «أكنتَ جاداً فيما قلت؟ أحقاً لن ترحل؟ أحقاً ستعود إلى المنزل لاحقاً؟»
قلت «نعم»، وكنتُ جاداً أيضاً. لم أكذب عليها. كنتُ حقاً عائداً إلى المنزل لاحقاً. قلت «عجّلي إذن، الآن. الآلة تبدأ»
هرعت واشترت بطاقتها وعادت إلى الدوامة اللعينة في الوقت المناسب. وأخذت تمشي حولها إلى أنْ وجدتْ حصانها. ثم امتطته. لوّحتْ لي بيدها وأجبتها بتلويح من يدي.
يا إلهي، لقد بدأت تُمطر مطراً غزيراً. سيولاً، أُقسم بالله. وهرع الآباء والأمهات جميعاً ووقفوا تحت سقف الدوامة، لكي لا يُنقعوا حتى العظم أو أي شيء، لكني بقيتُ جالساً على المقعد مدة طويلة. وقد نُقعتُ حتى العظم، خاصة عنقي وملابسي الداخلية. ووفرت قبعة الصيد الكثير من الحماية، بصورة ما، لكنني نُقعتُ في كل الأحوال. ولم آبه. شعرتُ فجأةً بسعادةٍ غامرة وأنا أرى فيبي تدور وتدور. وكدتُ أن أبدأ بالبكاء، فقد كنت في غاية السعادة، إذا أردتَ الحقيقة. لا أدري لماذا. فقط لأنها بدتْ فائقة *الجمال*، وهي تدور وتدور، بمعطفها الأزرق وكل ذلك. يا الله، ليتكَ كنتَ معنا.

الفصل السادس والعشرون

هذا كل ما أنوي أنْ أخبرك به. وربما كان في وسعي أنْ أخبركَ عما فعلته بعد أنْ ذهبتُ إلى المنزل، وكيف مرضتُ وكل شيء، وعن المدرسة التي من المفترض أنْ ألتحق بها في الخريف القادم، بعد أنْ أرحل من هنا، ولكن ليستْ لديّ رغبة في ذلك. لا رغبة لدي حقاً. هذا الجزء لا يُثير اهتمامي كثيراً الآن.

كثيرٌ من الناس، خاصة ذلك المُحلل النفسي الذي لديهم هنا، لا ينفك يسألني إنْ كنتُ أنوي أن أصبح جادّاً عندما أعود إلى المدرسة في شهر أيلول القادم. يا له من سؤال أحمق، في رأيي. أعني كيف لي أنْ أعرف ماذا سأفعل إلا بعد أنْ *أفعله*؟ جوابي هو، لا أعرف. *أعتقد* أني متكيّف، ولكن كيف لي أنْ أعرف؟ أُقسِم أنه سؤال أحمق.

إنَّ د.ب ليس سيئاً مثل الباقين، لكنه لا ينِي يطرح عليّ الكثير من الأسئلة، أيضاً. لقد جاء بسيارته في يوم السبت الفائت مع فتاته الإنكليزية التي تمثّل في الفيلم الجديد الذي يكتبه. كانت شديدة التكلُّف، لكنها رائعة الجمال. على أي حال، في إحدى المرات بعدما ذهبت إلى المرحاض، الذي يقع بعيداً في الجناح الآخر، سألني د.ب عن رأيي في الأمر الذي أخبرتك به تواً. لم أعرف ماذا أقول. إذا أردتَ الحقيقة، لا *أعرف* ما هو رأيي. آسف لأني حكيت لأناس كثيرين عن الأمر. إنَّ كل ما أعرفه هو أنني أشتاق إلى كل شخص ذكرته. حتى العجوز سترادليتر وأكلي، مثلاً. أعتقد أني أشتاق حتى إلى موريس اللعين. أمر غريب. إياك أنْ تُخبر أحداً أيَّ شيء. فإذا فعلتَ، فسوف تبدأ بالاشتياق إلى الجميع.

-انتهى-

الفهرس


9 789933 676070